رواية تشويق نفسي مثير للدهشة

جينيفا روز

الزواج ~~المثالي~~

حبيبته تُقتل... زوجته هي أمله الوحيد

ترجمة: الحارث النبهان

مكتبة ياسمين

منشورات الرمل

مكتبة ياسمين

الكتاب: الزواج المثالي، (رواية)
تأليف: جينيفا روز
ترجمة: الحارث النبهان
عدد الصفحات: 368 صفحة
الترقيم الدولي: 7-265-472-614-978
الطبعة الأولى: 2024

هذه ترجمة مرخصة لكتاب
The Perfect Marriage by Jeneva Rose
Copyright © 2020 Jeneva Rose

الناشر

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

منشورات الرمل

الإمارات العربية المتحدة: مدينة الشارقة للنشر - الشارقة
هاتف: 00971543144125

توزيع حصري: دار التنوير
لبنان: بيروت - الرملة البيضاء - بناية بنك لبنان والخليج - الطابق الثاني
هاتف: 0096181944367
بريد إلكتروني: darattanweer@gmail.com
تونس: 16 الهادي خفشة - عمارة شهرزاد - المنزه 1 - تونس
هاتف وفاكس: 0021670315690
بريد إلكتروني: tunis@dar-altanweer.com
موقع إلكتروني: www.daraltanweer.net
www.daraltanweer.com

Manshoorat Alraml is an Imprint of Dar Altanweer

تمهيد

هل أحبها؟

لقد أحب طريقتها في النظر إليه...

أحب تساقط خصلات شعرها الكستنائي الطويل أمام عينيها اللتين تشبهان عيني ظبية

هل أحبها؟ لقد

أحب أقسامًا منها. لكن السؤال ليس إن كان قد أحبها أم لم يحببها! السؤال الحقيقي هو: هل قتلها؟

1
سارة مورغان

«ليس من جديد!».

الخيبة في صوته تملأ الغرفة وتظل معلّقة هناك مثل ضباب خفيف فتحجب الواحد منا عن الاخر. أستنشق نفسًا عميقًا وأزيل تلك الغشاوة، ثم أفلت ذلك النفس سريعًا وأعيد فتح الدرب بيننا. لست في حاجة للنظر إليه كي أعلم أن عينيه كسيرتان وأن شفتيه مطبقتان إطباقًا شديدًا. لست ألومه. لقد خيّبث آمال آدم من جديد. أمرّ بيدي على شعري وأحاول ترويض أية خصل شاردة. شعري مربوط في عقدة محكمة خلف رأسي. أربطه دائمًا في عقدة محكمة خلف رأسي. أرتدي سترة رياضية فضفاضة بيضاء، وأشد تنورتي الضيقة الطويلة. تقابل عيناي عينيه فتعيدنا العيون إلى حيث كنا... كلٌ في مكانه.

«آسفة!». أميل برأسي متفادية النظر في عينيه كي أجذبه إليّ. يلتقط الطُعم ويسير صوبي. قامته الطويلة البالغة مئة وتسعين سنتيمترًا تعلو فوق جسدي الضئيل. يضع كفّيه على وجنتيّ ويرفع ذقني، ثم يطبع على شفتيّ قبلة رقيقة. تنتصب كل شعرة في جسدي. بعد عشر سنين من الزواج، لا يزال آدم يفعل هذا بي. وأنا، بعد عشر سنين من الزواج، لا أزال أفعل هذا به... أعني أنني لا أزال أخيّب أمله.

«كان ينبغي أن نذهب إلى بيت البحيرة منذ البارحة. قلت لي إنك ستكونين اليوم قادرة على ذلك».

أُنهي عناقنا وأبدأ توضيب حقيبتي الصغيرة؛ ويطغى إحساسي بالمسؤولية على عاطفتي. «أعلم

مكتبة ياسمين

هذا. أعلم هذا. المسألة هي أن لديّ عملًا كثيرًا وعندي مرافعة ختامية مهمة ينبغي إعدادها».

يسير آدم حتى عتبة غرفة نومنا، ويستند إلى إطار الباب، يطوي ذراعيه أمام صدره. في هذه اللحظة، لا شيء يفوق رغبتي في أن أكون مضمومة بين ذراعيه، لا غارقة في قضية متشابكة في المحكمة. لكن ثمة أشياء لا أستطيع، حتى أنا، أن أتحكم بها.

«لديكِ دائمًا عمل كثير جدًا تقومين به. لديك دائمًا قضية كبيرة تعملين عليها». يضيّق عينيه وينظر إليّ نظرة عابثة، لكن بطريقة اتهامية بعض الشيء كأنني الآن أمام محكمة تنظر في أمري.

«لا بد من وجود من يسدّد الفواتير». أبتسم ابتسامة صغيرة. تصيب إجابتي هدفها. يهز رأسه هزة بسيطة أكاد لا ألاحظها، لكن عليّ أن أراها. أضع يديّ على كتفيه. يتظاهر بأنه لن يميل صوبي كي يقابل شفتيّ، لكنني أعلم أنه سيميل. هو غير قادر على مقاومتي، تمامًا مثلما لا أستطيع مقاومته.

يبتسم، لكن لعبته تلك لا تدوم إلا بضع ثوانٍ قبل أن يميل جسده في اتجاهي. تتلاقى شفاهنا من جديد، بحماسة أكبر هذه المرة. ينفتح فاهانا هذه المرة، ويتلاقى لسانانا. تجري كفّاه على ظهري، صاعدتين هابطتين. أفكر لحظتها في إنهاء الأمر كله. سوف أترك مكتب المحاماة. سوف نبيع هذا البيت وننتقل للعيش في بيت البحيرة في فيرجينيا... نحن الاثنان فقط نجري يدًا بيد وندخل قصتنا الخيالية التي هي لنا وحدنا.

لكن الواقع يفرض نفسه.

أهمس في أذنه وأنا أبتعد عنه: «لا بد لي من الذهاب». أنا التي أنهي عناقنا، دائمًا. ذات يوم،

مكتبة ياسمين

سنكون مثلما كنت موقنة دائمًا من أننا سنكون. لكن «ذات يوم» ليس اليوم!

يتجهم وجهه ويقول: «لكن يوم الغد هو ذكرى زواجنا العاشرة». لا يزال لديه ذلك السحر الصبياني الذي وقعت في حبه؛ وسوف يكون أمرًا مزعجًا ألا أكون مشدودة إليه أيضًا.

«سوف أحاول أن نذهب غدًا». أتراجع مبتعدة عنه خطوة وأنظر إلى الخيبة في وجهه... إلى ما ألحقته به من ضرر.

يطلق زفرة. «بعد عشر سنين، قد تظنين أنني اعتدت على أن تفعلي بي هذا... لكني لم أعتده». يحك ذقنه كأنه يفكر في ما يقوله لي بعد ذلك، «الحقيقة أنني ضقت ذرعًا بهذا، يا سارة». يخفض رأسه، ثم يهزه قليلًا.

أجتاز المسافة الفاصلة بيننا وأدفن وجهي في صدره، «آسفة، أعلم أنني أخيّب أملك. لكن، ومهما يكن، فسوف أنقطع عن العمل أسبوعًا بعد انتهاء هذه القضية. لقد كلّمت كِنت بالفعل». أرفع رأسي وأنظر إليه بعينَي الظبية آملة أن يكون هذا النبأ قد سرّه.

يبتسم لي ابتسامة صغيرة، «هل هذا وعد حقيقي أم واحد من وعود سارة؟».

«أوه، كُفّ عن هذا!». أقولها وأربّت على صدره بحركة خفيفة.

يمسك بيدي ويشدني إليه كي يقبّلني من جديد. «سأكف عندما تكفّين». يبتسم ابتسامة لا تستطيع إخفاء ضيقه. قبلة جديدة.

«أوه، كدت أنسى!». أخرج من الخزانة علبة صغيرة مغلفة. أقدم إليه هديتي، «لديّ شيء لك».

مكتبة ياسمين

ينظر إلى العلبة، ثم ينظر إليّ. يقول وهو يأخذ العلبة المغلفة تغليفًا متقنًا: «ما كان عليك أن تفعلي هذا». لقد اتفقنا بعد خمس سنين من زواجنا على أن نتوقف عن تقديم الهدايا، لكنني لم أستطع منع نفسي. أعلم أنني كنت مهملة، لكن هذه كانت طريقتي البسيطة في تعويضه عن تقصيري. يتمهل لحظة، ثم يفك غلاف العلبة بكل تأنٍ. يفتح العلبة فيكشف عن ساعة يد ماركة باتيك فيليب لها حزام من جلد التمساح ووجه من ذهب. ينفتح فمه دهشة.

«إنني أنظر إلى هذه الساعة منذ سنين... لكن هذا... هذا كثير جدًا». يقولها محتجًا وهو ينظر معجبًا إلى تصميم وجه الساعة الدقيق المتداخل.

«لا، ليس كثيرًا. إنها ذكرى زواجنا العاشرة». أخرج الساعة من علبتها وأقول: «انظر إلى ما هو محفور عليها». يقلب آدم الساعة ويمر بإصبعه على الرقم المحفور: 5,256,000.

يسألني: «ما هذا؟».

«إنه عدد الدقائق في عشر سنين». أطبع على شفتيه قبلة خفيفة.

«هل أحصيتِها؟».

«أحصيها دائمًا». أضحك وأساعده في وضع الساعة على يده.

يمد يده أمامه معجبًا بالساعة. يقول لي معابثًا: «هل هي حتى أستطيع متابعة تأخرك كل مرة أم حتى أحتمله؟». أفتح عينيّ على اتساعهما وأنظر إليه محتجة.

يقول: «هذا مزاح».

«لا، ليس مزاحًا». يعود انتباه ادم إليّ. تستقر يداه على كتفيّ، ثم تجريان نازلتين على ذراعيّ. «أنت

محققة، لكني أحبك على أية حال، يا سارة». يقبلني قبلة شديدة.

ننزل إلى المطبخ بعد تخليص نفسينا من تلك القبلة الملتهبة. مطبخنا حيز متسع حديث فيه تجهيزات من الستانلس ستيل، وخزائن شاحبة اللون، وسطوح من الغرانيت. أضع حقيبتي على الطاولة وسط المطبخ وأبحث في البراد عن ماء وفاكهة. أتناول بضع شرائح من الأناناس وزجاجة ماء سان بيليغرينو. ينبغي أن يكفيني هذا إلى أن يحين وقت إرسالي مساعدتي كي تأتي بطعام الغداء.

يصب آدم فنجانَي قهوة ويضع واحدًا منهما إلى جوار حقيبة عملي السوداء. يخرج الفلتر المستخدم من آلة القهوة ويذهب إلى سلة القمامة فيضغط بقدمه على دوّاستها كي ينفتح غطاؤها. لحظة يهم برمي الفلتر في السلة، تلتقط عينه لمحة من لمعان فضي.

«ما هذا؟». يمد يده في السلة ويخرج منها ذلك الشيء اللامع. مغلفٌ حافته ممزقة وفيه بطاقة.

أجيبه من غير أن أرفع رأسي عن هاتفي: «أرسلت إلينا أمك بطاقة في مناسبة ذكرى زواجنا».

يتجهم وجهه، «وأنتِ... أنت رميت البطاقة في القمامة!؟».

«قرأتها. رأيت ما فيها. استوعبتها. ماذا تريد أن أفعل بها أكثر من هذا؟».

يخرج البطاقة من المغلف ويقرأها بصوت عالٍ: «لا أستطيع تصديق أنكما استطعتما الاستمرار عشر سنين! ذكرى زواج سعيدة، يا عزيزي ادم ويا عزيزتي سارة. ملاحظة: أين هم أحفادي؟ أحبكما. ماما».

يبتسم ويتجه صوب البراد. «هذا لطف منها». يبدأ البحث في الدرج عن مغناطيس يثبت بها تلك الهدية على واجهة البراد المصنوعة من الستانلس ستيل. تتابعه عيناي بدهشة وهو يضع على البراد شيئًا التقطه من القمامة.

«ماذا ستفعل اليوم؟» أحاول تغيير الموضوع. سوف أتغاضى عن هذا الأمر. وعندما أقول

'هذا الأمر' فأنا أعني أمه. أحمل فنجان القهوة وأضعه على شفتيّ. يحرقني، لكنه حرق من نوع جيد مثله مثل النيران الصغيرة التي نكون أحيانًا في حاجة إلى وجودها في حياتنا كي تذكرنا بأننا أحياء.

«الآن، ليس لديّ ما أفعله، لكن الوقت صار على يدي». يقول هذا مطلِقًا ضحكة صغيرة وينظر إلى ساعته. أضحك بدوري ضحكة صغيرة مهذبة ردًا على نكتته الفظيعة. «قد أذهب إلى بيت البحيرة وأنجز بعض الكتابة. دانييل في حاجة إلى مزيد من الصفحات قبل أن يصير قادرًا على قبول الكتاب». أومئ برأسي وأتناول رشفة قهوة أخرى. «كانت الصفحات الأخيرة التي أرسلتها إليه رائعة. وسوف يكون وكيلك الأدبي معجبًا بها كثيرًا. لا تنس أن ترسل إليّ الصفحات الجديدة».

يرتفع حاجبه تعبيرًا عن شكِّه. «هل تعنين هذا حقًّا؟».

أغمز له بعيني: «أعني كل شيء أقوله... في ما يتصل بك خاصة».

يضع فنجان القهوة من يده ويجتاز المسافة الفاصلة بيننا ثم يقف خلفي واضعًا يديه على الطاولة. يداعب رقبتي ويقبلها، ويضغط بوسطه على مؤخرتي. أقهقه كأنني تلميذة مدرسة.

«تعالي غدًا! فقط كي نمضي اليوم معًا».

«سوف أحاول، حتى إذا لم أستطع قضاء سوى بضع ساعات معك».

«افعلي أكثر من أن تحاولي. لدينا بيت البحيرة منذ أكثر من سنة؛ وأنت لم تمضي فيه أكثر من ليلة واحدة».

«قلت إنني سأحاول». أتناول رشفة أخرى من قهوتي.

يتمتم عند رقبتي: «من فضلكِ!».

«سأفعل كل ما في مستطاعي كي أكون هناك غدًا. وسوف نكون، أنا وأنت، أخيرًا قادرين على تدشين بيت البحيرة». أضغط عليه بجسدي. يشدني إليه ويقبّل رقبتي.

«الآن، هذه خطة أستطيع الاعتماد عليها». يديرني آدم كي أواجهه، ثم تجري يداه على جسدي كله.

«أشكرك لأنك صبور معي». أرفع رأسي كي تلتقي عيوننا وأمنحه نظرة خجلى مولّهة تحمل إليه مقدار ما شئت إظهاره من صدق في كلماتي. تلتحم عيناه بعينَي.

«أنا مستعد لانتظاركِ عمرًا كاملًا، وأكثر». يقبل جبهتي، ثم طرف أنفي، ثم شفتي. «أو، 5,256,000 دقيقة أخرى، على الأقل». يضحك ضحكة صغيرة... «والآن، أسرعي إلى عملك حتى تكوني قادرة على الإسراع إليّ». يربت على مؤخرتي معابثًا كأنني سأنطلق إلى مباراة كرة القدم.

أحمل حقيبتي وأسير صوب الباب. أقول له إنني أحبه.

يقول: «أحبك أكثر».

2

آدم مورغان

تنقر أصابعي على لوحة المفاتيح بضع نقرات إضافية لحظة تترك الشمس آخر بقعة ضوء في هذه الناحية من العالم لهذا اليوم. نسمة ريح تحرك أغصان الأشجار فتتساقط أوراقها الملونة بألوان الخريف في حين تقبّل عند الشاطئ موجات البحيرة الرقيقة. أحفظ ما أنجزته من عمل في يومي، ثم أغلق اللابتوب. ينبغي أن تكون ثلاثة آلاف كلمة كافية! ألقي بنظارة القراءة ذات الإطار الأسود على طاولة المكتب وأمرر أصابعي في شعري البني الرمادي، أرفعه عن جبهتي. أدلّك صدغَيّ قليلًا كي أريحهما من صداع توتريّ لا يزال باقيًا، ثم أتنهد عميقًا. وبينما أمد ذراعيّ وأحرك رقبتي المتيبسة، تلتقط عيني سنجابًا أسود اللون يجري في الفناء. لا أقول إنني لم أر قبل الآن سنجابًا أسود اللون، لكنه مشهد نادر يطالبني بأن أراقبه وبأن ألحظه. أحدّق من نافذتي الكبيرة خلف طاولتي بينما يتقافز ذلك المخلوق من مكان إلى مكان، باحثًا عن طعام، يملؤه إحساسه بالغاية والاتجاه.

يقع بيت البحيرة على مسيرة ساعة من بيتنا الواقع على أطراف واشنطن، لكن المرء يمكن أن يحسبه بيتًا في كوكب آخر. أرض مخضوضرة أكثر مما كان يعرفه أسلافنا، ليست على غرار فظاعة الإسمنت وأبواق السيارات التي تحتل جزءًا من عاصمة بلادنا. بيت بعيد عن المدينة بما فيه الكفاية لضمان عدم قدوم زوار غير متوقعين، لكنه أيضًا قريب إلى حد يسمح لي بالارتحال إليه كلما وجدت حاجة إلى أن أكون وحيدًا... أو غير وحيد!

مكتبة ياسمين

بيت خشبي منعزل على ضفاف بحيرة ماناساس تحيط به غابات مقاطعة برنس ويليام في ولاية فرجينيا. كان ذلك ما يستلزمه عملي في الكتابة؛ أو، على الأقل، هكذا أقنعت سارة بالفكرة. كنت أجد صعوبة في العثور على كلمات أكتبها إلى أن اشترينا هذا المنزل الثاني منذ أكثر قليلًا من سنة واحدة. لقد فتح أمامي عالمًا جديدًا، عالمًا أستطيع فيه أن أكتب، عالمًا كله رغبات يمكن تحقيقها، عالمًا أستطيع العيش فيه من غير أن أحس ضغطًا مستمرًا لأنني لست جيدًا بما فيه الكفاية. الجمال الطبيعي في هذه البقاع المحيطة بي يمكن أن ينعكس في عملي؛ وقد أحسست أنني ولدت من جديد في هذا العالم. الخشب مستخدم بكثرة في تكوين بيت البحيرة؛ وهو يجعلك تحس كأنك تدخل شجرة، لا مسكنًا بشريًا. مساحة المعيشة المفتوحة لها نوافذ منخفضة واسعة مطلة على البحيرة، والموقد الضخم مزين بحجارة ملونة كثيرة. سجادة ضخمة من جلد الدب تكمل أثاث منطقة المعيشة وتمثل نقطة وسطى تفصلها عن المطبخ.

غرانيت مرمري أخضر بلون الغابة يغطي جزيرة المطبخ وسطوح العمل، ومن فوقه ومن تحته خزائن من خشب الصنوبر مطلية بلون خشبي غني يكاد يشبه لون الكراميل. وعلى مقربة شديدة من مساحة الجلوس، أقل من عشرة أقدام من الموقد، عند النوافذ الكبيرة، يجثم مكتبي. يتيح لي هذا إطلالة رائعة على كل ما لدى الطبيعة لتقديمه في هذه الفرجة في الغابات، ويتيح لي حرية الإحساس بأنني غير محبوس في غرفة مكتب صغيرة.

لم يكن صعبًا إقناع سارة بأن علينا شراء هذا البيت البعيد عن بيتنا. أظنها كانت قادرة على

مكتبة ياسمين

الإحساس بأنني أنجرف بعيدًا... ذهنيًا وعاطفيًا، أو لعلها لم ترد إلا جعلي أرى أنها قادرة على شرائه، أن تذكّرني من جديد بسيطرتها المالية عليّ. لقد جعلت زوجتي شراء هذا البيت استعراضًا للقوة. مهما يكن السبب، فإن البيت يظل في حوزتي... فما همّني؟

كان مُنتظرًا أن يكون هذا بيتنا البعيد عن البيت، لكن ما تبين هو أنه بيتي فحسب. لقد صرت غير قادر على إحصاء عدد المرات التي وعدتني بها سارة بأن تأتي معي لقضاء عطلة الأسبوع ثم ألغت وعدها. ما كانت عطلة نهاية هذا الأسبوع استثناء من القاعدة، حتى في يوم ذكرى زواجنا العاشرة. كنت أتمنى أن تستطيع المجيء ولو يومًا واحدًا، لكنها كانت تتصل وتقول لي إن عليها الذهاب إلى المكتب من جديد. تقول لي أيضًا إنها تحبني. تقول لي دائمًا إنها تحبني. مددت يدي أمامي وألقيت نظرة إعجاب على ساعتي الجديدة. ثمنها أكثر من غالٍ. بصرف النظر عن الزمن، تظل هذه الساعة هدية تنم عن فطنة. هكذا هي سارة. فطنة دائمًا حتى مع أنها غير حاضرة أبدًا.

كنت أحس دائمًا أن سارة تستولي على العالم في حين أجد صعوبة في العيش فيه. تلك هي المرأة التي أرادت أن تكونها، امرأة تشع طاقة، امرأة تقدم وحدها استعراضًا شاءت المصادفة أن أكون جزءًا مكمّلًا فيه. لم يكن الأمر هكذا على الدوام. التقينا عندما كنت في السنة الثالثة في جامعة ديوك. وكانت في سنتها الأولى. كانت تدرس العلوم السياسية، وكنت أدرس الأدب. في ذلك الوقت، كان كلانا يحلم بالعظمة. أرادت سارة أن تكون محامية ناجحة؛ وأردت أن أصير واحدًا من كُتّاب جيلنا العظماء فعلًا. وبعد خمسة عشر عامًا، لا يزال واحد

مكتبة ياسمين

منا منتظرًا.

لا بأس! أظنني رأيت لمحات من النجاح، رأيتها لحظة، ثم غابت سريعًا مثلما ظهرت ولا أزال أنتظر ظهورها من جديد. ذلك هو الأمر الغريب في الأحلام. فعلى الدوام، يستيقظ المرء من حلمه آخر المطاف. كان كتابي الأول ناجحًا، لا من وجهة النظر التجارية ولا من وجهة نظر التيار المسيطر في الأدب، بل من منظور أدبي صرف. حتى إن واحدًا من النقاد دعاني «ديفيد فوستر والاس القادم»؛ وقد أعجبني الأمر. لا يزال عدد غير قليل من الأشخاص مهتمًا بالكتاب حتى يومنا هذا. فكرت في أن أكرر نجاحي، لكن الكتابين الثاني والثالث أخفقا وفق المعايير كلها بما فيها المعيار الأدبي. يدهشني أن وكيلي الأدبي لا يزال متمسكًا بي. وأنا واثق من أنني سأتلقى الضربة القاضية سريعًا إذا لم ينجح الكتاب الذي أعمل عليه الآن.

لقد تذوقت نموذجًا صغيرًا من طعم النجاح، لكني لم أحقق أحلامي تمامًا. كان حلم سارة أن تصير محامية دفاع في القضايا الجنائية، أن تصير واحدة من أفضل المحامين. هي الآن ليست واحدة من أفضل المحامين: هي الأفضل... مثلما أيقنت دائمًا أنها ستكون. لكني لم أفكر أبدًا في أن ذلك سيجعلني أمقتها هذا المقت كله.

لكن، وكما قلت، لم يكن الأمر هكذا على الدوام. عندما أقول هذا، فأنا أعني فراري إلى بيتنا الثاني كلما سنحت لي فرصة، وأعني أيضًا اتخاذها مكتبها مسكنًا لها من الناحية العملية. ففي آخر المطاف، لا تصير المحامية أفضل محامية دفاع في القضايا الجنائية من خلال محبتها لزوجها!

قد يظن المرء أن عيشي في وحدة وتمرغي في

إشفاقي على ذاتي سيجعلانني واحدًا من الكُتّاب العظام كأنني نسخة معاصرة من ثورو أو من هيمنغواي. لكني، حتى هذا اليوم، أتناول الكحول بقدر ما كان يتناوله هيمنغواي من غير أن يكون عندي أي نجاح أستطيع الاعتماد عليه.

لسارة عملها، ولي عملي، وقد عشنا زمنًا كان الواحد منا فيه الآخر أيضًا... لكن ذلك الزمن قد مرّ وانقضى.

التقينا أول مرة في حفلة، وكان ذلك ضربة حظ حقيقية، لأنه لم يكن من المألوف لدى سارة أن تذهب إلى حفلات. قالت لي هذا في وقت لاحق من تلك الليلة. كانت تفضل كثيرًا أن تظل دافنة وجهها في كتاب على أن تجد نفسها محاطة بأجساد دبقة متهيجة في قبو واحد من مباني الكلية. لكنها كانت هناك، واقفة في زاوية تأخذ رشفات متباعدة من بيرة رخيصة مصبوبة في كوب. بدت في غير محلها مثلما قد تبدو راهبة في ماخور. كان على وجهها نصف ابتسامة في محاولة منها لإخفاء ضيقها. لكن لغة جسدها كانت ناطقة بعدم ارتياحها. كانت مستندة إلى جدار وقد لفّت ساقًا فوق ساق، والفنجان قريب من شفتيها. تلقي صوب الحفلة نظرات سريعة، وذراعها مطوية على صدرها ويدها مدفونة تحت ذراعها الأخرى. كانت تحاول جعل نفسها صغيرة إلى أقصى حد ممكن، أن تذوب في خلفية المشهد كي لا يلحظها أحد. ولكن، في نظري، كانت الشخص الوحيد في تلك الصالة.

شعرها الأشقر الذي يبلغ كتفيها كان متلألئًا تحت الأضواء السوداء التي كانت معلمًا ثابتًا من معالم الحفلات الجامعية في أوائل القرن الحادي والعشرين. عيناها الخضراوان وشذرات اللون

مكتبة ياسمين

الأصفر فيهما حملتا كل ما في العالم من أسرار. جسدها الرشيق مكتسٍ قميص تي شيرت ضيق أبيض اللون وبنطلون جينز أزرق واسع الساقين. مقدار إنش واحد بين خصرها وبطنها كان ظاهرًا من تحت قميصها فلم أستطع إبعاد عينيّ عنه. جزء صغير منها كان مكشوفًا، جلد أبيض حليبي أثارني أكثر مما كان يثيرني جسد صديقتي السابقة عندما يكون عاريًا كله. راقبتها. درستها. حتى قبل أن أخاطبها بكلمة واحدة، كانت ذاكرتي قد حفظت كل خط، وكل انحناءة، وكل شامة اكتشفتها في ذلك القبو المعتم البائس. تصورت كيف يكون شكلها تحت ملابسها، ثم اكتشفت في وقت لاحق أن كل ما تصورته كان خاطئًا. لقد فاق جسدها حدود مخيلتي. كانت كاملة، كانت شيئًا لم أستطع استيعابه ولا فهمه.

لم تلاقِ عيناها عينيّ إلا بعد مُضيّ ساعة عندما استجمعت شجاعتي كي أذهب وأتحدث إليها. كنت أطول كثيرًا من جسدها الصغير، لكنها كانت تحس دائمًا، منذ البداية، أنها أكبر مني؛ وقد أدركتُ لحظة علمتُ ذلك أنها ستكون قوة لا سبيل إلى اعتراضها.

كانت أول الأمر متحفظة قليلًا، وإجاباتها من كلمة واحدة. سألتها عن اسمها فقالت إن اسمها سارة. سألتها عمّن أتت معه إلى الحفلة فأشارت إلى فتاة ثملة سوداء الشعر ملتصقة بشاب في حلبة الرقص. سألتها إن كانت راغبة في الرقص فقالت إنها غير راغبة. قلت لها إنها جميلة فرفعت كتفيها. قلت لها إن اسمي آدم، فتناولت رشفة من بيرتها. سألتها عن دراستها فنقرت على كوبها كي أفهم أنها تريد ملأه من جديد، ثم بدأت تسير مبتعدة عني. أمسكت بكوبها وسكبت فيه كأس البيرة التي معي. رفعت

رأسها صوبي مبتسمة واستعادت الكوب مني وعادت إلى موضعها عند الجدار. تناولت منه رشفة وقالت: «سريع البديهة!».

استندتُ إلى الجدار مثلما فعلت ووقفنا صامتين زمنًا بدا لي ساعات طويلة. تمامًا منذ لحظة البداية مع سارة... دائمًا، أحسست أن هذا مستمر إلى الأبد. كانت تتناول رشفات متباعدة من كوبها وعيناها تتجولان في الحفلة وترقبان صديقتها الثملة. تظاهرت أنني أنظر إلى القاعة مثلما تفعل، لكن تركيزي الوحيد كان عليها. وبعد تسع عشرة دقيقة، قالت لها صديقتها إنها ذاهبة مع الشاب الذي كانت تطحن جسدها على جسده طيلة الليلة. تلعثمت كلماتها، وغامت عيناها، وتساقط شعرها أمام وجهها وهي ممسكة بيد الرجل الذي لن تلبث أن تفتح ساقيها له. لم تبدُ سارة مسرورة، لكنها تمنت لها وقتًا طيبًا وطلبت منها أن تتصل بها عند الصباح. كان ذلك أطول كلام سمعته منها تلك الليلة. ظلت سارة متمالكة نفسها، وظلت تتناول رشفات عارضة متباعدة من كوبها.

وفي الدقيقة العشرين، أنهت بيرتها ورمت بالكوب الورقي على أرض القبو القذرة وركلته صوب الزاوية. بعد ذلك، ظلت قليلًا واقفة وعيناها تتنقلان بين الحفلة وبيني. تململت بقدر من الضيق ولم أعلم إن كانت تتحرك صوبي أو مبتعدة عني.

في الدقيقة الحادية والعشرين، قررتُ استطلاع الأمر فسألتها إن كانت راغبة في الخروج من ذلك المكان. فقالت إنها راغبة. وعندما أوصلتها إلى غرفتها سالمة، توقعت أن تدعني أقبلها على خدها وأتمنى لها ليلة طيبة. لم تبذ سارة من ذلك النوع من الفتيات اللواتي تنسقن خلف دوافع انية. فعندما

مكتبة ياسمين

اقتربت منها كي أطبع على خدها قبلة صغيرة، جذبتني إلى داخل الغرفة، ونزعت عني ملابسي، وظلت طيلة ما بقي من تلك الليلة تلهث وتقول لي نعم.

وبعد ثلاث سنين، سألتها إن كانت تقبل الزواج مني، فقالت نعم من جديد. صحيح أنها قالت لي كلمة نعم مرات كثيرة جدًا بعد ذلك، لكني أظن أن تلك كانت آخر مرة عنتها فيها حقًا. لو لم تكن غارقة في دراسة القانون، ثم في ممارسة المحاماة، فأظن أننا كنا سـ...

هبَّ النسيم، فانطبق باب البيت مصدرًا صوتًا عاليًا. أجفلت جزءًا من ثانية، لكني علمت أنها هي. حتى من غير أن أراها، أعلم أن نمشها صار أكثر ظهورًا بعد يوم من العمل في شرفة المقهى الخارجية. أعلم أن عينيها، عيني الظبية، منوّرتان، ممتلئتان أملًا وفرحة. أعلم أن خصلات شعرها الطويلة مستقرة تحت القبعة التي حاكتها بنفسها في وقت سابق من هذا الخريف. أعلم أنها تظل، عندما تضع تلك القبعة، جميلة من غير أن تبذل جهدًا... بشعرها المشعث وكل شيء. أعلم أنها ستكون من غير حمَالة الثديين، ستكون مرتدية بلوزة ضيقة وتنورة داكنة بطول فخذيها. أعلم أن خصر قميصها سيكون مثنيًا حيث ظلت مريلتها طيلة اليوم. أعلم أنها ستبتسم عندما تراني، وأن الأمر لن يستغرق أكثر من ستين ثانية كي أكون فيها.

تناديني من مدخل البيت: «حبيبي، أحضرت معي من المقهى بالمخبوزات التي تبقت».

أسمعها تخلع حذاءها وجوربيها اللذين يبلغان ركبتيها، وسترتها أيضًا. أتناول من البار كأسين. أسكب الويسكي في كل كأس؛ ولحظة دخولها، أمد

لها يدي بكأسها. تسرع خطوتها قليلًا وتأخذ الكأس من يدي. تشرب كأسها دفعة واحدة وتضعها على البار. حرارة الموقد الحجري تدفئ جلدها. ألاحظ كيف تحبحب جلد ذراعها.

تنزل سحّاب بنطلوني قبل أن أستطيع تناول جرعة ثانية من كأسي. تجثو على ركبتيها وتنظر إليّ بابتسامة شيطانية.

***

أترك ساقيها تسقطان على الفراش وأسير داخلًا الحمام. وأغلق الباب من خلفي.

لا أزال قادرًا على سماع لهاثها من خلف الباب. تحاول استعادة سيطرتها على تنفسها. لا يصدر عنها أي صوت. فأفترض أنها لا تزال مستلقية هناك. آمل أن يكون ذلك نشوة، لا ألمًا. أبالغ في الأمر كثيرًا، بعض الأحيان، كأنني أفقد وعيي ثم أدرك، عند استعادته، مقدار ما في مسلكي من خطأ. لا أستطيع تمالك نفسي. هذا ما تفعله بي كيلي. تسيطر غرائزي الحيوانية على كل شيء عندما أكون معها.

كانت سارة تفعل هذا بي. أما الآن، عندما أكون معها، فأنا بالكاد أكون رجلًا، ناهيك عن أي شيء آخر.

أنظر إلى نفسي في مرآة الحمام. ظلال التعب ظاهرة على وجهي؛ وشعري مشعث كله. احمرار في عينيّ اللتين كانتا زرقاوين. لا أطيق النظر إلى نفسي أكثر من ثوانٍ قليلة قبل أن أشيح بوجهي. لست خجلًا من نفسي، لكني لست فخورًا بها. أغسل وجهي، ثم أرشق الماء على صدري وبطني وقضيبي. أنا أشد إرهاقًا من أن أستحم. أجفف نفسي بمنشفة.

تصيح كيلي من الغرفة الأخرى: «حبيبي!».

مكتبة ياسمين

أجيبها وأنا أبدأ تنظيف أسناني: «ماذا، يا حبيبتي؟».

«رسالة نصَية من زوجتك».

أبصق معجون الأسنان في المغسلة، ثم أغسل فمي وأمسح شفتيّ بيدي. أعود إلى غرفة النوم. النور مضاء الآن، وكيلي جالسة في السرير مرتدية ثوب النوم. هاتفي في يدها. تنظر إليّ باسمة.

«ماذا تقول؟». أسأل وأنا أرتدي بنطلون بيجاما من رالف لورين.

«تريد أن تعرف ما تفعله الآن». أجلس على السرير إلى جوارها، وأزيح شعرها البني الطويل إلى الخلف. أزرع قبلات لطيفة على رقبتها وكتفها.

أهمس لها: «قولي لها إنني موشك على مضاجعة فتاة أحلامي من جديد».

تضحك كيلي وتبدأ الكتابة. تقهقه، «رغباتك أوامر». أنتزع الهاتف من يدها بحركة لعوب، وأنهض عن السرير. أبدأ الكتابة سريعًا.

بما أنك لم تستطيعي القدوم، فسوف أعود الليلة كي أراك. لا ضرورة لأن تظلي ساهرة في انتظاري. أحبك.

تصلني رسالة جديدة من سارة قبل أن أضع الهاتف من يدي.

وأنا أيضًا أحبك. سنحت لي فرصة قراءة الصفحات الجديدة التي أرسلتها بعد الغداء. إنها رائعة جدًا. وأنا فخورة بك كثيرًا.

أبتسم لثانية واحدة قصيرة قبل أن تكتسحني موجة من الإحساس بالذنب. أتنهد.

أنت هي الأفضل، يا حبيبتي. ما رأيك في أن أدعوك إلى العشاء ليلة غد؟ قولي نعم.

مكتبة ياسمين

يهتز هاتفي.

نعم.

ألتقط، بعض الأحيان، لمحات مما اعتدنا أن نكون عليه، وأقول في نفسي إننا قادرين على أن نعود كذلك من جديد. لكن إخفاقاتي الكثيرة لا تسمح بحدوث ذلك، ثم إن عمل سارة يأتي دائمًا أولًا... قبلي، وقبل الأسرة، وقبل كل شيء. لا أتوقع أن يتغير هذا أبدًا.

كنت أظنها ستهدأ قليلًا عندما ننجب أطفالًا، لكنها قالت لي منذ خمس سنين إنها لا تريد أطفالًا. ظننت نفسي قادرًا على جعلها تغير رأيها. لكن، لم أستطع جعلها تغير رأيها.

أضع هاتفي على طاولة الزينة في غرفة النوم، وأصله بالشاحن. ألقي نظرة صوب كيلي التي ترنو إليّ بـ«عيني غرفة النوم». لا تستطيع أبدًا أن تشبع مني، ولا أستطيع أبدًا أن أشبع منها. لكني أعلم أن الأمر لن يظل هكذا على الدوام. مرّ بي زمن كان فيه كل منا، أنا وسارة، غير قادر على أن يشبع من الآخر. انقضى ذلك الزمن منذ وقت طويل. تطفو تلك المشاعر إلى السطح، أحيانًا؛ لكن عمرها يكون قصيرًا، وعادة ما يحرّضها الكحول، أو تحرّضها فترة من التباعد. أرجو ألا يسيء أحد فهمي، فأنا أحب سارة! لو كنت لا أحبها، لتركتها منذ أمد بعيد. الحب هو ما أنا متمسك به، لا المال، ولا الأمان، ولا البيتان. تمنحني كيلي الحب الذي ما عادت سارة قادرة على منحه لي. كلتاهما تُتمِمني. أعلم أن هذا غير طبيعي، لكنه صادق. أنا في حاجة إليهما.

«هل ستخبر زوجتك يومًا بأمرنا؟».

أجيبها بسؤال معاكس: «هل ستخبرين زوجك يومًا بأمرنا؟».

تتنهد وتعقد ذراعيها على صدرها. «هذا ليس مثل ذاك». صوتها خافت.

أخرج ثم أعود حاملًا كأسين من الويسكي. أناولها كأسًا وأجلس. أحيطها بإحدى ذراعيّ وأشدها إليّ قائلًا لها إنني أعلم هذا. تهم بالبكاء من غير صوت، لكنها تتمالك نفسها لحظة يفارق البكاء جسدها. تستعيد تعبير وجهها الهادئ. تتناول جرعة كبيرة من كأس الويسكي ولا تهتز لحرقتها. تميل إليّ. نجلس صامتين نشرب كأسي الويسكي عالقين في زواجين من غير حب حيث يحتل كل منا المكان الثاني بالنسبة إلى من يحبه. عندما نكون أنا وكيلي معًا، يحتل كل منا المكان الأول. أعيد ملء الكأسين مرتين، ثم نتضاجع من جديد. هذه المرة، لا أضاجعها، بل أمارس الحب معها.

مكتبة ياسمين

3

سارة مورغان

أنظر في ملفات القضية. تتتالى الأوراق وتتساقط مثلما ينهمر الثلج في انهيار ثلجيّ بدأ منذ قليل. أردت الذهاب إلى المكتب بضع ساعات فقط كي أستعد للأسبوع القادم، لكني جالسة هنا أرتشف قهوتي التي بردت منذ اثنتي عشرة ساعة وصارت طافية على وجهها حلقات زيتية تذكّرني بسئي. يقع مكتبي في زاوية الطابق الرابع عشر، أعلى ارتفاع يمكن أن يصله المرء في واشنطن من غير قضيب منتصب أطول من قضيب السيد واشنطن نفسه. في المكتب نوافذ ممتدة من الأرض إلى السقف، وهو من أكبر المكاتب في شركتنا. لا يمكن أن يعترض أحد على إعطائي هذا المكتب.

فبعد قضايا مهمة كثيرة، وبعد أن كسبت قضايا أكثر مما كسب أيّ محامٍ هنا، صرت أكثر من مستحقة هذا الموقع: شريكة رئيسية في مكتب ويليامسون ومورغان للمحاماة. أطراف أصابعي تجري على جبهتي وتدلّك صدغي بحركة بطيئة كأنني أحاول استدراج نفسي للعودة إلى حالة من السلام والهدوء. أنزع نظارة القراءة عن عينيّ وأتركها تسقط على طاولة المكتب، فتصطدم بها مطلقة صوتًا كأنه تأكيد على شدة انزعاجي. الساعة في هاتفي بلغت الثامنة وأربع دقائق مساء. يطلق فمي تنهيدة يائسة كي يعلم الناس (غير الموجودين في مكتبي) شدة ما أعانيه من كرب.

أكتب لادم رسالة سريعة:

آسفة! لقد أردت حقًا أن أكون معك اليوم. اشتقت إليك.

أترك الهاتف يسقط على سطح المكتب. ألتقط الشوكة من علبة الستيروفوم وأغرسها في الطعام الصيني المنتظر فيها منذ بضع ساعات. أتناول بضع لقمات سريعة، ثم أرمي العلبة كلها في سلة القمامة. شعري مربوط في كرة خلف رأسي. كل خصلة في مكانها تمامًا مع أنني لا أزال أعمل منذ ثلاث عشرة ساعة. أرتب مكتبي الذي بات في حالة فوضى شاملة لا تشبه كيفية عيشي حياتي. في ظل كثرة قضايا المحاكم وكثرة الأدلة التي يعرضها الخصوم، صار لا بد من القبول بشيء من الفوضى. أنظر من نافذة مكتبي معجبة بأضواء المدينة وبالسيارات المتحركة معًا، بالناس في كل مكان يستمتعون بآخر بضع ساعات من عطلة نهاية الأسبوع. أنادي: «آن! ألا تزالين هنا؟».

ينفتح الباب المفضي إلى غرفة مكتبي وتطل برأسها مساعدتي حلوة المظهر. امرأة قصيرة القامة لها شعر بني منسدل حتى كتفيها. صحيح أنها لا تدير الرؤوس، لكنها جميلة بطريقتها المتواضعة. تشعّ عيناها الكابيتان عادة وتبتسم لي مستعدة، بل متحمسة، لإرضائي. مع أنني الشخص الوحيد الموجود في المكتب الآن، فليس من غير المألوف بالنسبة إلى آن أن تنهمك في العمل عندما تراني أبدأ إرسال إيميلات خاصة بالمكتب.

«نعم، يا سيدة مورغان!». تسقط يداي على سطح مكتبي وأبتسم لها ابتسامة متعاطفة. «آن! كم مرة ينبغي أن أقول لك هذا؟ لا تعني حقيقة أنني أعمل ساعات طويلة إلى حد مضحك أن عليك أن تعملي مثلي، ولماذا تخاطبينني بالسيدة مورغان؟».

«آسفة، يا سيدة...». تبدأ كلامها ثم تتوقف عندما أرفع يدي وأنهض واقفة. أقترب من آن. سجادة

وثيرة تكسو أرض المكتب، سجادة انتقيتها بنفسي لأنني أحسها ناعمة نعومة عجيبة تحت قدميّ الحافيتين. حرصت على ترتيب مكتبي بحيث يمنحني إحساسًا كأنني في البيت: أريكة وثيرة، وكرسي للاستلقاء، وطاولة قهوة، ووسائد، ورفوف مزدحمة بكتب من أجل العمل، ومن أجل المسرّة، وأعمال فنية على الجدران. هذا المكتب هو بيتي بعيدًا عن البيت، فقد أمضيت فيه خلال سنواتي الثمانية زمنًا أطول من بيتي الحقيقي. بل إنني وضعت في المكتب أيضًا جهازًا للمشي، وضعته في الزاوية بحيث صار مقابلًا لنصب واشنطن.

أقترب من آن وأضع يدي على كتفها. «يا آن... أنتِ تعملين عندي منذ خمس سنين. نتناول طعام الغداء معًا كل يوم جمعة. وكثيرًا ما نذهب لتناول شراب بعد العمل. تسافرين معي في رحلات العمل. ذهبتِ إلى بيتي مرات كثيرة جدًا. أنتِ صديقتي أولًا، وموظفة عندي ثانيًا. من فضلكِ، بحق الرب، لا تخاطبيني ثانية بالسيدة مورغان!».

تهز آن رأسها وتبتسم. تخطو فتتجاوزني وترمي بنفسها على الأريكة، «أوف... آسفة! إنني أؤدي عملين معًا منذ أن تركث مساعدة بوب عملها. يطالبني بأن أدعوه السيد ميلر. صار هذا شيئًا ناجمًا عن الاعتياد». تدعك حاجبها.

أجلس على كرسي إلى جانب آن. أرفع قدميّ الحافيتين وأضعهما على طاولة القهوة. أتنهد، وأرخي عقدة شعري المشدودة. تخلع آن حذاءها وتضع قدميها على الطاولة مثلما فعلت. نتبادل نظرة تضامن، نظرة تفاهم. صحيح أننا مختلفتان من كل ناحية تقريبًا، لكننا متشابهتان أيضًا؛ امرأتان تحاولان شق طريقهما في عالم الرجال. نعمل

ضعفي ما يعمله نظراؤنا من الذكور كي نستطيع أن نتقدمهم إنشًا واحدًا.

«هذا لأن السيد ميلر شخص تافه. سأحرص على أن يحصل على مساعدة جديدة مع نهاية هذا الأسبوع. وإذا لم ير المساعدة الجديدة مناسبة له، فسأحرص أيضًا على ألّا يعمل هنا بعد الآن». أضحك وأنا أقول هذا مع أنني جادة تمامًا. بوب محامٍ جيد، لكن له ذاتًا متضخمة كثيرًا ولا يحترم أحدًا غيره إلا إذا فاقه مالًا أو سلطة.

«شكرًا، يا سارة! أنتِ جيدة معي أكثر مما أستحق».

«لا... أنتِ جيدة معي أكثر مما أستحق».

تسألني آن: «هل تعلمين من يستحق القول إنه ليس جيدًا أكثر من أي شخص؟».

«من؟».

«إنه بوب».

نضحك معًا، إحساس طيب. رأسي مدفون دائمًا في ملفات القضايا. وقد اشتقت لهذا الأمر. اشتقت إلى قضاء وقت من غير أن يكون ثقل العالم كله على كتفي أو من غير أن يكون مستقبل واحد من الناس وحياته بين يديّ.

تخرج آن هاتفها. «أوه، أحببت أن أريك هذه الصور». تفتح تطبيق الصور في هاتفها. وبإصبعها، تقلب الصفحات عدة مرات.

آخذ الهاتف منها وأنظر إلى كل صورة - رجل يجتاز الشارع، وامرأة تصعد درجات ضريح لينكولن، وصقر يحوم منخفضًا صوب بحيرة، وطفل يرفع رأسه صوب نصب واشنطن. أقول مبدية إعجابي بكل صورة: «هذا جميل يا ان. لديك عين ماهرة

جدًا».

«أشكرك، هذه ليست أكثر من هواية صغيرة أحبها».

«ينبغي أن تكون أكثر من هواية. أنت موهوبة جدًا».

يحمرُّ خداها، وتضغط شفتيها معًا بقوة لحظة أعيد لها هاتفها. يهتز هاتفي. أنهض واقفة وأذهب إلى طاولة المكتب وأرد سريعًا على رسالة آدم. اشتقت إليه. اشتقت إلينا. نتبادل بضع رسائل قصيرة. وعندما أعلم أنه سيعود في وقت متأخر من هذا المساء، يكون الأمر قد تقرر. أقول لها: «فلنذهب ونتناول بضع كؤوس».

«هل أنتِ واثقة من هذا؟ عليكِ أن تقدمي مرافعتكِ الختامية صباح يوم غد». أستطيع رؤية الأمل في عينيها، الأمل من زاوية صديقة تريد لي الأفضل. أرى أيضًا عدم ارتياحها من زاوية موظفة عندي تريد لي الأفضل أيضًا.

أبتسم ابتسامة عريضة، «بالطبع، أنا واثقة تمامًا».

تضم آن يديها معًا. «سوف أستدعي سيارة أوبر». تنهض وتضع قدميها في حذائها ثم تسير صوب باب المكتب بخطوات متوثبة قليلًا.

4
آدم مورغان

أستيقظ من رقادي على صوت انطباق باب سيارة. ظلمة دامسة داخل البيت وخارج البيت وليست لديّ أدنى فكرة عن كيفية انتهاء ليلتي مع كيلي لكنني أظن أنها انتهت بمزيد من الجنس العنيف، لأنني أحس ألمًا في قضيبي كأنني جررته على حافة الرصيف. أنظر إلى الساعة الجاثمة على الطاولة الصغيرة إلى جوار السرير فأرى أن شاشتها المضيئة الحمراء تشير إلى الثانية عشرة وخمس عشرة دقيقة بعد منتصف الليل.

أهمس لنفسي: «اللعنة على هذا».

ينبغي أن أكون الآن في البيت، مع سارة. أدعك جبهتي بيدي، ثم أدعك وجهي محاولًا تدليك أعصابي كي أوقظها. كيف صرت سيئًا إلى هذا الحد؟ لا أستطيع أن أرى أمامي أكثر من بضعة إنشات، لكنني أحس كيلي موجودة إلى جواري. أستطيع دائمًا أن أحس وجودها إلى جواري. أقرّب جسدي منها وأمر بيدي على وجنتها. إنها غارقة في نوم عميق. أهمس باسمها محاولًا إيقاظها، لكن أثر الويسكي عليها كان أشد من أثره عليّ.

أهمس بصوت أعلى قليلًا: «كيلي»، لكنها لا تتحرك. يلفت انتباهي اهتزاز هاتفها المستمر، يبعد انتباهي عنها، لكني أقرر أنني أريدها أن تظل نائمة لأنها مرهقة كثيرًا. لا أستطيع رؤيتها في الظلام، لا أستطيع رؤية شيء غير معالم جسدها العامة، جسدها الذي تضاعف حجمه. لقد لفّت نفسها بعدة بطانيات فصارت كأنها شرنقة. لا بد أنها أحست بالبرد في الليل. أنسلُّ من الفراش بهدوء، وأسير

على رؤوس أصابعي صوب جهتها من السرير. أتناول هاتفها الموضوع على الطاولة الصغيرة. أخرج من الغرفة معتزمًا إسكات الهاتف حتى لا يزعجها، لكن رسالة نصية تلفت انتباهي. ألتفت خلفي ناظرًا في الغرفة المظلمة، ثم أعود إلى الهاتف. أكتب كلمة السر: 4357. آخر رسالة أتتها من فتاة اسمها جيس.

أقرأ، *إنني آسفة*. أنظر إلى الرسائل التي سبقت رسالة جيس. كلها من سكوت، زوجها. أقرأها واحدة بعد واحدة ابتداء من الرسالة الأولى التي أتت في العاشرة وسبع عشرة دقيقة هذه الليلة.

أتمنى أن تأتي إلى البيت، إليّ.

لماذا ينبغي أن يكون الأمر هكذا؟

حبيبتي... ألا تردّين علي، من فضلك؟

أحبكِ كثيرًا. لماذا لا تستطيعين إدراك هذا؟

لم أكن أعني شيئًا من ذلك،، عليك أن تصدقيني. لن يتكرر هذا مرة أخرى. أعدكِ.

أرجوك، قولي لي أين أنتِ؟

أجيبيني فقط. سوف أتركك الليلة وشأنك.

اللعنة عليك أيتها العاهرة الغبية.

لقد كذبت عليّ. لست في العمل حتى الآن. اتصلت بالمقهى قبل قليل.

عندما أعثر عليك، ستتوسلين إليّ طالبة أن أذيقك عذاب الليلة الماضية بدلًا مما أعتزم فعله بك الآن، أيتها العاهرة الرخيصة.

تنقبض عضلاتي غضبًا، لكنني أتابع تصفح الرسائل. الشأن شأنها؛ وهي لا تريد أبدًا أي تدخل من جانبي. لكني سأقتل هذا الوغد الحقير، سأقتله هذه اللحظة لو سنحت لي فرصة.

فات الأوان. أنت الآن ذكرى قذرة.

كانت هذه آخر رسالة نصية من سكوت. كتبها هذه الليلة في الحادية عشرة وخمس وأربعين دقيقة. يا إلهي! يا له من مختلَ! أود أن أنهضها من ذلك الفراش وأحتضنها وأشدها إليّ وأطمئنها أننا لسنا كلنا أوغادًا مثل زوجها. يراودني إغراء بأن أرد عليه برسالة، لكن إغضابه آخر ما يلزم كيلي الآن. بدلًا من ذلك، أتسلل عائدًا إلى غرفة النوم وأضع الهاتف على الطاولة، أضعه مقلوبًا وأطبع قبلة على خدها.

أخرج إلى غرفة المعيشة من غير أن أضيء النور، وأرغم عينيّ على التكيف مع الظلمة إلى أقصى حد تستطيعانه. وهج ناعم منبعث من جمرات الموقد. أجتاز المطبخ مستندًا إلى سطح الطاولة الغرانيتي كي أحفظ توازني. ضوء خافت من قمر شاحب يلوح لي عبر زجاج باب البيت. أعثر على ورقة وقلم، وأكتب:

كيلي،

إنها أنت. لم تكن دائما أنتِ، لكنها ستكون دائمًا.

أنت كلمات قصة أمضيت حياتي كلها محاولًا كتابتها؛ وقد قررت الليلة كيف تكون نهايتها.

أحبك، وأحبني، آدم.

ملاحظة: تكون الخادمة هنا في التاسعة صباحًا. من فضلك، احرصي على الخروج قبل ذلك الوقت.

أترك الورقة على طاولة المطبخ وأسير صوب باب البيت. أجمع حوائجي، ثم أغلق الباب خلفي بكل هدوء. أنظر في هاتفي قبل أن أصعد إلى سيارتي الرينج روفر السوداء. صارت الساعة الثانية عشرة وثلاثين دقيقة. اللعنة على هذا! أكاد أقرر البقاء مع كيلي، لكني وعدت سارة بأن أعود الليلة إلى البيت.

مكتبة ياسمين

صحيح أنني لن أصل قبل الساعة الثانية، تقريبًا، لكني سأكون إلى جوارها عندما أستيقظ... على الأقل.

بعد أقل من ساعة، أنعطف صوب بيتنا الواقع في حي كالوراما في واشنطن. البيت القرميدي التيودوري الكبير الذي فيه ست غرف نوم وثلاثة حمامات ونصف حمام أكبر كثيرًا من أن نسكنه أنا وسارة وحدنا، وفيه من المباهاة أكثر مما يلائم طبعي. لكن سارة عشقته لحظة وقعت عيناها عليه. حديقته الخلفية الواسعة المسوّرة، وشرفته الكبيرة الرائعة هما ما أذابا قلبها. عندما اختارت هذا البيت الكبير، كنت واثقًا من أنها قد غيّرت رأيها وقررت إنجاب أطفال. حوّلنا اثنتين من غرف النوم إلى غرفتي مكتب، واحدة لها وواحدة لي. وحوّلنا غرفة نوم ثالثة إلى مكتبة، ورابعة إلى صالة رياضة. وصارت الخامسة غرفة للضيوف. لم تغير سارة رأيها.

توقفت في الفناء إلى جوار سيارة سارة. رينج روفر مثل سيارتي، لكنها بيضاء. دخلت البيت واجتزت ردهة المدخل ذات الأرض الرخامية، اجتزت السلم الواسع ودخلت المطبخ. وضعت حقيبتي الصغيرة على الطاولة، وأنرت المصباح. أخرجت من البراد زجاجة ماء، ومضيت إلى غرفة النوم الرئيسية في الطابق الثاني. الأنوار في غرفة نومنا مطفأة كلها عدا مصباح عند السرير، إلى الجهة التي تنام فيها سارة. فتحت الباب فوجدتها غارقة في نوم عميق، منبطحة على بطنها. مسترخية تمامًا. إنها ترتدي بلوزة سوداء رقيقة وبنطلونًا ناعمًا ضيقًا أسود اللون. ليس هذا ما ترتديه عادة عند نومها. توقعت أن أراها في قميص نوم. أتراها تعابثني؟

أتراها تريدني؟ أم لعلها أغفت بعد تناولها كؤوسًا كثيرة من الفودكا مع الصودا، مشروبها المفضل. شعرها الأشقر الحريري رطب مربوط خلف رأسها، كل خصلة في مكانها تمامًا. تكون مسيطرة على أمورها كلها، حتى في نومها. تتابع عيناي انحناءة ظهرها ونعومة مؤخرتها الرشيقة نزولًا إلى ساقيها المنحوتتين. لعلها أهملت أمري على مر السنين، لكنها لم تغفل أبدًا عن جسدها هذا. تتحرك قليلًا، لكنها لا تستيقظ.

أخلع بنطلوني وقميصي، لكن عينيّ لا تفارقانها أبدًا. تجعلني شديد البؤس. لكن، في الوقت نفسه، سعيدًا جدًا. أكرهها بقدر ما أحبها. هل تعلم هذا؟ هل يهمها هذا؟

أترك ساعتي تسقط على الطاولة الصغيرة فيصدر صوت مرتفع قليلًا. يصدر صوت اصطدام مرتفع بالقدر الكافي لإيقاظها. تنفتح عيناها سريعًا، ثم تسترخيان عندما تدرك أن هذا أنا. أتوقع أن تنقلب على ظهرها وأن تعود إلى النوم، لكنها لا تفعل. تضيق عيناها وتنحني شفتاها راسمتين ابتسامة صغيرة. تلقي نظرة سريعة على الساعة المنبهة على الطاولة الصغيرة إلى جواري. الواحدة وخمس وأربعون دقيقة. تنظر إليّ من جديد، لكنها لا تقول شيئًا عن وصولي المتأخر إلى البيت. تستدعيني عيناها.

أدس نفسي في الفراش. «أعلم. آسف لأنني تأخرت».

تهمس لي: «لا تكن آسفًا!»، وتربت بيدها على الفراش إلى جوارها.

أقترب منها وأطبع قبلة على خدها. يصدر عنها صوت كالهديل.

أقول لها: «اشتقت إليك».

تنظر إليّ عندما أجذبها صوبي. «اشتقت إليك أيضًا». أقبل جبهتها. تقترب مني أكثر وتشبك ساقيها بساقيّ وتريح رأسها على صدري العاري. تمر بأصابعها على بطني، صعودًا ونزولًا.

«كيف كان العمل؟».

تقول: «كان طويلًا».

يمتد الصمت فأتساءل عمّا تفكر فيه. أتراها تستذكر ملفات القضايا؟ أتراها تفكر بي؟ بنا؟ هل تستطيع رؤية الصدوع في زواجنا؟ أتريد إصلاحها أم تريد مواصلة التظاهر بأنها غير موجودة؟ مثلما أنا غير موجود... مثلما نحن غير موجودين.

تقول: «فلننجب طفلًا!». تتألق عيناها، وتنظر إليّ منتظرة ردة فعلي. لا أستطيع منع نفسي. يشرق وجهي أيضًا، وأجيبها بابتسامة كبيرة:

«هل أنتِ جادة؟ هل أنتِ واثقة من أنك مستعدة فعلًا؟ بعد كل شيء... بعد كل ما جرى. ظننت أنك لن تكوني أبدًا راغبة في إنجاب أطفال». بحثت في وجهها عن أي شيء من شأنه أن يشير إلى ما يخالف الكلمات الخارجة من فمها. كنت أتمنى دائمًا أن تصير راغبة في الإنجاب، لكني تقبلت أخيرًا أن ذلك اليوم قد لا يأتي أبدًا، فبالنظر إلى ما وقع لها...

تومئ برأسها وتقول: «نعم» وأظنها تعني ما تقول. أطلق ضحكة صغيرة تخالطها صيحة خافتة. ثم أقبّلها. لا أستطيع ضبط مشاعري. يداي تجوسان جسدها كله، ويداها تجوسان جسدي كله. تنزل شفتاي إلى رقبتها. أخلع عنها بلوزتها وأقبّل كل إنش مربع من ثدييها وجذعها. أنظر إليها فتبتسم لي. أخلع سروالها الداخلي، أقبّل وأداعب إلى أن تبلغ النشوة، ثم أجد طريقي فألجها. تلهث وتئن من

مكتبة ياسمين

تحتي. عيناها متعلقتان بعينيَ... كبيرتان، ملؤهما الأمل.

«أحبك، يا سارة».

«أحبك أيضًا، يا آدم».

ثم أنفجر داخلها. تتدحرج من عيني دمعة وحيدة لحظة أتهاوى فوقها متقطع الأنفاس مفعمًا بالأمل. لا أستطيع أن أفعل بها هذا. لا بد لي من إنهاء علاقتي مع كيلي. سارة هي زوجتي، هي عائلتي، هي قلبي كله. لم تفعل شيئًا غير أن تحبني، وحتى عندما كان ذلك حبًا عن بعد، أحبتني. أنقلب على ظهري، لكني أظل مستلقيًا إلى جوارها. تتجول يدي فوق بطنها. سارة هي أم طفلي الذي لم يولد بعد. هي تستحق المزيد، وسوف أعطيها المزيد.

أهمس لها: «شكرًا».

تقبّل سارة جبهتي وتشبك ذراعيها من حولي. «أريد هذا من أجلنا. أريد ما تريده أنت». تغمض عينيها وتعود بطيئًا إلى نومها راقدة بين ذراعيّ.

5
سارة مورغان

آدم غارق في نوم عميق إلى جواري. أبتسم وأمر بيدي على وجهه متسائلة إن كنت أفعل ما هو صائب. لكن، هكذا هو الأمر في ما يتصل بالصواب وبالخطأ؛ إنه تقدير ذاتي. هو يستحق هذا؛ أقولها مذكّرة نفسي ويدي تتلمس بطني.

كانت الفكرة في رأسي منذ أسبوع. وفي الليلة الماضية، عندما كنت أحتسي الشراب مع آن، كانت الفكرة تكتسب قوة أكبر. أريد المزيد من هذه الحياة، أريد ما هو أكثر من لقبي واسمي مكتوبين عند مدخل البناء. أريد حبًا. أريد أسرة. أن يكون لحياتي معنى. عندما يريد المرء هذا كله، فعليه أن يتخلى عن أمر ما. أنزلق خارجة من السرير وأرتدي ثوبي الحريري الأبيض. أربطه حول خصري من غير أن أشده كثيرًا. ثمة رسالة من آن لم أقرأها. إنها ظاهرة على شاشة هاتفي.

هل وصلت إلى البيت سالمة؟

أسرع إلى إجابتها:

نعم. أراك عمّا قريب.

تكتب آن:

أنا آسفة بشأن الليلة الماضية.

أتذكر اللحظة التي صار الأمر فيها غريبًا قليلًا، بيني وبين آن. أسارع إلى إزاحة الفكرة جانبًا.

لا مشكلة. جميعنا نفعل أمورًا غبية عندما نكون ثملين.

***

بعد نحو ساعتين تستقبلني آن في المكتب بفنجان

مكتبة ياسمين

قهوة ومعه ابتسامة. إنها منتعشة، تبدو منتعشة إلى حد غريب بالنظر إلى شدة سُكرها الليلة الماضية.

تبتسم ابتسامة عريضة، «يوم اثنين سعيدا!».

«نعم، إنه الاثنين. هل بوب في مكتبه؟».

تكشر وتقول: «للأسف!».

آخذ منها فنجان القهوة. «سوف أهتم بما قلناه عن بوب».

تأخذ مني حقيبتي. أسير مسرعة صوب مكتب بوب الذي يفصله عني بابان. مكتبه لطيف، لكنه لا يداني مكتبي. بدأنا العمل هنا في الوقت نفسه تقريبًا، لكني، خلافًا له، صرت شريكة. أعلم أنه شديد التحسّس بخصوص هذا الأمر. وأظن أن هذا ما جعله يحاول سرقة آن مني. عندما بدأنا العمل هنا، لم يكن يقبل حتى بأن يعتبرني منافسة له. الآن، يراني منافسة. وأنا حريصة على أن يراني كذلك. أدخل غرفته من غير أن أدق الباب فأجده جالسًا خلف طاولة مكتبه يأكل سندويتشًا بالبيض من غير اهتمام بأي شيء في العالم كله. منظره عادي لكن فيه ملمحًا غير مريح... عينان داكنتان وشعر داكن وقامة طويلة ووجه حاد التقاطيع.

«صباح الخير، يا بوب!». أجلس على كرسي قبالة مكتبه.

يومئ برأسه، ثم يضع السندويتش من يده. «تسرني زيارتك، يا سارة». ثمة لمعة في عينيه البنيتين الداكنتين.

«اسمع يا بوب، عليك أن تكف عن مطالبة آن بأن تقوم بمهام من أجلك أو أن تصور لك أوراقًا أو تجلب لك طعامًا في أي وقت من أوقات اليوم. آن مساعدتي؛ ولا يعني تعاملك مع المساعدين مثلما

تتعامل مع ملابسك الداخلية بأنّ من حقك أن تتطفل على مساعدتي. أتفهم هذا، يا بوب؟». أنظر إليه مضيّقة عيني.

«أن تتلقى راتبها من الشركة. ومن حق الجميع الاستفادة منها». يتناول لقمة رطبة أخرى من سندويتش البيض. يمضغ لقمته ويبتسم مسرورًا بنفسه.

«الحقيقة أنك مخطئ في هذا الأمر. تدفع الشركة قسمًا من راتبها، وأنا أدفع القسم الآخر».

«ها! أمر غريب! لماذا تفعلين ذلك؟».

«لأنني أعامل البشر على أنهم بشر فعلًا».

«يا للكلام الكبير!». يهز رأسه ويتابع مضغ لقمته الضخمة.

«بوب، سأقول لك ماذا سيحدث. لدينا اجتماع للشركاء عما قريب. إذا لم تكف عن لعبة سرقة المساعدين هذه، فسوف أوصي بخروجك من الشركة. لسنا في حاجة هنا إلى أي ثقل زائد لا نفع فيه». أنهض واقفة وأنظر إليه من أعلى.

«أنتِ هي الثقل الزائد».

«محاولة جيدة، يا بوب. انظر، لست في مزاج مناسب لأن تتظاهر أمامي بالقوة. لذا، كفّ عن مضايقتي في هذا الأمر وافعل ما طلب منك أن تفعله. هل هذا مفهوم؟». أتناول رشفة من قهوتي.

ينظر بوب إليّ حانقًا، لكنه لا ينطق بأية كلمة. يقذف ما بقي من سندويتش البيض في سلة القمامة. أخرج من مكتبه وأعود إلى مكتبي. ان جالسة خلف طاولة مكتبها تسجل مواعيد المكالمات الهاتفية. أومئ لها برأسي فتجيبني بابتسامة. باقة ضخمة من ورود حمراء موضوعة على مكتبي.

أنحني فوقها وأستنشق عطرها. لا أستطيع منع نفسي من الابتسام. أقرأ ما على البطاقة المربوطة إلى الباقة.

سارة، إنها أنت دائمًا. أحبك، أدم

«يا لها من ورود جميلة!». آن واقفة بالباب ترمي الورود بنظرة إعجاب.

تفلت يدي البطاقة وأقول لها: «شكرًا. إنها من آدم».

«جيد. آمل فعلًا أن تكون من زوجك. فمَن غيره يرسل إليكِ زهورًا؟ ما مناسبتها؟».

أبتسم ابتسامة خجلى. «أوه، لا شيء. نحن نحاول إنجاب طفل».

«ماذا؟ أوه، يا ربي!». تندفع آن متحمسة وتدخل مكتبي.

أسمع صوتًا يقول: «طفل! ألا تعنين نوعًا من زينة منزلية تافهة؟». أعرف الصوت على الفور. ماثيو واقف بالباب مرتديًا كنزة محبوكة وبنطلونًا من القطن. يبدو نسخة هزيلة من براد بيت، نسخة بشعر أشقر متسخ مشعث بطريقة لا سبيل إليها إلا عبر قصّة شعر ثمنها مئتا دولار. عيناه زرقاوان كابيتان تجذبان المرء إليهما بطيئًا فلا تصعقانه مباشرة... يستطيع الاستمتاع بما تبثانه من سحر متمهل.

يتهادى ماثيو في مشيته ويعبر الغرفة في اتجاهي بخطوات تكاد تكون خطوات عارض أزياء. إنه قادر على تحويل أية غرفة يدخلها إلى خشبة مسرح. هكذا يسيطر على الغرفة. وهذا هو السبب الذي يجعلهم يدفعون له مبلغًا ملكيًا كي يدافع عن مصالح شركة لصناعة الأدوية تتغير من وقت إلى وقت بحسب من يدفع له أكثر. كنت وماثيو

صديقين منذ أيام دراستنا القانون في جامعة ييل، لكن سنة انقضت منذ أن رأيته آخر مرة.

يعانقني وأعانقه من غير أن تضطرب رشاقة حركته. «أوه، يا ربي! ماذا تفعل هنا؟».

يقول: «وصلت يوم أمس». يتراجع قليلًا لكنه يظل رافعًا يديَّ في الهواء. «دعيني أراكِ!». أدور قليلًا أمامه فيبدي إعجابه: «لا تزالين رائعة».

أنظر إلى آن الواقفة على مسافة أقدام معدودة منا. يدها قابضة على مرفقها كأنه لا محل لها هنا أبدًا. أسأله: «ألا تتذكر مساعدتي؟».

«بالطبع». يسير ماثيو صوب آن ويمد لها يده، «اسمكِ آنا، أليس هذا صحيحًا؟».

تومئ برأسها وتصافح يده الممدودة إليها.

أصحح له: «لا، يا ماثيو. إنها آن، لا آنا». ينبغي أن تتعلم آن كيف تعبر عن نفسها.

«آسف جدًا يا آن. أمر رائع أن أراكِ مجددًا». يسير بخطواته الراقصة ويجلس في مقعدي. «أرى أنك لا تزالين محتفظة بأكبر غرفة مكتب في هذا المبنى».

«هل كنت تتوقع غير هذا؟». أسأله وأرفع حاجبي.

«مستحيل. لن أتوقع من سارة مورغان أي شيء مختلف. لكن، هل تعتزمين أن ترمي بهذا كله جانبًا من أجل طفل يسلّيكِ؟ مؤسف!». يهز رأسه ممتعضًا.

تقول آن: «تسلية تافهة؟!». تتقدم صوب ماثيو خطوتين.

أقول لها: «لا أنصحك بسماع الإجابة. لا تحاولي أبدًا جعله يبدأ الآن».

يلف ماثيو ساقًا على ساق ويميل إلى الأمام، «لديَّ نظرية تقول إن الحيوانات والأطفال تسلية تافهة في حياتنا. لطيف أن ننظر إليهم، وممتع أن نجمعهم،

لكنهم من غير أية فائدة حقيقية».

تقول آن متقززة: «هذا فظيع».

يسألها: «هل هو فظيع فعلًا؟ لماذا تجعلين نفسك مثقلة بأعباء تبطئ خطواتك؟ على الأقل، أنا لست أنانيًا لأنني أبحث عما هو في مصلحة سارة».

«قلت لك إن كلامه لن يعجبك. أحب كل شيء في ماثيو، عدا هذا». أميل فوق طاولتي وأربت على ركبته. أضحك وأقول: «هذا عيبه الوحيد».

يضيف: «وأنا مِثليٌّ أيضًا». يقول هذا مع ابتسامة عريضة.

«هذا ليس عيبًا فيك».

«إنه عيب في نظركِ». يغمز لي بعينه، ثم يدغدغ خصري.

تبتسم آن، «لا بأس! أرى أن محاولتكِ أنت وآدم إنجاب طفل أمرٌ رائع».

«هل هو رائع؟ هل أنا مجنونة؟». أنظر إلى آن وماثيو مستوضحة.

يقول ماثيو: «نعم».

تقول آن: «لا، أبدًا! لماذا تقولين هذا؟».

«لست أدري. لم أرد الإنجاب من قبل، أبدًا... لم تكن طفولتي مثالية». يومئ ماثيو برأسه موافقًا على كلماتي. «لكن هذا الإحساس أتاني عندما كنت جالسة في ذلك المقهى الأسبوع الماضي. رأيت امرأة تدفع أمامها عربة فيها طفل، فأحسست وخزة غيرة وأحسست أنني في حاجة إلى طفل لي أنا. والان، أظن أن الوقت قد تأخر على ذلك».

«الوقت لا يكون متأخرًا أبدًا. هناك برامج للخصوبة، وللتبني أيضًا». تمنحني ابتسامة تشجيع.

يقول ماثيو: «فلنأمل أن يكون الوقت قد تأخر».

مكتبة ياسمين

أرشقه بنظرة حادة طالبة أن يكف عن هذا. وترميه آن بنظرة صارمة.

«أنا الآن في الثالثة والثلاثين. أعني... هل لديّ من الطاقة ما يكفي لأن أكون أمًا؟».

تجيبني آن: «هل تمزحين معي؟ لديك طاقة كبيرة جدًا، يا سارة. تتابعين السير والسير. تكونين هنا قبل السابعة صباحًا، ولا تتركين المكتب إلا بعد السادسة من كل مساء، بل أكثر من ذلك أحيانًا. ذلك الطفل المحظوظ لن تكون لديه طاقة كافية لأن يواكبكِ».

«هذا هو الأمر الوحيد الذي يمكن الاتفاق فيه مع آن؛ لديكِ كمية جنونية من الطاقة». يقول ماثيو هذا فأبتسم لهما.

لقد أنجزت الكثير في عملي، وحققت أمورًا لن يستطيع أكثر الناس تحقيقها. دافعت عن سياسيين فاسدين، وعن قتلة، وعمّن يغسلون الأموال. أدرت فرقًا قانونية في شركات كبرى. وساهمت في بناء شركة المحاماة هذه من الصفر. لكن، لسبب من الأسباب، وعلى الرغم من كل ما أنجزته، يظل الأمر الوحيد الذي يثير ذعري هو أن أصبح أمًا... شيء ينبغي أن يكون طبيعيًا. أقول صادقة: «أشكرك، يا آن». أرشق ماثيو بهذه العبارة: «لست أشكرك أنت، يا ماثيو».

يضع يده على صدره بحركة مسرحية متظاهرًا بأن قلبه قد انكسر.

تسألني آن: «ما رأي آدم في هذا كله؟».

«لم أره يومًا أسعد حالًا».

يفتح ماثيو عينيه متفاجئًا، «لماذا لا يفاجئني هذا؟».

«ما الذي تريد قوله؟». أبتعد عن طاولة المكتب.

«أعلم أن ما من جديد في مساره المهني. لذا، سيجعله إنجاب الطفل يحس أن حياته قد صار لها معنى من جديد. هذا هو السبب الوحيد الذي يمنع انقراض جنس البشر، لأن الناس الذين لا غاية لهم في الحياة يتناسلون». يقول هذا من غير اكتراث.

ينفتح فم آن دهشة.

أنا معتادة جدًا على أن أسمع من ماثيو هذه الآراء العجيبة. أقسم أنه لا يقول تلك الأمور إلا كي يتميز عن بقية الناس، لكنني تعلمت كيف أحرمه من هذا التميّز. أسأله متجاهلة ما قاله: «ما الذي أتى بك إلى واشنطن؟».

«عقد هنا مدته ستة أشهر. سوف ترينني هنا كثيرًا». يغمز لي بعينه.

تقول آن ساخرة: «ألسنا محظوظين؟». سوف نألف وجوده.

«أنتِ محظوظة، يا عزيزتي». يسير ماثيو إلى رف الكتب ويبدأ النظر إليها.

تقول لي آن إنها ذاهبة للتأكد من أن كل شيء جاهز من أجل جلسة المحكمة في وقت لاحق من هذا الصباح. لقد استهلكتني هذه القضية المهمة خلال السنة الماضية كلها. آمل حقًا أن تنتهي. سوف أصير قادرة على التركيز على آدم. تخرج آن وتغلق الباب من خلفها.

يقول ماثيو: «أخيرًا».

«توقف عن هذا!». أتناول بضع أوراق كانت على مكتبي وأبدأ تقليبها.

«إنني أمازحها، لا أكثر. وقد أزعجتها تمامًا». يجلس على كرسي قبالة مكتبي.

مكتبة ياسمين

أطلق ضحكة صغيرة وأقول له: «أعلم هذا. أعلم تمامًا كيف أنت».

«أنا أختبر الناس دائمًا. إذا كانوا غير قادرين على التعامل معي في أسوأ أحوالي، فهم لا يستحقون أحسنها». قال هذا وشمخ برأسه عاليًا.

«لكن، ليس لديك شيء اسمه أحسن أحوالك، يا ماثيو».

يقول ضاحكًا: «هذا هو السر الذي يكتشفونه بعد أن يفوت الأوان. الآن، وبما أنني باقٍ في المدينة حينًا من الزمن، فهل سيكون لديكِ وقت من أجلي؟». يرفع حاجبه مستفهمًا.

«لستُ مضطرًا حتى إلى السؤال».

مكتبة ياسمين

6
آدم مورغان

أفتح عينيّ فأجد أن سارة قد ذهبت. لأول مرة منذ زمن بعيد، أستيقظ على إحساس ينبئني بأنني في أحسن حال... إحساس بأن كل شيء يسير على ما يرام. أخيرًا، أرادت سارة ما أريد: تكوين أسرة. نحن الآن على موجة واحدة. طيلة الوقت، كنت متقدمًا عليها بخطوات كثيرة؛ وقد لحقت بي الآن. آمل أن تخفف قليلًا عملها في الشركة وتركز على إنشاء أسرة. لديّ إحساس يقول لي إن ما فعلناه الليلة الماضية سينجح، وإننا سنستقبل فردًا جديدًا من أسرة مورغان بعد تسعة شهور ونرحب به في هذا العالم. هذا ما هو مقدّر لي أن أكونه؛ أن أكون أبًا!

أنسلُ خارجًا من الفراش وأرتدي سروالي الداخلي الذي كان مرميًا على الأرض إلى جانب الطاولة الصغيرة المجاورة للسرير. أخطو مترنحًا قليلًا. أنظف أسناني وأعيد ترتيب الفراش، ثم أرشق حفنتي ماء على وجهي. سوف يكون هذا النهار جيدًا. الساعة الآن الحادية عشرة والنصف. يعني هذا أنني أطلت النوم أكثر قليلًا مما أردت، لكن هذا لا أهمية له لأن هذا اليوم هو اليوم الأول من تتمة حياتي.

أتذكر عندما أكون نازلًا إلى الطابق السفلي فيفاجئني الأمر كأنه صفعة. كيلي... اللعنة عليّ! ما كان عليّ أن أفعل هذا. ما كان عليّ أن أكتب تلك الورقة. كان عليّ أن أنهي الأمر الليلة الماضية. أعود فأصعد السلم كي اتي بهاتفي. يرن جرس الباب لحظة أضع يدي على الهاتف. أسارع إلى ارتداء بنطلون وقميص خفيف، وأدس الهاتف في جيبي.

مكتبة ياسمين

جرس الباب يرن من جديد.

«يا ربي! إنني قادم!».

بضع ضربات قوية على الباب.

«انتظر لحظة!». أمضي في الممر، وأنزل السلم. أبلغ باب البيت. أفتح الباب فأجد خلفه رجلين مرتديين ملابس متماثلة: بدلتي شرطة مع الأحزمة وقبعتين عريضتي الحافة. ملمح وجهيهما متماثل أيضًا: وجهان صارمان، متوتران... أم، أيكون هذا تقززًا، أو انزعاجًا؟ حقًّا، لست أدري. أدعك عينيّ. يتكلم أولًا الرجل الواقف إلى اليسار، رجل أبيض طويل القامة له وجه صارم وعينان خضراوان ثاقبتان.

يسألني: «أنا الشريف رايان ستيفنز. هل أنت آدم مورغان؟».

أومئ برأسي إيجابًا.

بعد ذلك، يتكلم الواقف إلى اليمين، رجل أسود أطول قامة من صاحبه له كتفان عريضتان ووجه كأنه منحوت من صخر: «أنا مساعد الشريف الشرطي ماركوس هدسون. نريد أن نطرح عليك بضعة أسئلة عن مكان وجودك مساء أمس».

«ما الأمر؟». أضع يدي على الباب وأتبادل نظرات سريعة مع كل من الشريف ومساعده. أرى سيارتي شرطة متوقفتين في الشارع.

«لا نريد منك غير الإجابة عن بضعة أسئلة». يكرر الشريف ستيفنز قول ذلك بمزيد من الصرامة ونفاد الصبر.

أتراجع إلى الخلف خطوة. لا أزال ممسكًا بحافة الباب. «ماذا يجري هنا؟». يظهر الاضطراب على وجهي ويتغضن حاجباي. أحاول أن أبقى هادئًا.

أحاول أن أتمالك نفسي. لكن قول هذا أسهل من فعله عندما لا تكون لدى المرء أية فكرة عما جعل اثنين من رجال إنفاذ القانون يظهران عند بابه من غير سابق إنذار.

يقول لي الشريف ستيفنز كأنه يقترح أمرًا: «قد يكون هذا أكثر سهولة إذا ذهبنا إلى مركز الشرطة».

«كيف يكون أكثر سهولة؟ ما الذي يجري، بحق الجحيم؟ هل سارة بخير؟ هل أصابها شيء؟». على الدوام، تكون سارة أول من يتجه إليها تفكيري. إنها محامية معروفة لها عدد من الأعداء... هذا ناتج عن طبيعة عملها. تلقت فيما مضى تهديدات بالقتل. ضايقها البعض، بل إنها تعرضت لاعتداء جسدي ذات مرة. أعلم أنها تعمل الآن على قضية كبيرة، لكنني لست واثقًا من التفاصيل... هذا لأنني لم أسألها أبدًا. كان ينبغي أن أسألها.

يقول الشريف ستيفنز: «يا سيد مورغان! حاول أن تبقى هادئًا».

«اللعنة على هذا! سوف أتصل بزوجتي». أخرج هاتفي من جيبي وأحاول إغلاق الباب. يضع الشريف ستيفنز قدمه على الباب حتى لا ينطبق، ثم يندفع مع هدسون داخلين البيت.

«اخرجا من بيتي على الفور!».

يندفع الشرطيان صوبي ويمسكان بي. يطويان ذراعي خلف ظهري. يسقط هاتفي على الأرض قبل أن أفلح في طلب الرقم. أقاومهما. أعلم أنك عندما ترى شخصًا يقاوم الشرطة، فأنت تقول في نفسك دائمًا (عندما تكون متفرجًا): «إنه شخص أحمق. لا تقاوم الشرطة. لا يمكن أبدًا أن تخرج من تلك المعركة فائزًا!» أما عندما تجد نفسك في ذلك الموقف، عندما لا تكون لديك أية فكرة عما يجري

حولك، ولا تعلم إن كان من تحبهم بخير، ولا تعلم ماذا يحدث... فأنت تقاومهم بكل ما تستطيع.

أدفع الشريف ستيفنز فيسقط على الأرض. تتحرر ذراعي. يغمغم الشريف بشيء من قبيل: «أيها الوغد!» وينهض واقفًا من جديد. ينقضّ عليّ. لا يزال هدسون ممسكًا بإحدى ذراعي خلف ظهري.

«لا بأس! لقد اكتفيت من هذا الهراء!». يضربني نائب الشريف هدسون على وجهي بركبته. أسقط أرضًا. يتدفق الدم من أنفي فيشكّل بركة تحتي، على الأرض. يضغط نائب الشريف هدسون بركبته على ظهري في حين يكبّل الشريف يديّ.

يطلق الشريف ستيفنز ضحكة صغيرة ويقول: «كان لا بد لك من فعل هذا، أليس كذلك؟».

«اشتقت إلى أن أتسخ قليلًا». يقول نائب الشريف هذا مبتسمًا. أظنه كان مبتسمًا لأنني لا أستطيع رؤية وجهه.

يقف نائب الشريف هدسون وينفض الغبار عن ملابسه. يُنهضني الاثنان قليلًا فأصير جاثيًا على ركبتيّ، «هل أنت الآن مستعد للذهاب معنا إلى مركز الشرطة؟ أنت، أيها القذر؟».

أبصق الدم على قدميه. «اللعنة عليك! سوف تندم على هذا!». أنظر إليه حانقًا.

يجيبني: «أشك في ذلك. الآن، لديك الحق في أن تلتزم الصمت...».

***

بعد ساعتين من ذلك، أجد نفسي وحيدًا في غرفة استجواب صغيرة. فنجان قهوة بائت على الطاولة أمامي. على الجدار إلى يساري، مراة ضخمة... نافذة زجاجية تسمح بالرؤية من الخارج فقط. أدفن رأسي

بين يديّ. قدمي تنقر على الأرض بتوتر متزايد مع تزايد نفاد صبري.

أصرخ في الغرفة الخالية: «أريد إجراء اتصال هاتفي. من حقي أن أجري اتصالًا هاتفيًا».

ينفتح الباب ويدخل الشريف ستيفنز ونائبه هدسون حاملين كأسي قهوة من السيتروفوم.

يضع الشريف ستيفنز زجاجة ماء بلاستيكية على الطاولة أمامي. «أتريد أن تشرب؟».

أرفع الزجاجة إلى فمي وأتجرعها كلها. أسحق الزجاجة الفارغة، ثم أقذف بها إلى سلة المهملات عند الباب. يجلس الاثنان على كرسيهما قبالتي... يجلسان من غير استعجال. يتبادلان نظرات عابرة ويرتشفان القهوة من كأسيهما. إنهما يحاولان أن يظهرا هادئين، لكن وجهيهما المتوترين وعيونهما المرهقة تشير كلها إلى حقيقة أنهما غاضبان.

«أريد إجراء مكالمة هاتفية!». لا أزال من غير أية فكرة عن سبب وجودي هنا. لقد أساء هذان الوغدان معاملتي قليلًا وألقيا بي في المقعد الخلفي في سيارة شرطة. لم يوجّها إليّ أي اتهام؛ وأنا جالس في هذه الغرفة منذ أكثر من ساعة. لست أدري إن كانت سارة بخير. لست أدري ما علاقتي بهذا الأمر كله.

يسألني الشريف سيتفنز: «يا سيد مورغان، أأستطيع مخاطبتك باسمك الأول، آدم؟». يسألني كأننا صديقان قديمان، كأنه يحاول التباسط معي. هذان الوغدان التافهان! لقد سئمت هذا! لا أريد شيئًا غير معرفة ما يجري. لذا، أومئ له برأسي من غير حماسة.

«هذا جيد! لا بأس، في وسعك أن تدعوني رايان، وأن تدعو هذا الرجل...» يربت على ظهر مساعده،

مكتبة ياسمين

«في وسعك أن تدعوه ماركوس. الآن، نحن هنا كي نطرح عليك بضعة أسئلة. نأمل أن تقرر التعاون مع تحرياتنا... عكس سلوكك السابق. هل تفهم هذا؟».

أستنشق نفسًا عميقًا وأدعك جبهتي بيدي محاولًا تخفيف الصداع الذي داهمني. أقول: «أجل».

يسألني الشريف ستيفنز: «ممتاز! والآن، هل تستطيع إخبارنا أين كنت ليلة أمس؟».

تجول عيناي في الغرفة. «كنت في بيتي الذي عند البحيرة -بحيرة ماناساس- وبقيت هناك حتى منتصف الليل تقريبًا. بعد ذلك، عدت إلى البيت بسيارتي».

يومئ الشريف برأسه. يخرج نائبه هدسون من جيب قميصه قلمًا ودفترًا صغيرًا ويكتب فيه ملاحظاته. «هل كنت وحدك في بيت البحيرة؟».

«لا».

«من كان معك هناك؟».

«ما علاقة هذا بأي شيء؟ أريد محاميًا... على الفور. لن أجيب عن أي سؤال قبل أن أعلم ماذا يحدث، قبل أن أعلم سبب وجودي هنا». أنهض واقفًا فتنقلب الكراسي وتسقط على الأرض. تهتز الطاولة. تنسكب القهوة من كوبيهما. على الفور يندفع شرطيان آخران على غرفة الاستجواب، ويمسكان بي.

أسرع نائب الشريف هدسون فدفع كرسيه إلى الخلف. اندفع في اتجاهي وأمسك بي من رقبتي. جحظت عيناه وضغط على شفتيه مقرِّبًا وجهه مني حتى صار على بعد إنشين مني، وقال: «اسمع، أنت... أيها الخراء! لقد ماتت كيلي سامرز طعنًا في سريرك. لعلك صرت الآن راغبًا في أن تبدأ بإخبارنا

عما حدث حقًا! هذا لأن أيامك باتت معدودة نظرًا لما صار لدينا من أدلة». دفعني فألصقني بالجدار، في حين كان الشريف ستيفنز يشدّه كي يبعده عني ويحاول تهدئته. «لن أكون هادئًا معه. لقد كانت كيلي فتاة طيبة. كانت كأنها قريبتي، ثم أتى هذا الثري الحقير إلى بلدتنا وقتلها. اللعنة عليه!». خرجت الكلمات متدافعة من فم الشرطي هدسون. ظهرت قطرات عرق على جبهته.

«ما... ماذا؟ ما هذا الذي تقول؟ كيلي؟ كانت بخير عندما تركتها». قلت هذا مسرعًا، مختنقًا بكلماتي نفسها... «كيف؟ كيف حدث هذا؟». انهرت وسقطت على الأرض. دارت الغرفة بي. تركني الشرطيان أسقط وتراجعا إلى الخلف خطوة.

مَن يمكن أن يؤذي كيلي؟ تلك الرسائل النصية من زوجها. أتذكرها، وأتذكر أن كل واحدة منها كانت منبئة بالخطر إلى أن وصل أخيرًا إلى تهديدها. لا بد أنه هو من فعلها. «إنه زوجها. لا بد أن يكون زوجها. تحققوا من هاتفها. تحققوا من الرسائل النصية في هاتفها». قلت هذا متوسلًا إليهما، محاولًا استجماع شتات نفسي، محاولًا أن أفهم شيئًا من هذا كله.

يرفع هدسون إصبعه في وجهي مباشرة، «إياك أن تتكلم عن زوجها!».

يدفعه الشريف ستيفنز فيبعده عني. يستدير في اتجاهي ويقول: «نحن ننظر إلى الأمر من جوانبه كلها. لكن، وكما قال لك مساعدي بكل وضوح، وضعك لا يبدو حسنًا على الإطلاق».

«لا يمكن أبدًا أن أوقع بكيلي أي أذى. أنا، أنا، لا أستطيع هذا. لقد أحببتها». أدفن وجهي بين يديّ.

يجيبني الشريف ستيفنز بشيء من التهكم: «هذا جيد جدًا! ما رأيك في أن تسير خلف واحد من

هذين الشرطيين كي تذهب وتتصل بزوجتك؟».

مكتبة ياسمين

7
سارة مورغان

أنهض واقفة وأستنشق نفسًا سريعًا. ألتفت خلفي ناظرة إلى ماثيو وآن. إنهما جالسان في الصف الأمامي. يمنحني كل منهما ابتسامة تشجيعية. أومئ برأسي في اتجاههما إيماءة خفيفة، وأسوّي ياقة سترتي، ثم أسير صوب منصّة المحلفين. قبل أن أبدأ كلامي، أنظر في عيني كل واحد منهم.

«لقد تولى السيناتور ماكالان وظائف عامة على امتداد خمسة وعشرين عامًا. وخلال خمسة وعشرين عامًا، لم يحدث مرة واحدة...» رفعت إصبع يدي اليمنى مشددة على ما أقول: «لم يحدث أبدًا أن كانت شخصيته أو مهنيته موضع تساؤل. لقد عرضنا عليكم شهودنا، وأثبتنا كل ما قالوه. لم يحدث أبدًا أن تلقّى مالًا. لم يحدث أبدًا أن أساء أو انتقص من أي شخص آخر. لم يحدث أبدًا أن استخدم سلطته لمنفعته الخاصة أو تنازل عن مبادئه».

أضع يدي على كتف موكّلي. «هذا الرجل واحد من معالم الخدمة العامة المضيئة النادرة في مستنقع من الأكاذيب والفساد والصفقات التي تجري تحت الطاولة. خدمته المثالية نفسها هي التي أدت به إلى هذا الوضع الذي هو فيه اليوم، وذلك لأنه مذنب في أمر واحد فقط... مذنب في أنه لم يتراجع». أنظر إليه نظرة تشجيع سريعة محاولة أن أطمئنه، ثم أعود إلى منصة المحلفين.

«إن السيناتور ماكالان يرأس الان اللجنة الفرعية الخاصة بالطاقة المتجددة، وهذا ما يؤيده الخبراء والشعب الأميركي ولا تؤيده شركات النفط الكبرى».

مكتبة ياسمين

أقول هذا مشيرة إلى الرجلين الجالسين في مقاعد الجمهور مرتديين بدلتين جميلتين أنيقتين وربطتي عنق فاخرتين مزينتين بالمجوهرات. أعبر البوابة المتأرجحة الفاصلة بين ممثلي الادعاء العام وبين الطاولة التي يجلس إليها موكلي المتهم، وأتوقف في الممر المجاور. «هذا هو الرجل الوحيد الذي كانوا يخشون جانبه. إنه الرجل الوحيد الذي أدركوا أنهم لا يستطيعون إزاحته من طريقهم بالرشوة... الرجل الوحيد الذي لم يتمكنوا من العثور على ما يتهمونه به كي يستطيعوا ابتزازه وإسكاته».

أعود صوب هيئة المحلفين، وأتوقف لحظة أمام طاولة النيابة العامة. «إذًا... فماذا فعلوا؟ لقد اختلقوا شيئًا من عندهم!». أشير إلى الشاهدة الرئيسية إشارة لطيفة. إنها المرأة التي بدأ هذا كله من عندها. سيكون عليّ أن أكون حذرة في هذا الجزء. «... علينا ألّا نغضب من هذه المرأة نتيجة مزاعمها الكاذبة. علينا ألا نغضب من هذه المرأة نتيجة محاولتها جرجرة السيناتور ماكالان إلى الوحل...». أرميها بنظرة تعاطف محاولة التعبير عن أنني أعني حقًا ما قلته في هذا الجزء... «لأنها ليست أكثر من بيدق في اللعبة. هي ليست من يحرك الدمى. لقد أثبتنا أن لها صلات بموظفين كبار في شركة بيترونكست، وعثرنا على الخط 'السري' الذي يحوّل الأموال إلى حسابها المصرفي الجديد تمامًا. سيداتي وسادتي أعضاء هيئة المحلفين: إن لم تكن هذه هي لعبة الدفع من أجل تلطيخ السمعة، فلست أدري ما هي. نحن متعاطفون معها. نحن متعاطفون حقًا. لكن عليكم أيضًا أن تروا الأمر على حقيقته. كذب. خيال محض. اتهامات كاذبة أتوا بها يانسين كي يوقعوا بالرجل الوحيد الذي لم يعرفوا كيف يرشونه ويجعلونه معوجًا مثلما أرادوا. موكلي

مكتبة ياسمين

مذنب في أمور كثيرة، مذنب في الكفاح من أجل الشعب الأميركي وفي البقاء وفيًا لكلمته وفي كونه رجلًا ذا طبع نبيل. أما أن يكون قد اغتصب هذه المرأة؟! في هذا الأمر، هو ليس مذنبًا من دون أي شك. أهيب بكم أن تعتبروه غير مذنب. شكرًا لكم».

8

آدم مورغان

يرافقني الشريف ستيفنز إلى هاتف ذي حصالة معلق على الجدار عند منتصف ممر طويل. الشرطي هدسون يسير خلف الشريف متأخرًا عنه خطوات قليلة. إنه يراقب كل حركة من حركاتي.

يأمرني الشريف ستيفنز وهو يتوقف عند الباب: «فلتكن مكالمة سريعة!».

أرفع سماعة الهاتف وأحملها إلى أذني. أغمض عينيّ لحظة وأستنشق نفسًا عميقًا. كيف أستطيع إخبارها بما حدث؟ كيف استطعت أن أفعل هذا بها؟

أفتح عينيّ وأطلب رقم سارة المحمول.

يرن الهاتف ويرن، ثم أسمع صوتها، لكن هذا بريدها الصوتي. أفكر في أن أترك لها رسالة لكني أخلص إلى أنني لا أستطيع إخبارها عبر البريد الصوتي بأنني خنتها وبأنهم يشتبهون في أنني قتلت عشيقتي. أدير ظهري إلى الشريف ستيفنز والشرطي هدسون. إنهما يتجاذبان أطراف الحديث من غير أن يغفلا عن مراقبتي.

يقول الشرطي هدسون: «أسرع، يا سيد مورغان».

ألوّح صوبه بيدي من غير اهتمام. أعيد طلب رقم سارة، لكنها لا تجيب. اللعنة على هذا! أنهي المكالمة، ثم أطلب رقمًا مختلفًا.

تقول إليانور بنبرة توجّس: «مرحبًا!».

«ماما... أنا في ورطة. وأنا في حاجة إلى عونك».

مكتبة ياسمين

9

سارة مورغان

أتناول رشفة من كأس الشامبانيا، الكأس التي كنت جديرة بها حقًا بعد انتهاء القضية، فلأكثر من سنة، عملت في الليالي وفي عطلات نهاية الأسبوع وسافرت جيئة وذهابًا إلى تكساس. آن تقضم قطعة من خبز النان الهندي، وماثيو يشرب سعيدًا كأسًا من كوكتيل الفودكا.

«عليّ القول، يا سارة، إنني تأثرت كثيرًا بأدائك. لم أركِ في أية مرافعة منذ تلك المحاكمات غير الحقيقية في جامعة ييل». يرفع ماثيو كأسه، «فلنشرب كأس لسان سارة الحاد!». أرفع كأس الشامبانيا. وترفع آن كأسها. نقرع كؤوسنا معًا ونشرب.

تقول آن ضاحكة: «مشاهدتها عندما تقدّم مرافعتها هي أكثر ما أفضّله في هذا العمل. يشبه هذا متابعة لحظة الذروة في حلقة من حلقات مسلسل القانون والنظام». آن ليست ممن يكثرون الشرب. لذا، يكفي عادة أن تشرب كأسًا أو كأسين حتى ينطلق لسانها. تمسح فمها بمنديل وتعود إلى أكل خبزها كي يخفف عنها بعضًا من أثر الكحول الزائد.

«ولكن، هل تعتزمين حقًا ترك القانون والمضي في ذلك الأمر الذي هو مضيعة للوقت؟». يغمض ماثيو عينيه قليلًا وهو يتناول قضمة من الأرز.

«لن أترك القانون. أستطيع الاهتمام بالأمرين معًا». أنظر إليه رافعة حاجبي.

«هل أنت واثقة من هذا؟». يرفع حاجبه مثلما رفعته.

«أنا واثقة». أشرب بقية الشامبانيا، ثم أملأ الكأس

من جديد.

ينفخ نفخة استياء. «جيد. جيد. جيد. الظاهر أنني سأصير العم ماثيو. سيكون على أحدهم أن يعلّم ذلك الجنين كيف يكون رائعًا». يرفع كأس الفودكا إلى شفتيه. «هل أطلب كؤوسًا من الويسكي كي نحتفل؟».

تقول آن معابثة إياه: «أنت شخص سيئ».

أقول: «أوه، إنه شخص...» يرن هاتفي فيقاطعني. أخرجه فأرى على شاشته، بحروف كبيرة، أن الاتصال من إليانور. على الفور، أحس بغصّة في حلقي. أبتلع ريقي بقوة كي أبتلع الغصة معه. لا أريد الكلام معها الآن. أكاد أمتنع عن الإجابة، لكن شيئًا في داخلي يحثني على تلقي المكالمة.

«سارة مورغان». أقولها بنبرة مهنية مبالغ فيها محاولة أن أجعلها تحس أهميتي.

«سارة... آدم يحاول الاتصال بكِ. لماذا لا تردّين على اتصال ابني؟». إن في صوت إليانور شيئًا مزعجًا، شيئًا يضايقني. ما الجديد الآن؟

«كنت في المحكمة».

«أوه، صحيح... نسيت أنكِ تعملين».

تتسع عيناي دهشة. «ماذا تعنين بقولك إنك نسيتِ؟ لم ينجز آدم كتابًا واحدًا منذ أربع سنين. فمن تظنين أنه...». أقرر عدم إكمال جملتي لأنه لا معنى لقول ذلك. تكره إليانور حقيقة أنني أعمل. لست أدري أبدًا إن كان مقتًا لي أم هو تقيُّدها بالتوزيع التقليدي البالي للأدوار بين الجنسين.

«ليس الأمر هكذا. آدم في حاجة إليك. إنه في مركز شرطة مقاطعة برنس ويليام».

تهمس لي آن: «اأنت بخير؟». أومئ لها برأسي.

يرتشف ماثيو شرابه الذي أتته به النادلة منذ لحظات.

«انتظري، ماذا؟ في فيرجينيا؟ ماذا جرى؟ هل هو بخير؟». تتداخل أفكاري وتتشابك كأنه قد أُلقي بي في خلاط سريع.

«لست واثقة من الأمر. لكنه أمر خطير. عليك أن تذهبي إليه. أحاول الآن العثور على رحلة بالطائرة، الليلة أو غدًا».

تضع آن الشوكة من يدها وتصغي منتبهة. يميل ماثيو مقتربًا مني.

«لا بأس! سوف أذهب الآن». يظهر الذعر في صوتي.

تنتهي المكالمة الهاتفية. أتجمد في مكاني غير عارفة ما ينبغي فعله.

تنتزعني آن من ذلك التجمد، إذ تسألني: «سارة... ما الذي يجري؟».

«إنها والدة آدم. وهو... هو في حاجة إليّ. عليّ أن... عليّ أن أذهب». أنهض واقفة وأرتدي سترتي الرسمية السوداء.

ينهض ماثيو أيضًا، «أنا آتٍ معك».

أومئ له برأسي، لكن بحركة آلية. لا أدري ما الذي أفعله. إنني أفعله فحسب. أضع هاتفي في حقيبة يدي الفاخرة. وقبل أن أذهب، أضع على الطاولة ثلاث أوراق نقدية من فئة مئة دولار ثمنًا لوجبة غدائنا.

«أستطيع تولي هذا الأمر». تحاول آن إعادة النقود إليّ.

«لا. ما عليك إلا أن تنهي طعامك وتعودي إلى المكتب. أنا واثقة من أن الأمر بسيط. أنا واثقة

من أن كل شيء على ما يرام. سوف أعود بعد ساعتين». في داخلي، كنت أدرك أن الأمر ليس على ما يرام. قد لا تعود الأمور إلى سابق عهدها... أبدًا.

«لا بأس! سوف ألغي اجتماعاتك هذا اليوم. من فضلك، لا تقلقي بشأن أي أمر يخص المكتب. اهتمي فقط بما هو جارٍ الآن، وأبلغيني بما يستجد». أعض على شفتي وأومئ برأسي. أندفع مع ماثيو خارجين من المطعم.

بعد ساعتين من ذلك أجد نفسي وجهًا لوجه مع رجل اسمه الشريف رايان ستيفنز. إنه مطابق للوصف التقريبي لمليون رجل على هذا الكوكب. شعر بني شائب قليلًا ومسرّح إلى الخلف مثلما يسرّح شعرَه كل عسكري سابق صار رجل شرطة. ومن تحت ذلك الشعر، عينان خضراوان حادتان. لقد رأت هاتان العينان عمرًا كاملًا من التجارب وصار ظاهرًا فيهما ذلك القدر نفسه من التعب الظاهر على وجهه. لكن كيفية تصرفه هو الأمر الذي ألاحظه أكثر من أي أمر آخر. إنه رجل في موقع مسؤولية. هذا رجل بعمله. هذا رجل لا يجدر بأحد أن يثير غضبه. على الرغم من تعبه ومن سنوات طويلة أساءت فيها طبيعة عمله إلى جسده، لا تزال لديه روح يعزّ نظيرها حتى عند رجال شرطة في نصف سنه.

أجلس قبالته في مكتب صغير ليس فيه قدر كبير من التنظيم. ماثيو جالس في ردهة الاستقبال، في انتظاري. أردته أن يكون هنا، معي، لكن ليس قبل أن أعلم حقيقة ما يجري. لا يزال الأمر غير واضح، ولا يزال عليّ أن أرى ادم؛ لكنهم أكدوا لي أنه بخير وأنني سأكون قادرة على الكلام معه بعد الحديث مع الشريف في ما يتصل بالحادثة التي يعتقدون أن لزوجي صلة بها.

يقول الشريف ستيفنز: «أشكرك على صبرك، يا سيدة مورغان».

«لا بأس في أن تخاطبني باسمي، سارة».

«ولا بأس أيضًا في أن تخاطبيني باسمي... رايان». إن في صوته مسحة من تهكم، لكن في عينيه لطفًا. لست أدري إن كان ذلك لطفًا اتجاهي أو غير ذلك!

«ماذا يجري هنا؟». أضع ساقًا فوق ساق وأستند إلى ظهر مقعدي.

«أنا في حاجة إلى طرح بعض الأسئلة عليك قبل أن تري آدم».

«لا بأس».

«هل كان آدم معكِ ليلة أمس؟».

تلزمني لحظة حتى أفكر في الليلة الماضية. وصلت إلى البيت متأخرة بعد خروجي مع آن، لكن آدم أتى إلى البيت بعدي. قال إنه كان يكتب في بيت البحيرة، هذه هي عادته. كثيرًا ما يذهب إلى ذلك البيت كي يكتب، وقد يبقى أيامًا في المرة الواحدة. كانت الكتابة واحدًا من الأسباب المهمة التي جعلتنا نشتري بيت البحيرة. ظل آدم فترة طويلة يجد صعوبة في التعبير عن أفكاره على الورق. وعندما طرح عليّ فكرة شراء بيت عطلات يكون على مسافة قريبة تسمح له بالذهاب للعمل فيه، لكنه بعيد عن المدينة بما يكفي لأن يكون بيت عطلات من أجلنا، وافقته الرأي على الفور. كان ذلك حلًا مثاليًا. صحيح أنني لا أذهب إلى ذلك المكان إلا فيما ندر؛ وصحيح أيضًا أن الزمن الذي أمضته فيه أن كان أطول من الزمن الذي أمضيته أنا هناك. في الصيف الماضي، أقامت ان هناك أسبوعًا كاملًا، وكان ذلك الأسبوع جزءًا من المكافأة التي تلقتها بمناسبة عيد الميلاد: أسبوع من إجازة مدفوعة الأجر أمضته

في بيتي عند البحيرة. وقد كان أمرًا لطيفًا أن تسنح لها فرصة استخدام ذلك البيت مثلما أردنا استخدامه: بيت عطلات. كان عملي يشغلني عن الذهاب في عطلات نهاية الأسبوع. لكن ذلك البيت ساعد آدم في العودة إلى الكتابة. صار إنتاجه غزيرًا مثلما لم يكن من قبل.

أخيرًا، أهتدي إلى إجابة، «كان معي، اعتبارًا من لحظة بعينها».

«متى كان ذلك؟».

أصمت لحظة وأحاول التفكير مليًا في إجابتي.

«الحقيقة أنني نمت. لكنني استيقظت نحو الساعة الثانية بعد منتصف الليل فوجدته إلى جانبي. من الممكن أن يكون قد عاد إلى البيت قبل ذلك بزمن طويل».

يومئ الشريف ستيفنز برأسه ويدوّن بضع كلمات على أوراق موضوعة أمامه. يرفع رأسه ناظرًا إليّ، ثم يدوّن بضع كلمات أخرى. يعض على طرف قلمه ثم يلقي في اتجاهي نظرة سريعة ثانية... هذه المرة، تجول عيناه على جسدي. يسألني: «كان هذا في بيتكما في واشنطن. هل هذا صحيح؟»

«صحيح».

«ماذا جرى بعد عودته إلى البيت؟».

«لقد تكلمنا...» سعلت سعلة صغيرة، «ثم تضاجعنا». أعلم أن أمرًا رهيبًا قد حدث. هذا استجواب؛ ولا معنى أبدًا لحجب أية معلومات. يستحيل أن يكون آدم قد ارتكب أي شيء خاطئ. بالتالي، الصدق هو الأمر الوحيد الذي سيجعل هذا الأمر يصل إلى نهاية حسنة... مهما يكن هذا الأمر.

«هل من المعتاد أن تفعلا هذا؟».

«أن يتضاجع زوج وزوجته! أيها الشريف ستيفنز!».

«لا، بل أنت وآدم».

«ما علاقة هذا بأي شيء؟». أحس انزعاجًا؛ وقد ضقت ذرعًا بالأساليب التي يستخدمها هذا الشريف ذو العقل المحدود. أقوم بتمزيق رجالٍ مثله كل يوم. قد أكون موجودة هنا بصفتي زوجة آدم، لكني محامية دفاع!

ينقر الشريف على سطح المكتب بقلمه. ينتظر أن أتكلم ولا نيّة لديه في الإجابة عن سؤالي. يحاول فهم العلاقة بيني وبين آدم. لكن، لماذا؟ أعلم طبعًا أن زواجنا ليس مثاليًا. لكن أين هو الزواج المثالي؟ ولماذا يكون هذا الأمر من شأنه؟

«نحن نحاول إنجاب طفل». أقولها من غير أن أجيب عن سؤاله إجابة مباشرة؛ أقولها كأنني أتجنب الأمر كله. إن كان لا يريد الإجابة عن أسئلتي فلن أجيب عن أسئلته.

«أهنئك!». ألمح في صوته أثر تهكم أو سخرية.

«هل انتهينا الآن؟».

«لا، أيتها السيدة مورغان. هل تعرفين امرأة اسمها كيلي سامرز؟».

«لا». أطلق نفسًا عميقًا. أهز رأسي تأكيدًا على إجابتي القاطعة.

يومئ الرجل برأسه ويضع خطًا تحت شيء كتبه في أوراقه. يختار مصنفًا من بين أوراق كثيرة أمامه ويخرج منه صورة فوتوغرافية مقاسها 8 × 10. يضع الصورة أمامي. إنها صورة فتاة جميلة لها شعر طويل بني اللون وعينان داكنتان كبيرتان. إنها مبتسمة. إنها أصغر مني، لعلها في أواخر العشرينيات. هي نقيض الشريف ستيفنز، فهو

شخص جاد مُرهق لديه مهمة يقوم بها، وهي امرأة خليّة البال تترك الحياة تأخذها معها حيث شاءت.

«هذه هي كيلي سامرز. هل أنت واثقة من عدم معرفتك بها؟».

أقرِّب الصورة مني وأنحني صوبها محاولة التدقيق في تفاصيلها كلها. جمالها آسر فعلًا. شامات خفيفة على امتداد أنفها، وشفتان ممتلئتان، ووجنتان بارزتان.

«لا أعرفها». أدفع الصورة صوبه. يومئ برأسه، ثم يرفع الصورة ويعيدها إلى مغلفها.

تنقر أصابعه على طاولة المكتب. «أنتِ وآدم، هل لديكما مشكلات في زواجكما؟».

«أتعلم ماذا، أيها الشريف ستيفنز؟ بدأ الأمر يصير سخيفًا. لست أدري ما علاقتي وعلاقة آدم بهذه المرأة التي اسمها كيلي، وقد اكتفيت من هذا الأمر. أريد رؤية زوجي الآن». أبدأ بالنهوض واقفة، لكن الشريف ستيفنز يضرب الطاولة بيده.

«اجلسي!».

«وإلا ماذا؟ هل ستعتقلني؟ خذني إلى زوجي!». أنظر إليه من أعلى. صحيح أنه رجل ضخم، لكني أراه صغيرًا أمامي.

يفتح المصنّف ويلقي على سطح الطاولة مجموعة صورة مأخوذة من مسرح جريمة. على الفور، أنتبه إلى أن الصور كلها ملتقطة في بيتنا عند البحيرة. امرأة مستلقية في سريرنا ومغطاة كلها بالدم. عيناها من غير تعبير، جذعها وصدرها مشوّهان، والجلد ممزق، مخترق في مواضع كثيرة. تسقط حقيبة يدي، وترتفع يداي إلى فمي على الفور. أشهق وأطلق صرخة ذعر.

أتهاوى وأستند إلى حافة طاولة المكتب. أحس أن جزءًا من وجبة الغداء التي تناولتها قد صعد إلى فمي. تحرقني الحموضة وأحاول إرغام الطعام على العودة إلى معدتي، لكن هذا يجعل عينيّ تفيضان دموعًا بأشد من ذي قبل. أحس يدًا تربّت على ظهري، إنه الشريف ستيفنز يحاول تهدئتي.

«إنني آسف!». يناولني منديلًا ورقيًا ويترك يده على ظهري. أنتصب واقفة أمامه مع أن ساقيّ لا تزالان خائرتين من تحتي. أمسح فمي وأربّت بالمنديل على عينيّ محاولة استجماع شتات نفسي. هذه ليست أنا. أنا لا أنهار. أنا قوية. يسألني إن كنت بخير فأومئ برأسي. ما كنت أريد غير محاولة فهم سبب وجودي هنا، لكنني الآن في حاجة إلى أن أعود محامية لأن تصرفات الشريف «اللطيفة البسيطة» هي، في حقيقة الأمر، عمل شخص محترف خبير يحسب ويراقب مجريات الأمور.

نقرة على الباب. تظل يد الشريف ستيفنز على كتفي. لا يزال يحاول أن يظهر لي لطفًا. أغمض عينيّ وأستنشق نفسًا عميقًا. أستعيد السيطرة على أنفاسي وأحاول استجماع شتات نفسي.

ينفتح الباب. ألتفت فأرى رجلًا أسود البشرة طويل القامة ملابسه مثل ملابس الشريف ستيفنز. عيناه باردتان، محمرتان، لا تقابلان عينيّ، «إنه يريد محاميه». يومئ الشريف ستيفنز برأسه. «ماركوس، هذه سارة، زوجة آدم». ثم يخاطبني: «هذا هو معاون الشريف. اسمه هدسون». أصافح يد معاون الشريف.

تتفادى عيناه النظر في عينيّ. ثمة غضب فيهما. «هل أدعه يتصل بمحاميه؟».

أقاطع الشريف ستيفنز قبل أن يتمكن من الكلام:

«لا حاجة إلى هذا».

«لماذا؟». يسألني الاثنان معًا ويتبادلان نظرة حائرة.

«أنا محاميته».

10

آدم مورغان

لقد رأيت صور الجريمة. أعلم ما يظنون أنني أقدمت على فعله. كيف أمكن أن يحدث هذا؟ لقد كنت هناك معها، لكني لم أفعل هذا. حاولت مرارًا أن أحدثهم عن زوجها الذي يسيء إليها، لكنهم ظلوا يقولون لي إنهم ينظرون إلى الأمر من جوانبه كلها، إلا أن الظاهر أنهم اختاروا الزاوية التي تعجبهم.

أتمنى أن تكون أمي قد استطاعت الوصول إلى سارة، لكني لا أدري كيف سأقدر على مواجهتها. كانت بشائر التحسن قد بدأت تظهر لنا. وكنت عازمًا على إنهاء علاقتي بكيلي، إنهائها تمامًا. أردت أن أعود زوجًا صالحًا من جديد، الزوج الذي تستحقه سارة. لكن، أهم من هذا كله أنني سأصير أبًا... أوه، يا ربي! الطفل! ماذا لو كانت حبلى؟ ماذا لو نشأ طفلنا من غير أب؟ لا أستطيع ترك هذا الأمر يحدث. لا بد لي من الخروج من هذه الورطة. عليّ أن أكون هناك من أجل طفلي.

لقد ظل هدسون، معاون الشريف، يستجوبني طيلة ساعة وثلاثين دقيقة. وقف شرطي آخر حارسًا، وكان هذا أمرًا حسنًا لأنني أحسست نفسي واثقًا من أن معاون الشريف هدسون سيقتلني، أو سيحاول قتلي على الأقل. لست أدري كيف يعرف كيلي، لكني واثق أنه يعرفها. تركني آخر الأمر وخرج مسرعًا عندما رفضت الإجابة عن أية أسئلة أخرى. طلبت أن يكون معي محامٍ. كان عليّ أن أطلب محاميًا منذ البداية.

ما أسوأ هذا! هذا سيئ حقًا. لقد وجدوا كيلي في بيتي، وجدوها مقتولة طعنًا. ستكون بصمات

أصابعي في كل مكان في البيت، في كل مكان من جسدها. كانت مضاجعة عنيفة... وتلك الورقة التي تركتها لها، تذكرتها الآن؛ وهي لا تبدو أمرًا حسنًا. هي لا تبدو أمرًا حسنًا على الإطلاق. لكن الرسائل التي وصلتها من زوجها أمر لا يمكن تجاهله. إنها مهمة. سيكون عليهم أن يتحرَوا أمره لأن من المستحيل أن ينتهوا إلى الاقتناع بأنني من فعل هذا بها. لا أستطيع أن أفعل هذا بها. لا يمكن أن أفعل هذا بها. كيلي وأنا أمضينا وقتًا رائعًا؛ وقد أحببتها. كانت موجودة عندما احتجت إلى وجود أحد معي. لا يمكن أبدًا أن أوقع بها أي أذى، لكن زوجها يمكن أن يفعل ذلك... لقد فعل ذلك.

أنهض واقفًا وأضرب زجاج النافذة التي تعكس صورتي. تنساب الدموع على وجهي البائس.

«أحضروا لي ذلك المحامي!». أرفع الكرسي وأقذف به صوب الزجاج فيرتد عنه ويسقط على الأرض.

11

سارة مورغان

يرافقني الشريف ستيفنز إلى غرفة صغيرة فيها نافذة نستطيع مراقبة آدم من خلالها. من الواضح أنه مهزوز. أراه جالسًا إلى الطاولة ينقر عليها بأصابعه ويحاول حبس دموعه. إنه يفكر.

«اجلسي». يشير الشريف ستيفنز إلى كرسي.

لقد ذهبت إلى الحمام وأصلحت مظهري قبل أن نأتي إلى هذه الغرفة. لم أعد هنا بصفتي زوجة آدم. أنا الآن محاميته. أنا سارة مورغان، أهم محامية دفاع في القضايا الجنائية. لا بد لي من تذكير نفسي بهذا كل دقيقة، أو نحو ذلك. عليّ أن أكون تلك المرأة القوية الفاعلة مثلما أنا دائمًا. أعلم أن آدم لم يفعل هذا. صدقًا. لا أستطيع تصديق أنه قادر حتى على ضرب واحد من الناس، ناهيكم عن قتله. لكني كنت أعتقد أيضًا أنه لا يمكن أن يخونني. وكما بينت تحريات الشريف، فإن آدم يخونني، يخونني منذ سنة على أقل تقدير، يخونني مع هذه المرأة التي اسمها كيلي. أهز رأسي لشدة تقززي من التفكير بهذا الأمر. أنا غير قادرة على تصديقه، بل إنني لا أصدقه حتى الآن. ولن أصدقه قبل أن يعترف به آدم أمامي. لا يمكن أن يكون قد فعل شيئًا من هذا كله!

أخرج من حقيبة يدي قلمًا ودفتر ملاحظات، وأنظر إلى الشريف ستيفنز. أقول له: «أخبرني بتفاصيل القضية».

«هل أنت واثقة من أنك تريدين سماع هذا؟».

«بالطبع. لا توفّر أية معلومات».

يرمقني بنظرة تعاطف، ثم يومئ لي برأسه. صرت الآن واثقة من أنه يعرف هويتي، يعرفها تمامًا.

مكتبة ياسمين

عندما خرجت من الحمام، أظهر الشريف ستيفنز لي نوعًا جديدًا من الاحترام. أنا واثقة من أنه بحث عن اسمي في غوغل ووجد أنني لست امرأة بسيطة الحال. نظر إليّ متعاطفًا، متفهمًا، معجبًا. لعله يظنني مجنونة لأنني أساند آدم. لكن آدم زوجي!

«اسم الضحية كيلي سامرز. هي في السابعة والعشرين. غثر عليها هذا الصباح قرابة التاسعة وخمس عشرة دقيقة. لقد عثرت عليها عاملة تنظيف اسمها سونيا. وُجدت كيلي مقتولة في السرير في بيت آدم و...». يسعل قليلًا: «أظنه سريركما، في واحد من البيوت التي عند البحيرة في مقاطعة برنس ويليام. أصابتها سبع وثلاثون طعنة في العنق والصدر والجذع. بالنظر إلى شدة فظاعة هذه الجريمة، يبدو لنا أنها جريمة مرتكبة بدافع عاطفي. لم تكن هناك جروح ناجمة عن دفاع الضحية عن نفسها. ينبئنا هذا بأنها كانت نائمة عند وقوع الجريمة. كانت عيناها مفتوحتين عندما غثر عليها، أي إنها استيقظت من نومها في أثناء طعنها».

«نقوم الآن بإجراء تحليل السموم. نعتقد أن في دمها موادًا مخدرة؛ وهذا ما يفسر عدم استيقاظها على الفور. توصل التشريح الأولي إلى وجود سائل منوي في فرجها وفمها وشرجها. ثمة كدمات على كتفها اليسرى، لكن الظاهر أنها عائدة إلى ما لا يقل عن يوم أو يومين قبل مقتلها. كان لديها أيضًا بضعة تمزقات صغيرة في الفرج وفي الشرج، وهذا ما يوحي باغتصاب أو بمضاجعة عنيفة. وجدوا اثار جلد تحت أظافرها». ينهي كلامه ويشيح بوجهه جانبًا، ثم ينظر إليّ من جديد.

أنتهي من تسجيل ملاحظاتي، ثم أنظر إليه، «هل هذا كل شيء؟».

«هذا كل ما لدينا حتى الآن». تلتقي عيوننا فأرى في عينيه أنه مشفق عليّ. أستطيع رؤية مقدار ما يعتريه من ضيق. أستطيع رؤية أنه يتساءل في نفسه عما يجعلني أدافع عن آدم. أجيبه بنظرة فيها مزيج من القوة والضعف. صدمة قوية على زجاج النافذة تُبعد انتباهي عن الشريف ستيفنز.

آدم يضرب بيده على الزجاج من الناحية الأخرى التي تشبه المرآة. يحمل كرسيًا ويقذف النافذة به. يرتد الكرسي عن الزجاج ويسقط على الأرض مصدرًا صوتًا عاليًا. يصرخ آدم، ثم ينهار على الأرض في غمرة عذابه.

ألتفت مجددًا إلى الشريف ستيفنز. فمي مفتوح، وعيناي متسعتان. لم يحدث يومًا أن رأيت آدم يتصرف على هذا النحو. لم أره يومًا يفعل شيئًا يتجاوز رفع صوته قليلًا. لم أرَه غاضبًا هذا الغضب كله.

لا يبدو لي شبيهًا برجل أصابته حيرة عندما وجد نفسه في وضع غريب، بل أشبه بحيوان بري محاصر في زاوية، حيوان يمكن أن يفعل كل شيء حتى يشق لنفسه طريقًا للخروج. أرى في عيني آدم نارًا لم أدرِ قبل الآن أنها موجودة فيه. إذا أردت أن أكون صادقة، فسوف أقول إنني -لو سألني أحد قبل هذه اللحظة- لم أكن أصدق أن آدم قادر على ارتكاب جريمة قتل، بل سأسارع إلى قول لا. في أعماقي، كنت أظنه جبانًا بعض الشيء، لكني أرى الآن أنني كنت مخطئة. ثمة شيء آخر مختبئ تحت السطح، شيء أكثر من ذلك.

«أريد رؤية موكلي».

يومئ الشريف ستيفنز برأسه. «فقط حتى تكوني على علم بهذا، سأقول لك إننا حصلنا على إذن

مكتبة ياسمين

بتفتيش البيتين والحصول على عينات DNA. وأيضًا سوف نجري اختبار الكذب، إن كان ادم متعاونًا. لكني سأتيح لك بعض الوقت كي تتكلمي معه».

«لا بأس!». أنهض واقفة وأجمع أشيائي. قبل أن أفتح الباب، ألتفت إلى الشريف الواقف خلفي. إنه على مسافة إنشات مني. أستطيع أن أحس بدفء أنفاسه. «أشكرك، أيها شريف ستيفنز».

يومئ لي برأسه ويقول لي إنه سيظل واقفًا خارج الباب، وإنه سيرسل أحدهم بعد عشرين دقيقة كي يأخذ عينات الـ DNA. أغمض عينيّ وأستنشق نفسًا عميقًا. أحاول التأكيد لنفسي على أنني قادرة على فعل هذا.

مكتبة ياسمين

12

آدم مورغان

ينفتح الباب فأنهض عن الأرض وأقف. أراها أمامي فأكاد أنهار من جديد. إنها جميلة. تنورتها الضيقة السوداء تحتضن ردفيها احتضانًا جميلًا، ومن فوقها بلوزة بيضاء ضيقة وسترة أنيقة. كل خصلة من خصلات شعرها الأشقر تتخذ مكانها الصحيح، مربوطة في عقدة خلف رقبتها. وكما يحدث دائمًا، تشدني شفتاها الممتلئتان وعيناها الخضراوان؛ عيناها وحدهما كافيتان تقريبًا لأن أفقد صوابي. إنهما محمرّتان قليلًا؛ وثمة لطخة صغيرة من أثر الكحل. لقد كانت تبكي.لم يحدث أبدًا أن رأيتها تبكي. ماذا فعلت بها؟

«سارة! أنا جدّ آســ...».

ترفع يدها كي تسكتني. تشير لي على نحو رسمي جدًا بأن أجلس. أرفع الكرسي عن الأرض وأضعه في مكانه. لا معنى للمجادلة. أنا لم أقتل كيلي، لكني السبب في ما جرى. لقد سببت هذا كله. أجلس على الكرسي وأضم يديّ أمامي وأطأطئ رأسي.

تستنشق سارة نفسًا قصيرًا وتقترب من الطاولة. كعب حذائها يطقطق على الأرض. ثمة غاية لكل ما تفعله سارة. إنها تحاول استيعاب الأمر كله. تضع حقيبتها على الطاولة وتجذب الكرسي إليها بحركة بطيئة. تجلس على الكرسي متحكمة بكل حركة من حركاتها. تمر بيدها على شعرها، وتستنشق نفسًا قصيرًا آخر. عيناها هما العينان اللتان كنت أنظر إليهما دائمًا، لكنها تنظر إليّ الآن كأنها لا تعرفني. نظراتها تتراقص من حولي. تحاول تقييمي؛ تحاول فهمي. تعاملني كأنني... كأنني واحد من موكليها.

مكتبة ياسمين

«يا سارة...». في صوتي قدر من العدوانية. لست أريد هذا، لكن طريقتها في النظر إليّ لا تعجبني. كيف تستطيع حتى أن تفكر في أنني يمكن أن أرتكب أمرًا كهذا؟ كيف تستطيع أن تتصرف معي كأنها لا تعرف من أكون؟ أنا زوجها!

تُخرج قلمًا ودفتر ملاحظات. تضعهما على الطاولة بأناقة، تضعهما متوازيين. تضع يديها في حجرها وتنظر إليّ مباشرة. «آدم...». تصمت. إنها تختار كلماتها بكل عناية. لا أعلم ما يجعلها غير قادرة على الكلام معي.

«سارة. أنا لم أفعل هذا. أنا لم أقتلها. أقسم لك. لا يمكن أن أقتلها. كنت أضاجعها، لكن من المستحيل أن أوقع بها أي أذى... ينبغي أن تصدقيني». أقول هذا متوسلًا وأحاول مقاومة دموعي.

لا تجفل سارة عندما تسمع هذا. لا تبدر عنها أية ردة فعل. «لا بأس». تكتب بضع كلمات. ثم تفيض عيناها دموعًا. تبتلع ريقها بصعوبة. إنها قوية جدًا، وأنا من يكسرها. ينبغي أن أكون الشخص الذي يحميها. يعلو صدرها، ثم يهبط.

«أحبك، يا سارة. أحبكِ كثيرًا. أريد أن ينتهي هذا الأمر. أريد أن تعود الأمور مثلما كانت. أريد أن أكوّن أسرة معكِ. أريد أن أكون معك، معك وحدك. أنا غبي، وما كان يجوز لي أبدًا أن أخونك. أعلم هذا، وأعدك بأن أمضي ما بقي من حياتي محاولًا تعويضك... ما إن ينتهي هذا الأمر كله. أقسم لك بالرب». أمسك يدها راغبًا في أن تبدي لي نوعًا من عاطفة، راغبًا في أن تحبني، راغبًا في أن تصرخ عليّ أو أن تضربني، أو أي شيء. اريد أن تكون غاضبة مني، أريد أن تبكي، أريد أن تقول لي إنها تحبني. أريد أن تحتضنني. أريد أن تقول لي إن كل

شيء سوف ينتهي بخير.

تظل لحظة جامدة في مكانها. يدها دافئة، لكن عينيها باردتان. إنها تتألم؛ وأنا لا ألومها. تسحب يدها من يدي. «آدم، أريد أن تفهم أنني هنا بصفتي محاميتك، لا زوجتك».

أحدق فيها غير مصدق ما أسمعه. «لماذا تدافعين عني بعد ما فعلته بك؟».

«لأنني عنيت ما نطقت به عندما قلت ’حتى يفرقنا الموت‘. أنا الشخص الوحيد الذي يمكن أن تكون له فرصة في إخراجك من هذا الأمر». في صوتها برودة الجليد ؛ ولها الحق في ذلك.

أكف عن النظر في عينيها. لا أستطيع النظر في عينيها. كيف استطعت فعل هذا؟ كيف استطعت أن أتسبب في وصولنا إلى هذه النقطة؟ «إنني آسف». أطلق نشيجًا خفيضًا.

تحمل قلمها فوق دفترها وترمقني بنظرة صارمة. «عليك أن تخبرني بكل شيء... بكل تفصيل صغير. لا تغفل أي أمر. هل تفهمني؟».

أومئ لها برأسي. لست أدري كيف أستطيع فعل هذا. ليس عليّ إلا إخبارها بأنني سوف أستعين بمحامٍ آخر، لكنها محقة في ما قالته؛ فهي أفضل المحامين، هي أملي الوحيد في النجاة من هذا الأمر. فهمت مما قاله لي الشرطي هدسون أن الأدلة كلها ضدي؛ قال إنني سوف أدان في هذه القضية وإنه سوف يكون سعيدًا برؤيتي أدفع لقاء هذه الجريمة. سوف يعثرون على سائلي المنوي في كيلي. سوف يعثرون على بصمات أصابعي على جسدها. سوف يعثرون على الـ DNA أيضًا. وسوف يكتشفون الرسائل النصية والمكالمات الهاتفية ومواعيد اللقاء بيننا على امتداد أكثر من سنة

مكتبة ياسمين

كاملة.

«متى كان أول لقاء بينكما؟».

«منذ نحو سنة وستة أشهر».

«كيف التقيتما؟».

أغمض عينيّ وأستنشق نفسًا عميقًا. أتذكر ذلك اليوم الصيفي الدافئ، يوم دخلت كيلي حياتي.

مكتبة ياسمين

13
آدم مورغان

كان ذلك في أوائل الصيف، وكنا قد اشترينا بيت البحيرة قبل أسابيع. كان منتظرًا أن تأتي سارة في عطلة نهاية الأسبوع وتساعدني في إضفاء اللمسات الأخيرة على البيت، لكن عملها أرغمها على البقاء في المدينة مثلما حدث في الأسبوعين اللذين سبقا ذلك اليوم. داهمني صداع نقص الكافيين في وقت متأخر من الصباح. كنت قد فرغت من ترتيب حوائج مكتبي واكتشفت أنه لا يوجد بنّ لدينا في البيت فقررت الخروج في نزهة. لم ألتق أحدًا في البلدة قبل ذلك اليوم؛ وبدا لي أن كل من فيها يفضّل الانعزال عن الآخرين مثلما يفعل أبناء نخبة واشنطن ممن يقطنون الضواحي. حملت اللابتوب فوضعته في حقيبتي وسرت مسافة عشر دقائق حتى بلغت البلدة.

بلدة ناضحة بمعالم المنطقة كلها، مزيج من سحر فيرجينيا القديم وكل الإضافات الناجمة عن حياتنا العصرية. أشجار بلوط وصفصاف ضخمة محيطة بالبلدة، وبحر من الخضرة لا يقطعه شيء غير مركز البلدة الاقتصادي. في ذلك النهار، كانت الشوارع الإسفلتية القديمة المتشققة تكاد تبدو رطبة في حر الصباح.

متضادات حزينة إلى حد شاعري. كنيسة صغيرة غير مرتفعة رابضة على مسافة قريبة من مركز تجاري مصرفي حديث. أعمال عائلية صغيرة، ومحلات لتنظيف الملابس، ومطاعم، ومتاجر هدايا تقف كلها كتفًا إلى كتف مع مطاعم البيتزا الشهيرة ومقهى ستاربكس ومتاجر للملابس الفاخرة. تبدو

مكتبة ياسمين

الحداثة هنا شيئًا غير التقدم، تبدو أشبه بعدوى فيروسية أصابت البلدة.

عثرت أخيرًا على مقهى صغير اسمه «سيث». وكان فيه سحر البلدات الصغيرة الذي أنشده. أرضية من ألواح خشبية تصدر عنها أصوات صرير عالية عندما يخطو المرء فوقها. قطع أثاث غير متناسبة تتراوح بين الكراسي المصنوعة من خشب صلب والطاولات الخشبية العادية وكراسي المطاعم المعدنية، ومع ذلك كله مقاعد ذات أغطية بلاستيكية حمراء فاقعة. صحون الطعام غير متماثلة؛ وقائمة مكتوبة على لوح أسود منتصب فوق طاولة البيع، لوح يبدو مستعارًا من واحدة من المدارس القريبة. كتابات بطباشير ملونة تكسو بعض الأماكن على الجدار وبينها صور فوتوغرافية ولوحات ومنحوتات من عمل فنانين محليين. بطاقة السعر موضوعة على كل عمل منها.

ما من شيء متناسب مع غيره أو متفق معه؛ وفي زحمة ذلك التباين كله، كان كل شيء ناجحًا، وكان جميلًا حقًا، أو على الأقل، رأيته جميلًا إلى أن تضاءل ذلك السحر والجمال عندما رأيتها، عندما رأيت كيلي. لفتت كيلي نظري على الفور. كان ضوء المصابيح الكهربائية العارية متراقصًا ومتلألئًا على عينيها الزرقاوين؛ وكان مسلكها المنطلق اللامبالي هو ما أمسك بي كأنه يدان قويتان حول عنقي... يدان لا تريدان إفلاتي.

كانت تعمل في الردهة الخارجية فقررت أن أجلس هناك. كل خلية في وجودي كانت راغبة في معرفتها. من تكون، وماذا تحب، وما يجعلها هي. لم أكن راغبًا فحسب في أن أكون في حضورها، بل كنت محتاجًا إلى حضورها.

مكتبة ياسمين

أخرجت اللابتوب وبدأت الكتابة. كان ما كتبته وصفًا لها. راقبت كل حركة من حركاتها وهي تتنقل سريعًا من طاولة إلى أخرى كي تلبّي ما يريده كل واحد من الجالسين إليها. انتظرت دوري. كانت فتاة آسرة... كل شيء فيها كان آسرًا. لعلها الوحدة هي التي جعلتها أشد جاذبية، أو لعل ذلك لأنها بدت لي شديدة الاختلاف عن سارة.

سارة شخصية تحسب كل شيء، شخصية من الطراز الأول بكل ما في الكلمة من معنى. سارة تتمالك نفسها دائمًا أينما كانت وكيفما كان ملبسها، إن كانت ترتدي بيجاما أو بدلة عمل رسمية ثمنها ألفا دولار وهي في طريقها إلى مكتبها. ولكن، ها هي كيلي الكاملة، رغم بعدها عن الكمال. نمش متناثر على وجهها. شعرها البني الطويل متطاير حول كتفيها في نسيم الصيف الدافئ. كانت تحاول أحيانًا أن تروّض ذلك الشعر لكنها، لحظة اهتمامها بخدمة طاولة من الطاولات، تتركه وشأنه كي تقوم بعملها. مريلتها مربوطة كيفما اتفق حول خصرها الدقيق. ثدياها ممتلئان غير مقيدين بشيء من تحت بلوزتها البيضاء. حلمتاها بارزتان، مرئيتان قليلًا، لكنها غير مبالية بذلك. تتحرك غير عابئة بشيء، وتبتسم وتضحك في كل ناحية من نواحي شرفة المقهى.

أخيرًا، رأيتها واقفة أمامي. لم أرها قبل ذلك اليوم، لكني أحسست كأنني عرفتها من قبل. هذا ما تفعله مراقبة أحدهم بعض الوقت. أنارت وجهها أشعة الشمس تشع عليها من الخلف. اهتز ردفاها فمسّت تنورتها القصيرة حافة الطاولة.

«مرحبًا! ما الذي أستطيع إحضاره من أجلك؟». كان صوتها خفيفًا، طلقًا.

مكتبة ياسمين

حدقت في عينيها فلاحظت أن ذلك الحزن الذي في داخلي حاضر عندها أيضًا. أنا مؤمن دائمًا بأن العيون لا تستطيع الكذب. تظل العيون محتفظة بالحقائق التي لا نستطيع النطق بها، أو التي لا نريد النطق بها. عيناها كبيرتان، ممتلئتان، ناضحتان ألمًا. لكن، ما سبب ذلك الألم؟ خبت ابتسامتها قليلًا أثناء انتظارها أن أقول شيئًا. نظرت في عينيّ مثلما نظرت في عينيها. أحب التفكير في أنها التقطت ما في عينيّ من ألم ووحدة.

قالت لي: «أستطيع منحك بضع دقائق أخرى». كان صوتها قد فقد شيئًا من خفته خلال تلك الثواني المعدودة.

«لا، لا». ابتسمت لها وأردت أن أجعلها تعلم أن كل شيء سيكون على خير ما يرام اعتبارًا من تلك اللحظة. لعلها لم تعلم ما عنته لي تلك الابتسامة، لكني كنت مدركًا أنني سأجعلها، عما قريب، تفهم ما عنته. أجابت ابتسامتي بابتسامة.

«سأتناول فنجانًا من القهوة... من غير إضافات».

عادت الخفة إلى صوتها: «سأحضرها لك».

«اسمي آدم». مددت يدي كي أصافح يدها. نظرت إلى يدي ثم مدت يدها وصافحتني بعد لحظة تردد قصيرة. لاحظت خاتم الزواج في إصبعها؛ ولاحظت خاتم الزواج في إصبعي. حدق كل منا في يد الآخر بضع ثوان، ثم التقت عيوننا. إحساس بأن بيننا فهمًا متبادلًا.

«وأنا كيلي». اتسعت ابتسامتها أكثر من قبل، ثم انطلقت كي تأتيني بالقهوة. بقيت هناك طيلة الصباح. سألتني بعد ساعة عمّا أعمل عليه فحكيت لها أمورًا كثيرة عن كتابتي. وبعد ساعتين، علمت منها أمورًا عن حياتها، عن نشأتها، عن امالها، عن

مكتبة ياسمين

أحلامها. وبعد ثلاث ساعات، حان وقت استراحتها. جلست معي، وتحدثنا. عند ذلك، أخبرتني عنه، عن سكوت، زوجها.

كان وصفها له موشّى بنبرات قاتمة. أعني أنها كانت جالسة هناك مع رجل آخر، معي، منفتحة عليه. من الواضح أن ثمة أمرًا غير سليم. لكنها تكلمت وتكلمث عن يوم لقائهما. كان وصفها ذلك اللقاء أشبه بقصة من قصص الخيال. فتاة تقابل شابًا. يقع الشاب والفتاة في الحب. يتزوج الشاب والفتاة صغيرين. يعيش الشاب والفتاة سعيدين بعد ذلك... لكن الفتاة لا تلبث أن ترى في المقهى شخصًا غامضًا. ثمة أمر غير متسق! ارتعاشات صوتها كانت توحي بذلك. لقد سبّب سكوت لها ألمًا. لم أكن في حاجة إلى أن تقول لي شيئًا عن ذلك حتى أفهمه.

بعد أربع ساعات من ذلك، كنت أضع اللابتوب في حقيبته. لقد شربت عدة فناجين من القهوة وتناولت وجبة غداء خفيفة. عادت كيلي إلى طاولتي عدة مرات كي نتكلم وتنوعت أحاديثنا بين الحياة الشخصية والبلدة الصغيرة والطقس والكتاب الذي أعمل عليه في بيت البحيرة. العلاقة التي بدت قوية بيننا ذلك الصباح ضعفت بعد الظهر. بدا لي أن كيلي قد صارت حذرة، وكنت على أهبة الاستعداد للانصراف. بدا لي سخيفًا تفكيري في أن كيلي وأنا يمكن أن ينقذ كل منا الآخر... إنقاذي من زواج بارد بليد وزوجة غير مهتمة، وإنقاذها من سكوت، من ذلك الرجل الذي ألحق بها الأذى بطريقة لا علم لي بها. سرت خارجًا من المقهى فاستوقفتني، نادتني باسمي. التفت إليها فرأيتها واقفة هناك تفك مريلة العمل وتطويها، ثم تضعها في حقيبة يدها. وضعت على عينيها نظارة شمسية وألقت بحقيبتها على

كتفها، ثم تقدمت مني بضع خطوات. «أظن أن عليّ أن آتي معك وأرى هذا البيت الذي حدثتني عنه كثيرًا». كان صوتها خفيضًا، وكانت شرفة المقهى قد صارت الآن خالية.

قلت لها مبتسمًا: «وأنا أيضًا، أظن أن عليك أن تري البيت».

أومأت لي كيلي إيماءة خفيفة بأن أبدأ السير. تبعتني وظلت طيلة الطريق متخلفة عني بضع خطوات. لم نصادف أحدًا في طريقنا. وعندما أغلقت باب بيت البحيرة من خلفنا، قفزت كيلي بين ذراعيّ. انتزع كل منا ملابس الآخر مستعجلًا وتضاجعنا هناك، هناك تمامًا، على أرض غرفة المعيشة، على السجادة أمام الموقد المطفأ. كانت غير قادرة على الاكتفاء مني، وكنت غير قادر على الاكتفاء منها. كانت كيلي أشبه بالهيروويين، كانت شيئًا يسبب الإدمان منذ المرة الأولى، منذ النشوة الأولى... تلك النشوة التي لم أصحُ منها أبدًا إلى أن جاء هذا اليوم.

14

سارة مورغان

لم أجفل عندما قصّ عليّ تفاصيل لقائهما ومضاجعتهما بعد أربع ساعات من ذلك اللقاء. لست هنا بصفتي زوجته. لست هنا كي أحكم عليه. إنني موجودة هنا كي أدافع عنه. سوف تظهر ردة فعلي عندما أستطيع إظهارها، عندما لا يكون لها أثر سلبي على القضية. في هذه اللحظة، عليّ أن أستمع جيدًا. أكتفي بتسجيل ملاحظاتي. تلتقي عيناي عينيه من وقت إلى آخر وأكتشف أنه يجد صعوبة في النظر إلى عينيّ. لا يدهشني هذا. إنه يكذب عليّ منذ ستة عشر شهرًا. لقد كان يضاجع امرأة أخرى. إن كان قد استطاع أن يكذب عليّ ذلك الزمن الطويل كله، فلعله استطاع أيضًا... لا! ينبغي أن أكفَّ عن هذا التفكير لأنه لن يفيده أبدًا.

«قابلتَ كيلي سامرز منذ ستة عشر شهرًا؛ وكان ذلك في مكان عملها، مقهى سيث. أليس هذا صحيحًا؟».

يومئ برأسه.

«وقد ضاجعتها... أعني أنك مارست الجنس معها يوم التقيتها أول مرة».

«هذا صحيح». يصمت لحظة... «آسف، يا سارة!». يمد يده محاولًا أن يضعها على يدي، لكني أبعدها عنه.

«ليس هذا وقتًا مناسبًا». أرتّب أوراقي، أرتبها بدقة شديدة. هذا ما ألجأ إليه عندما لا أعلم ما ينبغي فعله... أرتب، أنظف الأشياء.

يستند إلى ظهر مقعده ويمسح وجهه بيديه، يضغط على جلده الذي بدا شاحبًا نتيجة قلة

النوم، نتيجة الحزن والتوتر. عيناه حمراوان وظل داكن يخيّم على وجهه كله. لا يزال وسيمًا في نظري على الرغم مما فعله وعلى الرغم من مظهره هذا. أستطيع رؤية ما جعل كيلي غير قادرة على مقاومته. أنا أيضًا، لم أستطع مقاومته.

«هل كانت العلاقة بينك وبين كيلي مستمرة على نحو منتظم؟».

«نعم، كنا نلتقي عدة مرات كل أسبوع. وقد أمضت ليالي كثيرة في بيت البحيرة». يطلق زفرة عميقة.

«لقد ذكرتَ لي اسم زوجها، سكوت. ماذا تعرف عن سكوت؟».

ينتصب ظهر آدم. أحسّ أملًا وغضبًا يظهران في عينيه. حتى قبل أن يبدأ كلامه، أستطيع رؤية أنه يكره هذا الرجل وأنه مقتنع اقتناعًا تامًا بأن هذا الرجل هو الذي قتل كيلي.

«هو ليس شخصًا جيدًا. أعلم أنه ينبغي أن تكون له صلة بهذا الأمر. لقد كان يسيء إليها. كان يهددها. كان يؤذيها. أظنه كان يعلم بأمرنا...». يقول هذا كله في حالة من غضب شديد.

أقاطعه وأسأله: «ما الذي يجعلك تظن أنه علم بأمركما، أنت وكيلي؟ هل جرى أي تواصل بينك وبينه؟».

«إنها الرسائل النصية التي كتبها إليها تلك الليلة. كان يهددها. قال إنه يعلم أنها تكذب عليه. قال إنه سوف يؤذيها».

أسجل بضع ملاحظات عن سكوت.

أقول له: «إن كان قد هدد كيلي، فمن الممكن أن يفيدنا هذا لأنه يثير شكًا منطقيًا، ولأنه يعطينا شخصًا نستطيع توجيه الانتباه إليه. زوج يسيء إلى

زوجته أمر مناسب جدًا. رأيت هذا مئات المرات في القضايا التي عملت عليها. إن كانت لديه الوسيلة والفرصة، فسوف يكون فوزنا سهلًا».

تضيء عينا آدم. «هل هذا صحيح؟».

«إنه صحيح. لكن، علينا ألَا نستبق الأمور. نستطيع المتابعة في هذا الاتجاه. والآن، هل التقيت سكوت؟».

«لا، لكني لست في حاجة إلى لقائه حتى أعرف أي نوع من الرجال هو». يصرُّ آدم على أسنانه وتتوتر عيناه.

أعض على نهاية قلمي، «أي نوع من الرجال هو؟».

«شخص سيئ».

تضيق عيناي، وأقول: «وماذا تكون أنت؟».

يتحول تعبير وجه آدم من غضب صرف إلى إحساس بالذنب. «إنني آسف. ما كان عليّ أن أقول هذا».

أصمت لحظة وألقي نظرة على الملاحظات التي سجلتها، ثم أنظر إليه، «هذا تضارب واضح في المصالح. قد أكون أفضل فرصة لتخليصك من هذا الأمر، لكني لست واثقة من قدرتي على إبعاد ما أشعر به من ألم وغضب في هذه القضية».

يقول: «أرجوكِ!». عيناه تتوسلان إليّ كي أساعده.

من جديد، أعضَ على نهاية قلمي. لقد كانت لدينا مشكلات... أعلم هذا. كل زواج فيه مشكلاته. ولكنه ظل يكذب عليّ ستة عشر شهرًا. صحيح أنني كنت قليلة العناية به؛ وصحيح أنني لم أكن زوجة محبّة مثلما ينبغي أن أكون، لكن هذا لا يعني أنني لم أكن أحبه، ولا يعني أنني كففت يومًا عن حبه. حتى الآن، في هذه اللحظة، أحبه. أكرهه، لكني أحبه. كل

ما أفعله... كنت أفعله من أجلنا. كنت أفعله من أجل مستقبلنا. كل ليلة أمضيتها في المكتب كانت من أجلنا حتى نستطيع أن نحقق الحياة التي حلمنا بها دائمًا. لو أن عمله في الكتابة لم يتعثر منذ البداية لما وجدت نفسي مضطرة إلى بذل هذا الجهد كله في العمل من أجلنا.

إنه مسؤول عن مشكلات زواجنا بقدر ما أنا مسؤولة عنها. وقد فعلت كل ما استطعت فعله. اشتريت له بيتًا كي أساعده في الكتابة. بدلًا من ذلك، استخدم البيت كي يأكل ويسكر ويضاجع امرأة أخرى. توقفي! لا يجوز أن أفكر هكذا. لست أدري إن كنت قادرة على فصل نفسي عن هذا الأمر. أنا في حاجة إلى وقت للتفكير. أنا في حاجة للتراجع إلى الخلف خطوة.

أبدأ في جمع حوائجي وأدفع بالكرسي إلى الخلف كي أنهض واقفة. يسألني آدم عما أفعله. تظهر دموع في عينيه ويستولي عليه الذعر. يظن أنني أتخلى عن هذا الأمر، أتخلى عنه. لكن الأمر ليس هكذا. لا أقول له شيئًا. أضبط مشاعري كلها... الغضب، والحزن، والخيانة، والقلق، والخوف... أضبطها كلها. أبتلعها وأحاول إخفاءها عميقًا.

مع تراجعي خطوة إلى الخلف ينفتح باب الغرفة، فأجد نفسي مرمية على الأرض. يصطدم رأسي بحافة الطاولة وينساب الدم على وجهي. أطلق صرخة. ينقضّ من فوق الطاولة رجل ضخم طوله مئة وتسعون سنتيمترًا، رجل في ملابس الشرطة، فيسقط آدم على الأرض. أتألم عندما أمسّ الجرح في جبهتي وأرى الدم على أصابعي. ادم مستلقٍ على الأرض والشرطي ذو الشعر الأشقر القصير والكتفين العرضيتين جاثم فوقه، لكماته تنهال على

وجهه. آدم يحاول أن يصرخ طالبًا النجدة، لكن اللكمات تقاطعه وتمنعه من ذلك. يتزايد الدم على فمه.

أنهض واقفة وأتجه إلى الشرطي بخطوات مترنحة. أحاول إبعاده عن آدم. أضربه على رأسه، وعلى أذنه. لا يأبه لشيء من هذا كله. الدم على وجه آدم كله. عينه اليمنى متورمة منذ الآن، مغمضة. يحاول أن يدرأ اللكمات بذراعيه، لكنه غير قادر على مقاومة هذا الرجل المجنون غضبًا. أضرب الشرطي من جديد. هذه المرة، يتوقف لحظة ويلتفت ناظرًا إليّ. عيناه شديدتا الزرقة فيهما عروق محمرة. يدفعني جانبًا من غير أن ينطق كلمة واحدة.

أسقط وأصطدم بالجدار، وفي اللحظة نفسها يندفع كل من الشريف ستيفنز والشرطي هدسون. أراهما يبعدان الرجل عن آدم الذي صار شبه مشلول على الأرض. يصرخان بالرجل طالبَين منه التوقف.

«أيها الشرطي سامرز. كف عن هذا فورًا!». يأمره الشريف ستيفنز بهذا ويدفعه إلى زاوية الغرفة. يعاونه هدسون في ذلك. يدخل الغرفة شرطيان آخران للمساعدة في احتواء هذا الرجل الغاضب. عروق جبهته ورقبته بارزة. عيناه الثاقبتان محمرتان لشدة غضبه. العرق يقطر من جبهته. أنفاسه ثقيلة جدًا. أظنه موشك على الانهيار. لم أر في حياتي كلها هذا الغضب كله مجتمعًا في شخص واحد. يطلق زمجرة يائسة. يستنشق نفسًا عميقًا ويشد على شفتيه، لكنه لا يلبث أن يستسلم. يتوتر منخراه وينفتحان متسعين كأنهما موشكان على التمزق. ترتخي تعابير وجهه ويطلق صوتًا كالنواح. ينهار الرجل أمامنا. تنسكب دموع من عينيه. يقطر مخاط

من أنفه. يفقد جسده كل ما كان فيه من توتر ويصير كله كأنه حزمة متهالكة. يكف الشريف ومعاونه والشرطيان عن محاصرته، بل إن معاون الشريف هدسون يساعده في النهوض على قدميه.

«يا سكوت، يا صاحبي، سوف يكون كل شيء على ما يرام. لو كنت مكانك لفعلت الأمر نفسه. الحقيقة أنني حاولت فعله». يربِت هدسون على كتف صديقه.

أستند إلى الجدار. أوه، يا إلهي! إنه زوج كيلي. وهو شرطي!

آدم على الأرض يتلوى ألمًا. يكاد يكون فاقدًا وعيه. الشرطي هدسون يحاول مع الشرطيَين الآخرين إرغام سكوت على الخروج من الغرفة. ينظر الشريف ستيفنز إلى آدم ويهز رأسه. يصيح بأحدهم طالبًا منه استدعاء سيارة إسعاف. ثم تستقر عيناه عليّ. هذه أول مرة يلاحظ وجودي هنا، يلاحظ أنني قد أصبت. يجري في اتجاهي ويلفني بإحدى ذراعيه. يتفحَص الجرح الذي في جبهتي.

«سارة، إنني آسف! هل أنتِ بخير؟» يقول الشريف ستيفنز هذا ويبدو عليه الحرج لما جرى في مركز الشرطة التابع له. ثمة رقَة في تصرَفه. إنه مهتم بالجرح الذي أصابني. يمس الجرح فأكشَر ألمًا. يقول من جديد: «إنني آسف».

«فلننظف الجرح ونهتم به!». يحاول السير بي خارج الغرفة. أدفعه عني وأجثو إلى جانب آدم. شرطي آخر يحاول مسح الدم عن الأرض مستخدمًا مناديل ورقية.

أزيح عن جبهته شعره المخضب بالدم. «هل أنت بخير؟».

يجيب: «نعم». أتناول بضعة مناديل ورقية

مكتبة ياسمين

وأحاول مسح الدم عن وجهه كي يستطيع رؤيتي، كي يستطيع رؤية أنني موجودة هنا. أمر بيدي على جبهته كي يطمئن إلى أنني لن أترك هذا الأمر، إلى أنني لن أتركه.

ألتفت إلى الشريف ستيفنز. يطبق فمه المفتوح.

أقول له: «هذا غير مقبول».

«أعلم! أعلم! سوف أهتم بهذا. الشرطي سامرز في إجازة إدارية. لا يجوز أن يكون هنا. ليس من المفترض أن يكون هنا».

«إذًا، لماذا هو هنا؟».

لا يجيبني الشريف ستيفنز بشيء. ليست لديه إجابة. يكتفي بهز رأسه. يدخل الغرفة ممرضان معهما حقيبة ونقّالة. يسرعان إلى مساعدة آدم. يبعدانني عنه ويجثوان إلى جانبه، واحد من هذه الناحية، وواحد من الناحية الأخرى. يوجهان إليه أسئلة كي يتحققا من حالته.

أتراجع بضع خطوات. يضع الشريف ستيفنز يده على كتفي. يقول لي: «سوف يعتنيان به. دعينا نذهب ونهتم بأمركِ». يبدو هذا اقتراحًا، لا أمرًا.

أومئ برأسي وأسير خلفه فنخرج من الغرفة في حين يضع الممرضان آدم على النقّالة.

أنا جالسة في مكتب الشريف ستيفنز. يعود إليّ حاملًا حقيبة إسعافات أولية. ينحني قبالتي من فوق طاولة المكتب، ويمسح الدم الجاف عن الجرح الذي في وجهي. قال لي أكثر من مرة إنه شديد الأسف؛ وأظنه يعني هذا حقًا. لكني لست واثقة إن كان أسفًا لما فعله سكوت أم أسفًا للوضع الذي وجدت نفسي فيه... أم للأمرين معًا.

«لا أظن الجرح في حاجة إلى خياطة. لكنه ليس

مكتبة ياسمين

جرحًا بسيطًا». يقول هذا قاطعًا الصمت الذي حل في الغرفة.

لا أقول له شيئًا. يواصل تفحص إصابتي، لكني أظن أنه يستغل هذا الوقت كي يتفحَّصني. تواصل عيناه النظر في عينيّ، لكني أشيح بوجهي كل مرة. لست واثقة مما يحاول اكتشافه. لعله يريد فهم ما يجعلني أكون مع رجل مثل آدم! لعله يحاول فهم ما يجعلني أقف إلى جانبه بعد كل ما جرى! يضع على الجرح مادة معقِّمة، ثم يغطيه بلصاقتين طبيتين متصالبتين. يغلق حقيبة الإسعافات الأولية، ثم ينظر إليّ نظرة طويلة. من الواضح لي أنه يريد قول شيء. أرمقه بنظرة آملةً أن يفهم منها أن في مستطاعه سؤالي عما يشاء. أريد أن أعرف ما يفكر فيه. أريد أن أعرف ما يحاول اكتشافه. لا أستطيع قراءته؛ وهذا يخيفني. أستطيع قراءة أي شخص. أما هو... فلا أستطيع.

«هل أستطيع أن أطرح عليكِ سؤالًا؟».

«تفضل». أضغط على اللصاقتين كي أتأكد من أنهما في الموضع الصحيح. يذهب إلى خلف طاولة مكتبه، ويجلس. يصمت قليلًا، يصمت لحظة، فأظن أنه لن يسألني عما يفكر فيه. أستنشق نفسًا، وأحاول الاسترخاء. أتململ قليلًا في جلستي وأضع ساقًا فوق ساق. ينقر الشريف ستيفنز على الطاولة بأصابعه، مفكرًا. يميل فوق الطاولة قليلًا مستندًا إليها بيديه. «هل تظنين أنه هو من فعلها؟».

«أي سؤال هذا؟». يتجهَّم وجهي تعبيرًا عن استيائي.

«هذا سؤال فحسب!». ينظر في عينيّ.

«سؤال في غير محله». ثمة استياء في صوتي.

«صحيح... في غير محله». يومئ برأسه. لا يهمه

إن كان سؤاله ملائمًا أم غير ملائم. أدرك لحظتها سبب لا مبالاته. لقد تخلى عن حذره. أظن أنني أفهم ما يحاول قوله من خلال ما لا يقوله. هو غير متأكد من أن آدم قد فعل ذلك. بالتأكيد، الأدلة كلها تشير إلى موكّلي... لكن الشريف يتساءل: هل يمكن أن تكون هذه القضية بتلك السهولة؟ أيعقل أن يكون آدم غبيًا إلى حد يجعله يقتل امرأة في فراشه ويتركها هناك كي تكتشف عاملة التنظيف أمرها؟ لا تكون الأمور أبدًا مثلما يبدو ظاهرها!

لا أظن الشريف ستيفنز شخصًا يريد الاكتفاء بأن يلصق الأمر بآدم ويعتبر ذلك نصرًا له حتى إن كان هذا سهلًا عليه. أظن أنه راغب في مساعدتي في العثور على من فعل ذلك حقًّا. لا تجري الأمور هكذا على الإطلاق، لكن تركيزي، في آخر المطاف، منصبٌّ على الدفاع عن آدم. تركيز الشريف ستيفنز منصبٌّ على العثور على الشخص الذي ارتكب هذه الجريمة. لا يهمه إغلاق القضية سريعًا. إنه مهتم بإنهائها على الوجه السليم.

أقول آخر الأمر: «لا أظن أن آدم قد فعل هذا». آمل أن أكون قد قلت هذه الجملة بقدر كافٍ من الثقة.

يومئ الشريف ستيفنز برأسه ويستند إلى ظهر مقعده.

«إنه أمر غير معتاد إلى حد ما، لكني أود أن آخذك إلى مسرح الجريمة. أريد أن تخبريني بما ترينه هناك».

أقول من غير تردد: «يعجبني هذا».

«جيد».

«دعوني أدخل. لست أبالي أبدًا بما لديكم من شكليات». يندفع ماثيو داخلًا الباب مجتازًا موظفة الاستقبال وشرطيًا كان يقف هناك. ألتفت إليه

فيدرك لحظة يرى الضماد على وجهي أن ثمة أمرًا غير طبيعي.

«ماذا فعلوا بك؟». يجري ماثيو إليّ. يتفحص رأسي ويرمي الشريف ستيفنز بنظرة كالحة. «إنها محامية. سوف تقاضيكم، وأنا أعرف أشخاصًا لديهم نفوذ واسع. سوف يجعلون هذه البلدة كلها تركع على ركبتيها». يعود انتباهه إليّ. يرقُّ وجهه وتتفحصني عيناه.

«أنا بخير. سوف أخبرك بكل شيء». أنظر إليه محاولة طمأنته. على الدوام، يحاول ماثيو حمايتي من أي شيء.

مكتبة ياسمين

15

آدم مورغان

أستيقظ في المستشفى. يدي اليمنى مقيدة إلى السرير. أحس ضجيجًا في رأسي، لكنه ليس متناسبًا مع شدة الضربات التي أتذكر أنني تلقيتها. أنبوب متصل بقسطرة وريدية في ذراعي. آه... هذا هو السبب. قطرات من مسكّن الألم تسري مباشرة إلى دمي فلا أحس بآثار ما حل بي. الغرفة من غير نوافذ. لا أعلم في أي وقت من النهار أنا، ولا أعلم الزمن الذي مرّ على وجودي هنا. هذا ما توقعته تمامًا؛ غرفة مستشفى صغيرة جدرانها بيضاء ناصعة وأرضها بيضاء. جهاز مراقبة نبضات القلب إلى جانبي يصدر طنينًا منتظمًا، يقول لي إنني لا أزال حيًا. أتحسس وجهي بأصابعي فأكتشف فيه حدبات وأثلامًا... أمورًا غير طبيعية. أستطيع الرؤية بعيني اليسرى. أرفع يدي إليها وأتحسس جفنَيها المتورمين.

أهمُّ بطلب الممرضة، لكني أتذكر شيئًا. شيئًا سمعته عندما كنت مستلقيًا على أرض غرفة الاستجواب، متلويًا لشدة الألم، يغيب عني الوعي أحيانًا، ويعود أحيانًا. أتذكر صوت الشرطي هدسون والكلمات التي خرجت من فمه. لقد دعا الشرطي الذي هاجمني باسم سكوت. إنه زوج كيلي.

ازدادت الأمور تعقيدًا... تعقدت كثيرًا! كيف لم أعلم أن زوجها شرطي؟ كيف لم تخبرني كيلي بهذا الأمر أبدًا؟ لا عجب في أنها كانت مذعورة. لا عجب في أنها غير قادرة على الإفلات منه. انظروا إليه. إنه رجل ضخم. أنا لست قصير القامة، لكني لم أستطع مقاومة قبضتي يديه الشبيهتين بكفّي

غوريلا. تخيلوا ما كانت كيلي تعانيه معه. تخيلوا فقط! مسكينة كيلي! أعلم أن سكوت هو من فعل هذا. لم يكن صعبًا عليه أن ينهي الأمر بيننا. سيعرف كيف يفعل هذا، أليس شرطيًا؟ هكذا هو الأمر. إنه شرطي. لم يكن ممكنًا أن يرتكب أية غلطة، أليس هذا صحيحًا؟ لقد انتهى أمري، انتهى تمامًا.

ممرضة تدخل الغرفة غير مبالية بشيء. إنها تفتش في مجموعة من الأوراق. تلقي نظرة في اتجاهي فتلاحظ أنني استيقظت. تجفل عندما تراني. «أوه، يا للسماء! هل أنت مستيقظ؟».

أحاول الجلوس فتجري الممرضة إليّ وتطلب مني أن أكف عن المحاولة. تتفقد الآلات المتصلة بي، ثم تخرج مسرعة.

بعد بضع دقائق، يدخل الشريف ستيفنز. أراه يدخل الغرفة متثاقلًا قليلًا. أستطيع رؤية أنه غير مسرور، لكن انزعاجه ليس موجّهًا إليّ. «كيف حالك الآن؟».

«جيد... على ما أظن».

«اسمع، يا آدم! يؤسفني ما حدث هناك. لم يكن ذلك صحيحًا. أريدك أن تعلم أن الشرطي سامرز قد أوقف عن الخدمة». يمرر أصابعه في شعره وهو يتكلم.

«ينبغي أن يُوضع في السجن».

«أعلم أنك تعتقد هذا، لكن عليك فهم أنه فقد زوجته منذ وقتٍ وجيز. ليس لسلوكه أي تبرير، لكن عليك أن تفهم على الأقل ما دفعه إلى فعل ذلك».

يعلو صفير جهاز مراقبة نبض القلب، يعلو كثيرًا وأنا أحاول ضبط الغضب المستعر في داخلي، لكنني لا أستطيع. «لقد قتلها ذلك الوغد! وأنا أعلم هذا».

أنهض قليلًا وأصير نصف جالس. على الفور، تظهر قطرات العرق على جبيني. تتسارع أنفاسي ويخفق قلبي. ترتعش يداي.

«انتظر لحظة، يا سيد مورغان. ما الذي يجعلك تظن أن لسكوت أية علاقة بموت كيلي سامرز؟ كانت كيلي زوجته؛ وقد غثر عليها في فراشك، في بيتك». لا يقول الشريف هذا اعتراضًا على كلامي. إنه يستفهم. إنه يفكر في ما سمعه مني. لست أدري إن كان يفعل هذا لأن جزءًا منه يصدقني أو لأنه يحاول الإيقاع بي.

«لقد علم بأمرنا. علم بالعلاقة التي بيننا. كتب لها رسائل نصية ليلة مقتلها. كان يهددها. كان يسيء إليها. مهما يكن رأيك فيه، فهو ليس مثلما تظن».

يقرِّب الشريف ستيفنز كرسيًا من سريري، ثم يجلس. يستنشق نفسًا عميقًا وينظر إليّ. إنه يقيِّمني، يحاول فهمي. يريد أن يعلم الحقيقة، ربما ليست حقيقتي أنا، بل الحقيقة.

«لم تكن هناك على الإطلاق أية مزاعم تتهم سكوت سامرز بالإساءة، لا من كيلي سامرز، ولا من أي شخص آخر في هذه البلدة». يقول هذا كأنه يقرر حقيقة.

«كانت كيلي أشد خوفًا من أن تقول شيئًا. أرادت أن تهرب، لا أكثر. الآن، صرت أعلم السبب. الآن، فهمت».

«ماذا فهمت؟».

«زوجها شرطي. كانت تدرك أن ما من فرصة لديها للفرار منه أو لجعله يدفع ثمن جرائمه».

يقول الشريف: «لم يعجبني سكوت يومًا».

«ماذا؟». أحاول التأكد من أنني لم أخطئ السمع.

لماذا يقول لي هذا؟ ما سبب وجوده هنا؟ هل هذه لعبة؟ أم أنه يحاول مساعدتي فعلًا؟ لست أدري ما يحدث لي؛ ولست أدري لماذا يحدث لي هذا.

«لقد سمعتني. أعلم أنه لا يجوز لي قول هذا. لكن، في نظري، كان هناك على الدوام شيء غير طبيعي في ما يخص سكوت. كان لديه أصدقاء أكثر مما ينبغي من ذوي 'الطبع الأميركي جدًا' في هذه البلدة؛ وقد علمت أن لدى كل منهم هياكل عظمية في خزانته، وأن الناس الذين يبدون طيبين عادة ما يكونون أسوأ الناس جميعًا». يقول هذا ويستند إلى ظهر الكرسي.

لست أدري ما أقوله ردًا على هذا. أفضّل التزام الصمت إلى أن أدرك أنني نسيت أن أسأل عن سارة. لقد أصابها جرح أو، على الأقل، أظنها أصيبت. أظن أن الدم الذي رأيته على وجهها كان دمها هي، لكن من الممكن أيضًا أن يكون دمي. «كيف حال سارة؟ هل هي بخير؟ هل جُرحت؟».

«سارة بخير. جرح صغير في جبهتها، لا أكثر. لكن تلك الفتاة مقاتلة. حتى رجل طوله مئة وتسعون سنتيمترًا لم يستطع هزيمة تلك المرأة». يقول هذا مبتسمًا.

أومئ برأسي عارفًا أن كلامه صحيح. «أين هي؟ أريد رؤيتها».

«قلت لها أن تذهب إلى البيت وأن تعتني بنفسها. سوف تعود في الصباح. آمل أن تجد هذا مناسبًا».

«بالطبع».

«والآن، سوف أنظر في أمر سكوت لأن هذا ما ينبغي فعله. لست مقتنعًا بأنك من ارتكب تلك الجريمة. لكني لست مقتنعًا أيضًا بأنك بريء». ينهض واقفًا.

«لا بأس». أقول هذا لأن ما من شيء أخر أستطيع قوله. أعلم ما يفكر فيه؛ لن أجلس هنا وأحاول إقناعه بأنني لم أفعلها. أعلم أن الأدلة هي الشيء المهم في نهاية المطاف. على الأقل... هذا ما أعلمه من سارة. أنا واثق من أنها سوف تعثر على الأدلة. وأظن أنني أكاد أكون واثقًا من أن الشريف ستيفنز سيساعدها في العثور عليها.

«هناك شرطي أمام باب غرفتك. سوف آتي بسارة يوم غد كي تراك». يتردد قليلًا... «سوف أكتشف حقيقة هذا الأمر. لك أن تثق بكلامي». يخرج من الغرفة قبل أن أفلح في الإجابة.

16
سارة مورغان

يقود ماثيو بي السيارة عائدًا إلى البيت. يحاول إقناعي بألّا أتولّى هذه القضية. قال لي إنني أرتكب غلطة. قلت له إن هذا ليس من شأنه.

كنت أشد إرهاقًا من أن أستطيع الذهاب إلى المكتب، وأشد انزعاجًا من أن أشرح لمساعدتي آن أو لأي شخص آخر ما كان يجري في حياتي. لا أظنني قادرة على مواجهة أي إنسان. لديّ قدر كبير جدًا من الإحساس بالغضب والذعر والخوف ومزيج من أمور أخرى لا أستطيع حتى أن أصفها.

سوف يخرج الأمر إلى العلن عما قريب. وسوف تلتهم الصحافة الأنباء التهامًا. فبما أن لي مكانتي في واشنطن، ونظرًا لحقيقة أن آدم كاتب روائي له كتابات منشورة، فلن يطول الأمر قبل أن يصير السر ذائعًا. ماذا أقول لآن؟ ماذا أقول لزملائي؟ ماذا أقول للموكلين؟ لا أستطيع أن أشغل بالي بهذه الأمور. ينبغي أن يظل تركيزي منصبًا على القضية نفسها.

أمضيت اليوم كله بين نوم ويقظة. عندما أكون مستيقظة تمامًا، أستعيد في ذهني كل شيء... أعني وقائع القضية التي بين يديّ. لا شك في أن آدم هو المشتبه فيه الأكثر وضوحًا. لديه الوسيلة والدافع والفرصة، وهذا كل ما يلزم النيابة العامة كي تتهمه وتدينه. لكن لدينا سكوت أيضًا، فما جرى اليوم يؤيد ما قاله آدم. له طبع صعب. وهو غير قادر على التحكم فيه. ثم إن الرسائل النصية التي ذكرها آدم ليست مما يمكن تجاهله. وأيضًا، لديه الدافع، ولديه الوسيلة. لكن السؤال هو: هل سنحت له فرصة؟ أتناول دفتر الملاحظات عن الطاولة الصغيرة إلى

جانب السرير وأسجل عليها بضع ملاحظات. أكتب كلمة «الفرصة» وأحيطها بدائرة. هل من الممكن أن يكون هناك شخص آخر؟ كيلي هي الضحية، لكنها كانت في علاقة غرامية. ماذا كانت تفعل غير ذلك؟ ما الذي كانت متورطة فيه غير ذلك؟ أيكون هناك شخص آخر يريد موتها؟ أدوّن اسم المقهى: «مقهى سيث». عليّ أن أتكلم مع زملائها ومع الزبائن ومع كل من قد تكون له صلة بها.

يرن هاتفي. لا أعرف هذا الرقم. أتردد قبل الإجابة. صارت الساعة التاسعة ليلًا، لكن من الممكن أن يكون هذا اتصالًا من آدم، أو اتصالًا من المستشفى. كان عليّ أن أعود كي أتفقده. لكن الشريف ستيفنز أكد لي أنه بخير، وأشار عليّ بالذهاب إلى البيت كي أستريح.

أرد على المكالمة: «مرحبًا».

«مرحبًا، يا سارة. أنا الشريف ستيفنز. أتصل كي أطمئن عليكِ وأقول لكِ إن آدم يتحسن. غادرت المستشفى قبل قليل. إنه مستيقظ».

«ماذا قال الطبيب؟». لست قلقة على حالي. أنا قلقة على آدم.

«قالوا إن لديه كسرًا في عظم الوجنة، وارتجاجًا دماغيًا بسيطًا، وبعض الكدمات. لكنه سيشفى. لقد أرسلت الأوراق إلى شركة التأمين الخاصة بنا. لذا، ليس عليك أن تقلقي بشأن مصاريف المستشفى».

«لا تهمني المصاريف. لا يهمني غير أن يكون بخير».

«الحقيقة أنه بخير. آسف لأنني أزعجتك». يقول هذا، ويهم بإنهاء المكالمة.

«انتظر». ثمة ذعر في صوتي. لا أريد أن ينهي

المكالمة. لسبب أجهله، أريد أن أكلمه... لماذا؟ لست أدري! ربما لأنه يفهم ما أعانيه. ربما لأنه أظهر لي لطفًا وتفهمًا عندما لم يظهر لي أحد في مركز الشرطة شيئًا من ذلك. ربما لأنني لا أستطيع قراءة ما في ذهنه، أو ربما لأنني في حاجة إلى مساعدته. فعلًا... أنا في حاجة إلى مساعدته.

يسألني: «ماذا؟»، وينتظر إجابتي بصبر. يبدو لي أنه متعلق بكل كلمة من كلماتي. أظنه راغبًا في الكلام معي، هو أيضًا.

«أشكرك، أيها الشريف...».

يوقفني: «راين. خاطبيني باسمي، راين».

«راين... آسفة لأنني كنت فظة في كلامي معك، وكان طبعي سيئًا. أعلم أن هذا ليس ذنبك؛ وأعلم أنك تحاول مساعدتي. إنني أحاول فهم الأمر، ولا أريد أن أحمل عليك أية ضغينة».

أسمعه يتنهد... أهي تنهيدة راحة أم تنهيدة انزعاج؟ لست أدري.

«سارة... لست على معرفة جيدة بكِ، لكن... إن كان آدم قد فعل هذا فمهمتي هي أن أعثر على الحقيقة وأن أسعى إلى تطبيق العدالة. وإذا كان آدم لم يفعل، فالأمر نفسه يظل صحيحًا. أنا هنا من أجل مساعدتكِ على نحو مهني وبطريقة ودية. أظن أن ما أريد قوله هو إنني أقف معكِ بصرف النظر عما يمكن أن نكتشفه معًا. لست أبحث إلا عن الحقيقة».

أظن أنني بدأت أفهم الشريف ستيفنز وبدأت أفهم دوافعه. أجد في هذا إطراءً لي مع أن ذلك في غير محله، مع أنه شيء لا يمكن حتى أن أفكر فيه. أود أن أنهي كلامي معه، أن أقول له إنه مخطئ في ما قاله؛ لكني في حاجة إليه. «أقدر لك هذا، أيها الشريف ستيفنز».

مكتبة ياسمين

هذه المرة، لا يصحح لي اسمه. إنه يفهم تمامًا ما أقوله له.

«ليلة طيبة، يا سيدة مورغان. أراك غدًا عند الساعة الحادية عشرة مثلما اتفقنا».

«ليلة طيبة». أنهي المكالمة. يهتز الهاتف لحظة أضعه على الطاولة. إنها رسالة. رسالة من ماثيو:

آسف لما قلته لك. أنت محقة. الأمر ليس من شأني، لكني موجود دائمًا إذا كنتِ في حاجة إليّ. ستكون لديّ مشاغل كثيرة في اليومين القادمين، لكني سآتي لرؤيتكِ فور استطاعتي.

أضع إصبعي على الرسالة، وأختار أن أرد بإشارة قلب. أضع الهاتف، ثم أغمض عينيّ آملةً أن أنام الليلة. لكني أعلم أنني لن أنام.

مكتبة ياسمين

17
آدم مورغان

بعد انصراف الشريف ستيفنز، فكرت في الاتصال بسارة لكني لم أستطع. على الأقل، ليس الآن، ليس بعد. أعلم أنها بخير من الناحية الجسدية، لكني غير قادر على تخيّل ما أسببه لها ذهنيًا وعاطفيًا. سارة أقوى إنسان أعرفه، لكن الإنسان غير قادر على الاحتمال من غير حدود. ليتني أقول لها أن تترك هذه القضية وتستعين بشخص آخر لأنها لا تستحق هذا. لا يجوز أن تكون مضطرة إلى تنظيف أوساخي.

بكل تأكيد، أعلم في قلبي أنني لم أقتل كيلي، لكني كنت على علاقة بها. ومن غير تلك العلاقة، ما كان لشيء من هذا كله أن يحدث. على الأقل، لا أظن أن حدوثه كان ممكنًا. لعل سكوت كان سيقتل كيلي على أية حال، لكن ذلك ما كان ليحدث في بيتنا، وما كنت لأجد نفسي متورطًا فيه.

لا بد أن يكون سكوت هو القاتل. لا يهمني الاستعراض الذي أدّاه اليوم، ولا أنه ضربني ضربًا مبرحًا. هو القاتل. أعلم أنه من قتلها. آمل أن تستطيع سارة، وأن يستطيع الشريف ستيفنز، إثبات أنه هو من قتلها.

أغمض عينيّ وأحاول النوم، لكن ذهني يواصل استعادة ما جرى اليوم وما جرى في الشهور الستة عشر الماضية. أفكر في الأوقات التي أمضيتها مع كيلي، أحاول ألا أفكر فيها، لكني لا أستطيع. أحب زوجتي، لكني أحببت كيلي أيضًا. تفر بضع دمعات من عيني، فأتركها تتدحرج على وجهي وتسقط على الوسادة. ماذا فعلت؟!

مكتبة ياسمين

18

آدم مورغان

قبل أسبوعين

أنهيت قبل قليل يومًا كاملًا من الكتابة. أعني بهذا أنني أمضيت يومي كله جالسًا أمام شاشة الكمبيوتر الخالية؛ وكنت أرتشف الويسكي. تعبت عيناي لطول التحديق في ملف الوورد الأبيض. لكن، وبفضل الويسكي، كنت مخدرًا إزاء كل شيء آخر.

لقد خططت للعودة إلى البيت لأن كيلي ألغت موعدها معي للمرة الثالثة هذا الأسبوع. لكني كنت في حالة لا تسمح لي بقيادة السيارة فقررت أن أبقى وأن أحاول العودة إلى الكتابة مجددًا عندما يأتي الصباح. أغلقت اللابتوب وذهبت إلى غرفة المعيشة حاملًا كأس الشراب الكريستالية. أوقدت النار، ووضعت موسيقى كلاسيكية. هممت باختيار كتاب من الكتب المصطفة على الرف كي أستعين به على قضاء الأمسية لكني سمعت طرقًا على الباب. ظننت أن سارة آتية في زيارة مفاجئة. في تلك اللحظة، سررت أن كيلي قد ألغت الموعد الذي كان بيننا.

لكني فتحت الباب فوجدت كيلي، وجدتها محطمة، مضروبة. دموعها تجري على وجهها، مختلطة بالدم الجاف تحت أنفها وعند شفتها. كانت عينها اليمنى زرقاء مسودة وشعرها مشعثًا. شهقت عندما رأيتها. كادت تنهار بين ذراعي. أدخلتها البيت وأخذتها إلى غرفة المعيشة. لففت جسدها البارد ببطانية.

«من فعل بك هذا، يا كيلي؟». سألتها بصوت يكاد يكون صراخًا وأنا أجري إلى المطبخ كي اتي بخرقة

مكتبة ياسمين

وبكيس من قطع الجليد.

ازداد بكاؤها.

«هل تريدين أن أتصل بالشرطة؟». وضعت كيس الجليد على عينها. مسحت الدم عن أنفها وشفتها.

قالت متوسلة: «لا... لا! لا تتصل بالشرطة!». واصلت مسح الدم عن وجهها. ثم بقينا جالسين إلى أن توقف بكاؤها وأحسست بأنها صارت جاهزة لأن تتكلم. أتيت لها بكأس ويسكي وأعدت ملء كأسي. سوف تكون هذه الليلة طويلة! جلست إلى جوارها واحتضنتها، وحاولت طمأنتها إلى أنها صارت آمنة وإلى أن كل شيء سينتهي على خير ما يرام.

قطعَت صمتها آخر الأمر وقالت: «لن يكف عن هذا أبدًا».

«من هو؟».

«سكوت... زوجي».

شددتها صوبي واحتضنتها بقوة أكبر. كنت أعرف أنها متزوجة. لكني افترضت أن زواجها كان مثل زواجي، زواجًا من غير حب، زواجًا من غير اهتمام، زواجًا مضجرًا انطفأ دفؤه... لكن ليس هكذا! كنت أظن أن زواجي سيئ، لكن زواج كيلي أسوأ من زواجي، أسوأ كثيرًا. قد أكون ضجرًا، لكنها معرضة للخطر.

تناولت جرعة من كأس الويسكي. «هل ذهبت إلى الشرطة؟».

هزت رأسها وقالت: «لا أستطيع الذهاب».

«لماذا؟».

«لا أستطيع فحسب». بدت لي يائسة. أنهت كأسها ولم أحاول متابعة الحديث. أنبأتني هيئتها بأن عليّ ألا أتكلم.

سألتها: «ما الذي أستطيع فعله؟».

نهضت وأعدت ملء كأسينا. وضعتهما على الطاولة الصغيرة أمامنا وجلست في مكاني على الأريكة. أجلستها في حضني، وداعبت شعرها وجانب وجهها. كنت أقابل كيلي طيلة السنة الماضية. كنت مهتمًا بأمر هذه المرأة. كنت واقعًا في حب هذه المرأة. أردت أن أنقذ هذه المرأة. لا يجوز أن تجري حياتنا هكذا! لا يجوز هذا!

«أنت غير قادر على فعل أي شيء. وهو لن يتوقف أبدًا». كانت عيناها غائمتين. لم أرَ فيهما أي أمل. كانت مقتنعة حقًّا بما قالته لي.

لكني لم أستطع تركها تستسلم. «أستطيع مساعدتكِ في الفرار».

«لا أستطيع الفرار. سوف يظل دائمًا قادرًا على العثور عليّ».

«سوف نهرب معًا. أنتِ وأنا». قلت لها هذا وأظن أنني عنيت ما قلت.

«أقول في نفسي بعض الأحيان إن الموت هو السبيل الوحيد الذي يتيح لي أن أهرب منه».

«لا تقولي هذا! لماذا تقولين هذا الكلام؟».

«إن في حياتي أمورًا لا تعلمها». نظرت إليّ مليًا، ثم أشاحت بوجهها كأنها ندمت على ما قالته قبل لحظات.

«ما الذي لا أعلمه عنك؟ أنا أحبك يا كيلي. هذا كل ما أنا في حاجة إلى معرفته. أحبك وأريد مساعدتك. أخبريني كيف أستطيع مساعدتك».

«لا أظن أنك قادر على مساعدتي. سكوت لديه ممسك عليّ».

ضغطت على يدها، «ما هو؟ قولي لي!».

مكتبة ياسمين

استنشقت نفسًا عميقًا ثم انتصبت في جلستها. رفعت كأسها وأفرغتها في جوفها دفعة واحدة. التفتت إليّ وباحت لي بكل شيء، باحت بكل ما يعلمه سكوت عنها.

«كنت متزوجة من قبل. صحيح أن كلًا منا كان يحب الآخر، لكن الأمور بيننا لم تكن حسنةً على الدوام. واسمي أيضًا... اسمي ليس كيلي سامرز. أنا جينا واي. وجدت نفسي مضطرة إلى تغيير اسمي بعد ما جرى، بعد اتهامي بقتل زوجي الأول. أنا لم أقتله!». صمتت لحظة. ضغطت قليلًا على يدها. نظرت إليّ وتابعت: «وقعت بيننا مشاجرة في وقت سابق من ذلك اليوم. كان هذا أمرًا معتادًا في حياتنا. كانت حياتنا زاخرة بالعواطف، عواطف جيدة وعواطف سيئة. وجدته مقتولًا عندما عدت إلى البيت في وقت لاحق من تلك الليلة. وكنت أول المشتبه فيهم. أقسم أنني لم أفعلها. لقد أحببت زوجي، لكني اتُهمت بجريمة قتله. وفي أثناء المحاكمة، وقعت مخالفة قانونية في عرض الأدلة فأسقطت التهم الموجهة إليّ. لقد ساعدني في أن أكون حرة، لكني صرت الآن ملكًا له. لذا، أنا لست حرة في حقيقة الأمر. لا أزال أدفع ثمن جريمة لم أرتكبها. لا أزال أمضي عقوبتي. لكني لا أمضيها في زنزانة في السجن، بل مع سكوت. أعلم أن نهاية الأمر لن تكون حسنة بالنسبة إليّ؛ وأعلم أن ما من سبيل أمامي إلى أن أكون حرة غير أن يخرج سكوت من الصورة». قالت هذا وطأطأت رأسها.

حاولت أن أبقى هادئًا في أثناء استيعاب ما باحت به لي. لم أجد شيئًا أقوله لها. لم أدر عمّا أسألها، ولم أدر حتى إن كان يمكنني قول أي شيء لها. لم يكن هذا ما توقعت سماعه. إن في داخل كيلي ظلمة لا

أستطيع حتى أن أفهمها. ظننت أنني أعرف هذه المرأة، لكنني لم أعرف حتى اسمها الحقيقي. من هي؟ وهل قتلت زوجها حقًّا؟

بدا لي أنها توترت عندما لم تبدر مني استجابة سريعة لما سمعته. راحت عيناها تتجولان في الغرفة ثم عادتا إليّ. حركت ساقها وعدّلت جلستها. «أنا لست شخصًا سيئًا». استنشقت نفسًا عميقًا ثم نهضت واقفة. ظننت أنها ستذهب، لكني لم أكن راغبًا في ذهابها على الرغم من كل مما سمعته منها. أردت أن أفهم.

قلت لها: «انتظري!». توقفت عندما رأتني أنهض عن الأريكة. وقفت على مسافة إنشات منها. أشرقت عيناها قليلًا لقربها مني ولاحتمال أنني لن أتركها تخرج من البيت هكذا من غير أن يكون لها مكان تذهب إليه. اقتربت منها ودسست خصلة من شعرها خلف أذنها.

«أنا أعرفكِ كيلي، لا بأنكِ جينا».

قاطعتني: «أعلم هذا. إنني آسفة». وضعت إصبعي على شفتيها كي أسكتها، وقلت لها إنني في حاجة إلى التعبير عما في نفسي. استجابت لما قلت.

«لقد وقعت في حب كيلي، لا في حب جينا. لست مهتمًا بمن كنتِ فيما مضى. وما فعلتِه لا يغير شيئًا من مشاعري نحوكِ. لقد كانت السنة الماضية واحدة من أفضل السنوات في حياتي؛ وذلك بسببك أنت. ما تعانينه أعانيه؛ وما تحتاجين إليه أحتاج إليه. أعدك بهذا يا كيلي. لن يصيبك سكوت بأي أذى بعد الآن». طبعت على جبهتها قبلة خفيفة. رفعت رأسها ناظرة إليّ وعاد الأمل إلى عينيها. مالت إليّ كي تقبلني فاستجبت لقبلتها. أنّت قليلًا لأن شفتها المشقوقة أوجعتها، لكنها لم تتوقف. أحيانًا، يهون

الألم مقابل المسرة.

19

سارة مورغان

ينغلق باب المصعد فأغمض عينيّ لحظة محاولة استجماع كل ما في داخلي من قوة. مظهري يوحي بأنني أتمالك نفسي. تنورة باهظة الثمن وفوقها بلوزة مشدودة. حذاء فاخر أسود اللون، وسترة أنيقة مفصّلة من أجلي. شعري مربوط خلف رأسي في خصلة واحدة عالية. ذهبت هذا الصباح إلى صالون تجميل في المنطقة كي أحظى برعاية احترافية. تمكنوا من إخفاء الكدمة على جبهتي، لكن الجرح لا يزال مضمّدًا. عليّ أن أبدو في أحسن حال، عليّ أن أبدو قوية.

انفتح باب المصعد. آن في انتظاري تحمل فنجان قهوة وعلى وجهها ابتسامة متعاطفة، ابتسامة مشجعة. «ماذا جرى؟ هل أنتِ بخير؟». ذهبت عيناها مباشرة إلى الضماد على رأسي.

«لا بأس. فلنتكلم في أثناء سيرنا!» أتناول منها فنجان القهوة وأتجاوزها مسرعة. تلحق بي تواقة إلى إرضائي وإلى فهم ما جرى.

أحيط آن علمًا بما هو جارٍ لأنني أريد منها أن تبدأ استخدام ما لدى الشركة من قدرات للتحقق من خلفية كل من كيلي وسكوت. ينبغي أن أعرف كل شيء. في أثناء سيرنا في المكتب، ألاحظ تمتمات خفيضة الصوت بين زملائي. حتى الآن، لا يعلم أحد منهم القصة كلها لأن ما من شيء في الأخبار بعد، لكن هذا لا يمنع ظهور الشائعات وتناقلها. أنا لست واحدة ممن يلغون الاجتماعات أو يتخلفون عن مواعيد المحاكم أو يختفون من مكان عملهم! لذا، لا تفاجئني رؤية الناس يتكلمون.

مكتبة ياسمين

تغلق آن باب غرفة مكتبي من خلفنا. أجلس على الأريكة.

«هل أنت واثقة بأنك بخير؟».

أجيبها باقتضاب: «أنا بخير. من فضلك، لا تطرحي عليّ هذا السؤال مرة أخرى».

«آسفة! أتوقع أن تكون تلك التقارير عن خلفية كلٍّ من كيلي وسكوت سامرز جاهزة في نهاية هذا اليوم». تجثو إلى جوار الطاولة الصغيرة وتبدأ ترتيب الأوراق ووضعها في ملفات.

«ماذا يقول الناس هنا؟».

«يقولون إنكِ منهارة ذهنيًا، وإن زوجكِ على علاقة بامرأة أخرى».

تتسع عيناي دهشة: «هم مصيبون في أمر واحد. هل كان بوب يتنشّم الأنباء؟».

«ليس بعد. عاد صباح الاثنين من رحلته خلال عطلة نهاية الأسبوع. لذا، لا يزال يحاول تعويض تأخره».

«هذا جيد».

تسألني آن متعجلة: «هل تظنين أنه فعلها؟».

«لست... لست أدري».

ترمقني بنظرة فزعة وأعلم أنها ندمت فورًا على طرح ذلك السؤال. تقول لي: «آسفة».

«لا بأس، يا آن! فعلًا... لا أستطيع تصديق أن هذا قد حدث. في لحظة، كنت جالسة معك، وكنا نمضي وقتًا جميلًا. ثم عدت إلى البيت، ثم قيل لي إن زوجي قد ارتكب جريمة قتل».

«أنا أيضًا لا أستطيع تصديق هذا. انتظري! قلت لي إنه عاد إلى البيت في ساعة متأخرة من تلك الليلة وإنكما، أنتما... تعلمين ما أريد قوله... حاولتما من

مكتبة ياسمين

أجل إنجاب طفل. ألا يثبت هذا عدم وجوده في مسرح الجريمة؟».

أقول: «يبين التقرير الأولي أن كيلي قد قتلت بين الساعة الحادية عشرة وثلاثين دقيقة ليلًا والثانية عشرة وخمس عشرة دقيقة بعد منتصف الليل. لست واثقة من أنه عاد إلى البيت قبل الساعة الثانية صباحًا عندما استيقظت من نومي».

تتذكّر آن: «ونحن كنا في المدينة حتى الساعة...».

«بقينا إلى ما بعد منتصف الليل؛ لكن من الممكن أن نكون قد بقينا أكثر قليلًا من ذلك».

«نعم، هذا صحيح». تجلس آن، وتفكر. أستطيع رؤية أنها راغبة في أن تكون أكثر فائدة لي.

«من فضلكِ يا آن، لا تدعي هذا الأمر يقلقكِ، هذه ليست مشكلتكِ. لقد ساعدتِني بالفعل في أمور كثيرة... أكثر مما تتخيلين». قلت هذا وابتسمت لها.

كأنها موشكة على البكاء. تنهض واقفة وتحاول تهوية عينيها بيديها. تسير آن في الغرفة، ثم تجلس على الأريكة إلى جانبي وتحتضنني. تهمس في أذني: «لا تطلبي مني ألا أكون قلقة عليكِ. أنتِ صديقتي الأولى، يا سارة. وأنا مستعدة لفعل أي شيء من أجلكِ. من فضلكِ، تذكري أنني هنا». أحتضنها بقوة أكبر قليلًا فتشدني بين ذراعيها.

«شكرًا، يا آن. إن لكِ في قلبي مكانة خاصة جدًا». ألقي نظرة سريعة على الساعة المعلقة على الجدار خلف آن فأدرك أن عليّ أن أذهب. أبتعد عنها ونتبادل نظرة تقول إن كلًا منا ستساند الأخرى بصرف النظر عن كل ما يمكن أن يحدث... وإننا سنكون بخير.

«لا بد لي من الذهاب لرؤية الشريف ستيفنز». أقف

مكتبة ياسمين

وأبدأ جمع أشيائي. أستطيع الإحساس بأن الجو قد تغير: باب مكتبي مفتوح الآن مما يعني أن عليّ أن أستقبل ضيفًا جديدًا في هذه الغرفة. ألتفت بحركة بطيئة كي أرى القادم. على نحو ما، أعلم من سيأتي.

في البداية، أتت الرائحة... أثر ميت من عطر شانيل 5. أمر تقليدي جدًا، متوقع جدًا! ومع العطر، ثوب من لون واحد يزين جسدها المعتنى به جيدًا. ما من شذرة دالة على الشخصية في مظهرها الخارجي؛ وهذا في حد ذاته كفيل بأن يقول للمرء كل ما تلزمه معرفته عنها. تقاطيع وجها قاسية، باقية على حالها نتيجة زياراتها المتكررة إلى واحد من جرّاحي التجميل، لكنه جرّاح يؤدي عمله بطريقة ممتازة بحيث لا تستطيع عين غير مدربة جيدًا اكتشاف أن جلدها ليس طبيعيًا مئة بالمئة. تشدّد على دخولها نقرات كعب حذائها الأسود من نوع مانولو بلانيك (لا تستخدم أحذية لوبوتين أبدًا، «اللون الأحمر فيه ادعاء زائد»)، نقرات تعلن أنها هنا وأنها جاهزة لتلقي ما يليق بها من اهتمام... أي الاهتمام كله.

«مرحبًا، يا سارة!» تلقي إليانور التحية عليّ. ومن غير توقف ولا دعوة، تجتاز المسافة الفاصلة بيننا. «تسرني رؤيتكِ». تصل إليّ وتفتح ذراعيها كي تعانقني. لا يكاد يحدث أي تماسٍ بيننا مع أن كل منا تعانق الأخرى.

أقول لها: «لقد أتيت سريعًا، يا إليانور». أتت أسرع قليلًا مما ينبغي. كنت آمل أن يمر يوم أو يومين قبل أن تشرفني بحضورها.

«بالطبع! إننا نتكلم عن ابني!». ترفع رأسها عاليًا وتبقي حقيبة يدها السوداء الكلاسيكية ملتصقة بها وهي تجلس أمام طاولة مكتبي. تجول عيناها

مكتبة ياسمين

في الغرفة وتقول لي: «مكتبك جميل». في عبارتها هذه قدر من التلطف المتعالي... في أحسن الأحوال. أجلس على الكرسي خلف طاولتي.

آن واقفة بالباب تنظر إليّ وترفع حاجبيها، وتخرج من الغرفة. من الواضح أن إليانور لا تعتزم الالتفات إلى وجودها.

«والآن، أخبريني ما الذي يحدث مع آدم». تضع ساقًا فوق ساق ثم تسند يديها إلى ركبتها.

لن يعجبها سماع هذا. في نظرها، آدم نموذج فريد. هو كل ما بقي لديها من زوجها المتوفى. كان والد آدم يدير صندوقًا استثماريًا، لكنه توفي منذ خمس سنين. كانت وفاة مفاجئة ناتجة عن أزمة قلبية. يقولون إن الأزمة القلبية كانت نتيجة عادات الأكل السيئة ونتيجة التوتر النفسي الشديد في عمله؛ لكني أميل إلى التفكير في أن إليانور كان لها دور في ذلك. إنها امرأة متطلبة حقًا. على أية حال، من أجل هذه القضية، سوف أنحّي خلافاتنا جانبًا وأواصل احتمال كل طعنة وإهانة وعبارة متكبرة.

«آدم مشتبَه به في جريمة قتل...».

تقول إليانور معترضة: «هذا مستحيل! لا يمكن أبدًا أن يفعل ولدي أمرًا من هذا القبيل».

لا معنى لمجادلتها. عادة ما تكون لدى الآباء والأمهات أوهام في ما يتصل بأطفالهم. حتى تيد بوندي وجيفري دامر كان لهما أهل محبون لا يدركون ما في نفوس أبنائهم من شرّ مقيم.

«يشتبه في إقدامه على قتل عشيقته». أنظر في عيني إليانور آملةً أن تستوعب ما أقول، أن ترى حقيقة أن ادم ليس من غير عيوب مثلما تظن. لعلها تصير قادرة على التفكير الواضح في هذا الأمر.

مكتبة ياسمين

تضيق عيناها لحظة، ثم تسترخيان. تسألني: «هل كان يخونك؟». الأمر واضح، لكني واثقة من أنها تريد سماعي أقوله بصوت مرتفع.

أومئ لها برأسي.

تشيح بوجهها عني رافعة ذقنها. أود القول إنها تشمخ بأنفها، لكنها تشمخ بأنفها طيلة الوقت. تتنهد إليانور وتقول: «لا بأس، أريد رؤيته. أحب أن أسمع التفاصيل كلها من آدم». تنظر إليّ من جديد.

أومئ برأسي مرة أخرى. «إنه محتجز في مستشفى في مقاطعة برنس ويليام».

«ماذا؟ ما السبب؟».

«للأمر صلة باحتكاك جرى ليلة أمس في مركز الشرطة». لا أضيف أية تفاصيل.

«ابني المسكين! لماذا لم تقولي لي هذا منذ البداية؟».

تطل آن برأسها: «سارة، عليكِ أن تذهبي الآن إذا أردتِ لقاء الشريف ستيفنز في الوقت المحدد».

تسألني إليانور: «الشريف ستيفنز؟! لماذا لا تذهبين لرؤية آدم؟».

أنهض عن الكرسي، فتنهض عن كرسيها وتعلق حقيبة يدها على كتفها بحركة مسرحية. «أنا ذاهبة لإلقاء نظرة على مسرح الجريمة، لكني سأزور آدم بعد ذلك». أنتهي من جمع حوائجي.

«أنا ذاهبة معك. هذا ليس اقتراحًا، إنه مطالبة».

«لا تستطيعين الذهاب معي. إنه مسرح جريمة. لماذا لا تذهبين كي تستريحي قليلًا وتأكلي شيئًا؟ سوف أرسل لك رسالة نصية في وقت لاحق». ألقي بحقيبتي القماش على كتفي... «تستطيع ان مساعدتك».

تقول إليانور رافعة حاجبيها: «لست في حاجة إلى مساعدة».

«لا بأس. لكن عليّ أن أذهب الان. سوف أتواصل معك في وقت لاحق، يا إليانور». أسير مسرعة صوب باب غرفة مكتبي. أقول لان في أثناء مروري بها: «لست واثقة من أنني سأستطيع العودة اليوم إلى المكتب. إذا لم أعد، فسوف أتصل بك».

تقول آن: «أوه، نعم. اذهبي الآن، سوف أهتم بكل شيء».

«سأراكِ مرة أخرى، يا سارة». تصيح إليانور بهذا من خلفي ولا أسمع بعد ذلك شيئًا غير طقطقة كعبَي حذائها.

بعد ساعة، أوقف سيارتي أمام بيت البحيرة. سيارة الشريف ستيفنز متوقفة في الممر. أراه مستندًا إلى سيارته مرتديًا سترة بدلة الشريف ومن تحتها بنطلون جينز أزرق. على عينيه نظارة شمسية وفي يده مصنَف. يبتسم عندما يرى سيارتي. أتوقف خلف سيارته، وأخرج من سيارتي.

«صباح الخير، يا سيدة مورغان». يخاطبني اليوم بصيغة رسمية. لا أزال أجهل سبب لطفه معي. أتراه يظن آدم بريئًا؟ أتراه يشعر بالأسف عليّ؟ أم أن لديه دوافع أخرى تجعله لطيفًا هكذا؟

«صباح الخير، أيها الشريف ستيفنز». يصافح يدي الممدودة فألاحظ أن يده متعرقة على الرغم من البرودة المنعشة في الجو. لماذا هو متوتر؟ أتراه يعلم شيئًا لا أعلمه؟

«سوف نلقي نظرة على المكان. وإذا لاحظت شيئًا غير معتاد، فعليك إخباري به». يقول هذا ويتقدمني. أسير خلفه متوجسة قليلًا. لن ألاحظ أي شيء حتى إن كان هناك شيء غريب. نادرًا ما اتي إلى

مكتبة ياسمين

هذا المكان. من حيث الأساس كان هذا بيت ادم. لكني لا أنطق بأية كلمة. أنا واثقة من أن ثمة أمورًا لم تلاحظها الشرطة، واثقة من أنني قادرة على المساعدة في هذا الأمر... على الأقل.

يلتفت الشريف ستيفنز صوبي ويناولني المصنف الذي في يده.

«كدت أنسى! ها هي نتائج التشريح ومعها نتائج الـ DNA. لا نزال نعمل على استخراج سجلات الهاتف وعلى إجراء اختبارات إضافية على بعض الأدلة التي جمعناها هنا».

أومئ برأسي وأفتح المصنف في أثناء سيري فأتعثر عند الدرجة الأولى من درجات السلم المفضي إلى شرفة البيت الأمامية. أتعثر لأنني أقرأ تقرير التشريح. يمسك الشريف ستيفنز بي ويجذبني كي يساعدني في الوصول إلى الشرفة. تتقابل أعيننا على مسافة إنشات. أنفاسي متقطعة قليلًا. أنفاسه ثابتة مستقرة. يسألني إن كنت بخير فأجيبه بنعم. أبتعد عنه خطوة وأسوّي تنورتي في حين ينحني كي يلتقط الأوراق التي سقطت مني.

«هل تحبين أن تجلسي هنا كي تقرأي التقرير قبل دخولنا؟» ويشير إلى مقعد على الشرفة. أومئ برأسي مدركة أن من الأفضل أن أقرأ التقرير قبل محاولة تفحص مسرح الجريمة. أجلس وأبدأ تقليب أوراق التقرير.

«هل كانت في دم كيلي سامرز مادة روهيبنول؟».

«أجل». يذرع الشريف ستيفنز الشرفة جيئة وذهابًا. ليس واحدًا ممن يستطيعون الجلوس هادئين.

أرفع رأسي ناظرة إليه وأسأله: «أمر غريب. وماذا عن ادم؟ هل عثرتم في دمه على تلك المادة

مكتبة ياسمين

نفسها؟».

يقول من غير تردد: «لا».

«هل أجريتم اختبارًا له؟».

«أظن هذا، لكني سوف أسأل المختبر كي أتأكد من الأمر مرة ثانية».

أواصل تقليب مزيد من الصفحات، ثم أتوقف عندما تلفت واحدة منها نظري. أستعرض النص سريعًا، ثم أطلق زفرة ضيق وانزعاج.

«هل كانت حبلى؟» أرفع رأسي وأنظر إلى الشريف ستيفنز. يتململ قليلًا في وقفته. وعلى الفور، يظهر عليه انزعاج واضح. يبدو كأنه يحاول تمالك نفسه سريعًا بحيث لا ألاحظ أن هذا النبأ يسبب له ضيقًا. أظن أن هذا يمكن أن يسبب ضيقًا لأي إنسان. امرأة وطفلها الذي لم يولد بعد يُطعنان حتى الموت.

أخيرًا، يومئ الشريف برأسه ويقول: «كان عمر حملها نحو ثمانية أسابيع. تنظر النيابة العامة الآن في إمكانية أن تكون تلك جريمة قتل مزدوجة. وبالنظر إلى وحشية الجريمة، فسوف يطلبون عقوبة الإعدام». يظن أنه يخبرني أمرًا لا أعلمه، لكن أي محامٍ قدير يستطيع أن يصل إلى هذه النتيجة من غير تأخير.

«هل كان آدم والد الجنين؟».

تتفادى عينا الشريف ستيفنز النظر في عينيّ. لا يريد أن يخبرني... لكنه أخبرني بالفعل.

يقول: «نعم». يبدو كأنه موشك على قول شيء آخر، لكنه لا يقول. يبتلع كلماته ويبدأ السير من جديد. يتمنى الان لو أنه كان في أي مكان اخر من العالم. أنا غير قادرة على تصديق أن ادم قد جعل هذه المرأة تحبل منه. هل كان يعلم بالأمر؟ هل

كان يخفيه عني؟ هل طلبت منه مالًا أو هددته بأن تخبرني؟ في لحظة، أكون واثقة من أن ادم لا يمكن أبدًا أن يفعل هذا، وفي لحظة أخرى، لست واثقة تمامًا. بحق الجحيم... بم كان يفكر؟

تتوقف خطوات الشريف ستيفنز. يضع يده على عمود سور الشرفة مستندًا إليه. أستطيع الإحساس بعينيه مسلطتين عليّ. يقول: «اسمعي، سوف أذهب سريعًا كي أجلب قهوة وأمنحكِ وقتًا كي تفرغي من قراءة هذه الأوراق والتمعن فيها. هل تريدين قهوة؟».

لا أرفع رأسي عن الأوراق. أواصل القراءة. «نعم، من فضلك». تركيزي منصب على المهمة التي بين يديّ، عليها وحدها.

« سأعود بعد دقيقة. من فضلكِ، لا تدخلي البيت من غير وجودي معكِ».

أقول بقدر من الفظاظة: «حتى في بيتي؟!».

يتنهد الشريف ستيفنز وينزل درجات سلم الشرفة. أرفع رأسي عن الأوراق وأتابع خطواته المبتعدة. لم أنتبه من قبل، لم أنتبه حقًا، إلى مدى حسن مظهره؛ طويل القامة، عريض الكتفين، وسترة الشريف البنية النظيفة المنشّاة. إنه يتمتع بجاذبية واضحة جدًا على الرغم من نقائصه، ومن وجهه المرهق.

«لن أدخل بيتي من دونك». يلتفت ويبتسم ابتسامة صغيرة محاولًا إرغام ضيقه على عدم الظهور في كلامه: «جيدا! لا أحب أن أجد نفسي مرغمًا على اعتقالك. يبدو أن هذا الميل يشمل الأسرة كلها». يضحك، ثم يهز رأسه منتبهًا إلى ما في محاولة المزاح هذه من غرابة. أرمقه بنظرة استياء وأتابع تقليب الأوراق.

لا يغيب الشريف ستيفنز أكثر من عشرين دقيقة.

مكتبة ياسمين

وعندما يعود، أكون قد استعرضت المعلومات كلها. ماتت كيلي سامرز نتيجة الطعنات التي أصابتها. وجدوا الروهيبنول في دمها، وكذلك وجدوا فيه نسبة كحول عالية تبلغ ضعفي الحد الذي لا تجوز معه قيادة السيارة. كانت على ظهرها وكتفها ووركها كدمات عائدة إلى ما لا يقل عن أربع وعشرين ساعة قبل مقتلها. الجلد الذي وجدوه تحت أظافرها مماثل لجلد آدم. وبحسب نتائج تحليل الـ DNA، كان السائل المنوي الذي وجدوه في فرجها وفمها وشرجها مطابقًا للسائل المنوي عند آدم. لكنهم أخذوا من مهبلها عينتي DNA أخريين لا تشيران إلى آدم.

يقترب الشريف ستيفنز ويناولني فنجان القهوة. يتناول رشفة من فنجانه وهو يجلس على المقعد إلى جانبي. إنه يتأمل المنظر من شرفة البيت ويتابع السناجب في حركتها بين أوراق الأشجار التي صارت عليها ألوان الخريف، لكن، كأنه لا يرى شيئًا من ذلك كله.

يرتشف جرعة أخرى من قهوته. «ماذا وجدتِ في الأوراق؟».

أغلق المصنف وأضعه إلى جانبي، وأتناول رشفة من فنجاني. «لقد وجدوا فيها نسقين إضافيين من الـ DNA. هل أجريتم أية اختبارات عليهما؟».

«سوف نأخذ عينة من سكوت في وقت لاحق من بعد ظهر هذا اليوم. وسوف أفترض أنها ستكون مطابقة لما عثرنا عليه. لكن هذا لا يثبت شيئًا غير أنه ضاجع زوجته».

«وماذا عن نسق الـ DNA الاخر؟».

«نأمل أن تزودنا سجلات الهاتف بمزيد من المعلومات كي نتحرى هذا الأمر. لعلها كانت تقابل

مكتبة ياسمين

شخصًا أخر! لعلها اغتصبت، ولعل من اغتصبها هو القاتل الحقيقي. نحن غير متأكدين بعد».

«تقابل شخصًا أخر؟!».

«لقد فاجأنا، نحن أيضًا، وجود نسق DNA ثالث». يلتفت إليّ رافعًا حاجبه.

أستند إلى ظهر المقعد وأقول: «ما نظريتك؟».

يستند إلى ظهر المقعد مثلما استندت. يحاول أن تكون جلسته أكثر راحة له. «الحقيقة... قبل عثورنا على نسق الـ DNA الثالث، كنت أظن أننا قد وصلنا إلى هدفنا. أما الآن، فأنا لم أعد مقتنعًا تمامًا بأن آدم هو القاتل. سأكون صادقًا معكِ وأقول إنني لم أكن مقتنعًا بهذا حتى قبل ظهور نتائج تحليل DNA».

«لماذا؟».

«هذا أسهل مما ينبغي».

«ماذا تعني بقولك أسهل مما ينبغي؟».

«شديد السهولة، فحسب! آدم شخص ذو تعليم جيد، وهو كاتب معروف... فكيف يقتل عشيقته في بيته؟ هذا غير منطقي أبدًا إلا -بالطبع- إذا حدث الأمر مصادفة. لكني لا أستطيع الاقتناع بأن شخصًا يمكن أن يطعن شخصًا آخر سبعًا وثلاثين طعنة ويكون ذلك مصادفة».

«لا أظن أن آدم هو من فعل هذا». أنظر إليه نظرة صادقة، «لكني لست واثقة في أعماقي». أقول هذا وأتنهد.

يداعب الشريف ستيفنز حاجبه. «ماذا تعنين بأنك لا تستطيعين أن تكوني واثقة؟».

«مثلما قلت لي، ماذا لو أن الأمر حدث مصادفة؟ ثم حاول أدم التغطية عليه من خلال جعله يبدو كأنه جريمة قتل. أو... ماذا لو أنه فقد رشده

لكثرة الشراب وارتكب الجريمة، لكنه لا يتذكر أنه ارتكبها؟».

يقول وهو يدعك ذقنه: «هذا محتمل».

«أريد أن أراه وأن أحصل منه على معلومات كاملة عن ذلك المساء. ذلك التدخل من جانب سكوت حال دون إنهاء حديثي الأول معه. كل ما أعلمه الآن أن آدم هو الشخص الوحيد الذي كانت لديه الوسيلة وكان لديه الدافع والفرصة لفعل هذا. لعل دافعه كان أن كيلي هددته بأن تخبرني، أو أنها أرادت هجرانه أو إجهاض حملها!».

تدخل الممر سيارة شرطة أخرى. تسحق عجلاتها أوراق الأشجار الميتة والتراب الجاف. تحتل مكانها على العشب إلى جوار سيارة الشريف ستيفنز. ينزل من السيارة الشرطي ماركوس هدسون. يبدو في بدلة الشرطة والنظارة الشمسية كأنه شخصية في فيلم من الأفلام البوليسية.

يناديه الشريف ستيفنز: «ماذا تفعل هنا، يا هدسون؟». ينهض عن المقعد وينزل درجات الشرفة. يتقدم هدسون منه بضع خطوات، ثم يعقد ذراعيه على صدره كأنه موجود هنا كي يؤدي واجبه فعلًا، كي يخدم ويحمي. لكن من غير الواضح من الذي في حاجة إلى حماية هنا.

«أتيت كي أرى إن كنت في حاجة إلى أية مساعدة». ينظر هدسون من حوله، ثم تعود عيناه إلى الشريف ستيفنز.

يجيبه الشريف ستيفنز: «لست في حاجة إلى مساعدة».

«إذًا، هل تمانع في أن أنتظر هنا؟».

«مثلما تشاء». يستدير الشريف ستيفنز عائدًا في

اتجاهي في حين ينزع هدسون النظارة الشمسية عن عينيه... تبدو عيناه متجهتين صوبي.

يسألني الشريف ستيفنز: «هل أنت مستعدة للدخول؟» أومئ برأسي فيمد لي يده كي يساعدني في النهوض عن المقعد.

ندخل باب البيت وننحني كي نعبر من تحت الشريط الذي أحاطت به الشرطة مسرح الجريمة. البيت هادئ في الداخل. أشياء كثيرة مبعثرة هنا وهناك. أنا واثقة أن هذا نتيجة تفتيش الشرطة.

ندخل المطبخ، فأضع من يدي فنجان القهوة والمصنّف. تجول عيناي في المكان محاولتين رصد أي شيء غريب. يبدو لي المطبخ في حالة حسنة على الرغم من أن بعض الدروج والخزائن قد تُركت مفتوحة جزئيًا.

سجادة جلد الدب في غرفة الجلوس مزاحة جانبًا. الوسائد التزيينية والبطانيات الخفيفة ملقاة على الأرض. أما غير ذلك، فما من شيء غريب، بما في ذلك رف الكتب على الجدار. كل كتاب في مكانه، في وضعه الصحيح. أنظر إلى خزانة كؤوس الشراب وألاحظ زجاجة الويسكي المفتوحة.

أشير إليها وأقول: «هل فحصتم هذه؟».

يخطو الشريف ستيفنز عابرًا من المطبخ إلى غرفة المعيشة. «لم نفحصها، على حد علمي. ولماذا نفحصها؟». يتقدم بضع خطوات ويقف إلى جانبي.

«إذا كنتم قد عثرتم على مادة روهيبنول في جسد كيلي، فلعل تلك المادة كانت هنا، في الويسكي». أغلق الزجاجة بغطائها. يدعك الشريف ستيفنز ذقنه.

يقول: «فكرة ذكية! سأجعل هدسون يتحقق من الأمر مرة أخرى بعد أن نغادر هذا المكان». يخرج من

جيبه قلمًا ودفتر ملاحظات صغيرًا ويسجل بضعة أمور.

أدخل غرفة النوم. السرير في حالة فوضى؛ ملاءات السرير التي كانت بيضاء رأيت عليها الآن بقعًا بيضاء وبنية بلغت الفراش نفسه. وعلى الأرض إلى جانب السرير بركة من دم جاف. أتتني رائحة الحديد والتحلل كأنها صفعة أصابت وجهي. أسد أنفي محاولة التنفس من فمي. أخطو بضع خطوات أخرى داخل غرفة النوم. أتوقف أمام السرير. الشريف ستيفنز خلفي. أستطيع أن أحس بأنفاسه على كتفي.

«هل أنتِ على ما يرام؟».

«أنا بخير». إجابتي غير مقنعة لأنني لست على ما يرام. لا شيء من هذا كله على ما يرام. كيف استطاع آدم أن يفعل هذا بي؟ بمَ كان يفكر؟ هل كان يخطط لتركي؟ لو ظلت حية، فهل كان سيتركني؟ يستولي عليّ الغضب، لكن تعبيري عنه يكون دموعًا. أنا لا أبكي عندما أحزن. أبكي عندما أكون غاضبة. ألتفت إلى الشريف ستيفنز. يرى دموعي فيلفني بذراعيه على الفور، ويضمني محاولًا طمأنتي وإراحتي. يدعك ظهري بإحدى يديه، وتمسّد يده الأخرى على مؤخر رأسي. نظل بضع دقائق واقفين هكذا. يجعلني أحس غضبًا أقل. يجعلني أحس أن كل شيء سيكون على ما يرام، في هذه اللحظة. يجعلني أحس أن الأمور يمكن أن تتحسن. من حسن حظي أنني نسيت موقعي، ولو لحظة واحدة فقط.

يقول: «فلنذهب». يقودني خارج غرفة النوم. نصير في غرفة المعيشة فأجيل النظر فيها مرة أخرى. تتوقف عيناي عند مكتب ادم. المكتب

في حالة فوضى، والدروج خارجة من أماكنها، وكرسيه مقلوب رأسًا على عقب. أمرُّ بيدي على سطح المكتب المصنوع من خشب الكرز. أتذكر يوم فاجأت آدم بهذه الهدية. كان ذلك بعد وقت وجيز من توقيعه عقد كتابه الأول. كنت معتزة به إلى حد يصعب تصديقه، ولم أره يومًا أسعد حالًا. تجعلني الذكرى أبتسم، تجعلني أتذكرنا وأتذكر كيف كنا قبل هذا كله. ثم أتذكر ما أعجبني في هذا المكتب، ما استمالني وجعلني أنتقيه. تنساب يدي على سطحه المستوي وتنزلق صوب حافته اليمنى. أضغط عليها، تنفتح حجرة مخفية. أجد داخل الحفرة مسدسًا ومغلفًا من الورق الأصفر. لا تخيفني رؤية المسدس. أعرف أنه هنا. لقد اشتراه آدم بعد وقت قصير من شرائنا بيت البحيرة. كان المسدس بهدف الحماية... مهمة فشل في أدائها. المغلف الورقي هو ما جعلني أحس اضطرابًا.

«عجبًا، عجبًا! لا أستطيع قول شيء غير أننا ما كنا لنكتشف هذا». أتت جملة الشريف ستيفنز من خلفي.

أمد يدي إلى المغلف.

يوقفني ويقول: «انتظري!» يخرج من جيبه زوجًا من القفازات ويناولني إياه.

أضع القفازين في يدي فيومئ برأسه موافقًا. أتناول المغلف وأفتحه بحركة بطيئة. أخرج منه صورة بقياس 5 × 7 إنش. إنها صورة آدم وكيلي. بيت البحيرة خلفهما، والماء أمامهما. إنه في سرواله الداخلي. وهي في سروالٍ داخلي أيضًا، لكن من غير شيء على القسم العلوي من جسدها. قزبه منها يخفي صدرها. ساقاها ملتفتان حول ساقيه. ويداه على مؤخرتها. يداها حول عنقه. شفاههما متلاقية

في قبلة حارة. يبدوان سعيدين.

يطلق الشريف ستيفنز سعالًا مرتبكًا. يُخرج واحدًا من أكياس الأدلة الجنائية ويضع المسدس فيه بحركة حذرة. أبدأ إعادة الصورة إلى المغلف، لكني أتوقع غريزيًا أن ثمة من التقط هذه الصورة لهما. والظاهر أن آدم وكيلي كانا، في تلك اللحظة، غير منتبهين إلى التقاطها.

أقلب الصورة فأرى على ظهرها كتابة بقلم عريض: «أنهيا هذا الأمر وإلا أنهيته بنفسي». أنظر إلى الشريف ستيفنز. تتسع عيناه دهشة.

يقول بصوت منخفض وهو يهز رأسه: «صارت الأمور الآن أكثر تعقيدًا».

«ثمة شخص كان على علم بأمر كيلي وآدم. هذا تهديد. هذا برهان على أن آدم لم يقتلها». صوتي ممتلئ حماسة... «هذا تقدم هائل. هذا سبب لوجود شك منطقي في ارتكابه هذه الجريمة».

«دعينا لا نستبق الأمور. لكني أعترف بأن هذا أمر يصب في مصلحة آدم».

أعيد الصورة إلى المغلف. يضعها الشريف ستيفنز في كيس. «سوف نفحصها بحثًا عن بصمات».

«وماذا عن تحليل خط الكتابة؟».

يرفع حاجبيه ويقول: «نحن في حاجة إلى نموذج بخط اليد حتى نقارن هذه الكتابة به».

«بالطبع. إنني أستبق الأمور. عليّ أن أبطئ وأفكر في هذا كله. ولكن، مهلًا... إن كانت هذه الصورة مخفية هنا، فهذا يعني أن آدم علم بأمرها. لا بد أنه هو من وضعها في هذا المكان».

يتجه الشريف ستيفنز صوب باب البيت ويسألني: «هل أنت مستعدة؟» أومئ برأسي وأحمل المصنف

مكتبة ياسمين

معي في طريق خروجي. في الخارج، لا يزال نائب الشريف هدسون مستندًا إلى سيارته. يقفل الشريف ستيفنز باب البيت، ثم يستدير وينظر إليّ نظرة تعاطف. أومئ برأسي إيماءة بسيطة. كان صعبًا عليّ رؤية آدم سعيدًا مع كيلي. كان ينبغي أن يكون سعيدًا معي لا مع امرأة أخرى. يضع الشريف ستيفنز يديه على كتفي ثم يتركهما تنزلقان على ذراعي. هذا تصرف غير مناسب على الإطلاق، لكن الإحساس لطيف... يكاد يكون مهدئًا، مريحًا.

«كان أداؤكِ ممتازًا. سوف أجعل أحدهم يأتي كي يأخذ عينة من الويسكي لاختبارها؛ وسوف أجعل المختبر يفحص الصورة...».

يصيح الشرطي هدسون من عند سيارته: «ماذا؟ ما الذي يجري عندكما؟ أهناك علاقة غرامية ثانية ينبغي أن نعلم بها كلنا؟». ابتسامة كبيرة ترتسم على وجهه وهو يطقطق بالعلكة بصوت مرتفع وبطريقة شنيعة تشدد على صفاقة تعليقه.

يعيدني ذلك إلى الواقع الحقيقي وتتدافع في رأسي أسئلة كثيرة. يحل السلوك الاحترافي محل التعاطف المتبادل. يعود دورانا السابقان إلى الظهور. محامية الدفاع. مركز الشرطة الذي يتابع القضية.

«لا شيء، يا هدسون. عليك ملاحظة أن وجودك هنا لم يكن لازمًا ولا مطلوبًا، وهو مشكوك فيه كثيرًا في أحسن الأحوال. لذا، من فضلك، تابع دوريتك المهمة في محيط سيارتك». يقول الشريف ستيفنز هذا ويلتفت في اتجاهي.

أسأله متجاهلة ما قاله هدسون: «ماذا عن سلاح الجريمة؟». هذه عودة إلى الوقائع.

«لم نعثر عليه أبدًا. فتشنا البيتين وفتشنا الغابات المجاورة. لا شيء». تتدلى ذراعا الشريف إلى

مكتبة ياسمين

جانبيه ويتململ غير مرتاح، غير عارف كيف ينهي هذا الأمر.

«هل يعلمون شيئًا عن طبيعته؟».

«استنتجوا أنه قد يكون سكين مطبخ صغيرة، أو سكين جيب، أو حتى سكين فتح الرسائل. وهم يجرون اختبارات إضافية في محاولة ترمي إلى تضييق مساحة الاحتمالات. لكن من الممكن ألّا نعثر أبدًا على سلاح الجريمة».

أهز رأسي قليلًا، ثم أتحرك في مكاني. لا بد لي من الكلام مع آدم. هل علِم أن كيلي كانت حبلى؟ هل كان يعلم ذلك طيلة الوقت؟

«لا بأس الآن. أظن أن عليّ الذهاب. ينبغي أن أعرّج على المستشفى كي أتفقد آدم». أبتعد عن الشريف ستيفنز وأسير صوب سيارتي. ألتفت ثانية واحدة صوب الشرطي هدسون.

يبتسم ويومئ لي برأسه. يقول بنبرة ودية: «سوف أراكِ لاحقًا»، لكن على نحو يبدو أشبه بتهديد.

أجيبه بابتسامة صغيرة مختصرة، ابتسامة كافية لأن يظل سلوكي مهنيًا.

يناديني الشريف ستيفنز: «سارة!». أتوقف وأستدير. أصير في مواجهته. ينزل درجات سلم شرفة البيت في اتجاه سيارته، ثم يتوقف. «إنهم ينقلون آدم إلى السجن لمتابعة التحقيق». يفتح باب سيارته... «تستطيعين السير خلفي إلى هناك إن كنت تريدين ذلك».

20

آدم مورغان

أنا مستلقٍ في سريري الضيق مرتديًا ملابس السجن الموحَدة: بنطلون وبلوزة من القطن، لونهما برتقالي. هذا الصباح، سمح الطبيب بخروجي من المستشفى. الظاهر أنهم ليسوا شديدي الحرص على اللطف مع مريض مشتبه في قتله شابة من سكان المنطقة. ضمَدوني سريعًا؛ وبعد يوم واحد من مراقبة وضعي الصحي، أرسلوني إلى هذا المكان. هذا المكان غرفة صغيرة جدًا فيها سرير يتسع لشخصين، ومرحاض ومغسلة. غرفة تحيط بها كلها جدران من الإسمنت وقضبان الفولاذ. لا ينبغي أن أكون هنا. أنا لا أنتمي إلى هذا المكان.

يضرب شرطي على قضبان زنزانتي بهراوته وينبئني بأنني أستطيع الخروج إلى الصالة المشتركة. يفتح قفل الباب فأسير خلفه في الممر حتى أصل إلى صالة فيها بضع طاولات وكراسٍ وفي زاويتها جهاز تلفزيون. ليس في الصالة إلا بضعة سجناء لأن البلدة صغيرة ولأن هذا السجن ليس مجهزًا جيدًا. اثنان من السجناء يلعبان الورق على إحدى الطاولات، وثالث يجلس إلى طاولة أخرى وحده يقرأ كتابًا. يرفع الاثنان الجالسان معًا رأسيهما وينظران إليّ عند دخولي ثم يتبادلان بضع همسات. الشخص الثالث لا ينظر إليّ أبدًا. لا بد أن كتابه ممتع، الأرجح أنه ليس واحدًا من كتبي.

أجلس إلى طاولة قريبة من التلفزيون املًا أن أستطيع الهروب من هذا الواقع عبر برنامج تلفزيوني نهاري رديء. لكن الحظ لا يحالفني لأن تقريرًا إخباريًا خاصًا يظهر على الشاشة.

مكتبة ياسمين

مراسل إخباري يقف أمام بيت البحيرة يتكلم في المايكروفون: «جريمة وحشية هزت بلدة برنتسفيل الصغيرة. فقد عُثر على كيلي سامرز، امرأة من سكان المنطقة في السابعة والعشرين، وهي زوجة شرطي من أبناء المنطقة اسمه سكوت سامرز، مقتولة بوحشية. اكتشفتها في وقت مبكر من صباح أمس عاملة تنظيف اسمها سونيا غوتييرز. تقول التقارير إنها طُعنت طعنًا وحشيًا حتى ماتت. لم تفصح الشرطة عن اسم المشتبه فيه الرئيسي لأن التحقيقات لا تزال جارية. يرجى الاتصال بمركز الشرطة إن كانت لديكم أية معلومات متصلة بمقتل كيلي سامرز».

أطأطئ رأسي خجَلًا وحرَجًا. إنهم لا يفصحون عن اسم المشتبه فيه! هل يسخر هذا المراسل مني؟ أنت واقف أمام بيتي. ينبغي أن يكون سكوت أول من يشتبهون فيه، لا أنا. لا يهمني ما تقوله الأدلة، فأنا لم أفعل هذا. لا يمكن أبدًا أن أفعل هذا. لماذا لا يصدقني أحد؟

يصيح حارس من خلفي: «مورغان! لديك زائر».

أنهض واقفًا وأجرجر قدميّ على الأرض. أسير خلف ذلك الحارس. يفتح بابًا فأدخل. أجد سارة جالسة إلى طاولة في غرفة صغيرة. على ناحيتها من الطاولة أوراق ودفاتر ملاحظات. يغلق الحارس باب الغرفة الصغيرة من خلفي.

«سارة، ما أسعدني برؤيتك! هذا المكان كابوس». أتمنى أن أعانقها. أتمنى أن أقبلها.

ترفع رأسها صوبي وتمنحني ابتسامة صغيرة. أفهم إشارتها وأجلس على الكرسي قبالتها. إنها تدوّن بعض الملاحظات وتقلِّب الأوراق التي أمامها. «سمعت أنهم أخرجوك من المستشفى».

«صحيح». أعلم أنها لا تنتظر مني إجابة أكثر من هذه.

«أريد أن نتحدث عن ليلة مقتل كيلي». تفتح دفتر ملاحظاتها على صفحة بيضاء وتحمل قلمها مستعدة للكتابة. تعود عيناها إليّ وتبصر أخيرًا آثار الضرب الذي تلقيته من سكوت. عيني اليمنى مغلقة كليًا. جلدي تلوّن بالقرمزي والأسود والأصفر والأحمر. وجنتي اليمنى متورمة، عليها غرزات طبية كثيرة. شفتاي مشقوقتان في عدة أماكن، وأسناني مصطبغة بلون بنّي كأنني شربت زجاجة نبيذ لكثرة الدم الذي تجمع في فمي.

لمحة تعاطف تلوح في عينيها. لا بد أن يكون جزء منها قد قال، لحظة واحدة: «يا زوجي المسكين!». لكن ذلك يختفي سريعًا ويعود التركيز إلى عينيها اللتين تخترقانني.

بمَ تفكر الآن؟ لماذا تحاول مساعدتي أصلًا؟ أستند إلى ظهر المقعد وأسألها: «ما الذي تريدين معرفته؟».

تضيق عيناها، «كل شيء». أعلم أنها تريد معرفة كل شيء لأنها محاميتي، لكنها زوجتي أيضًا، ولا ينبغي أن تكون مضطرة إلى سماع أي شيء من هذا. لكن، لعلها تريد أن تعرف، تريد أن تعرف كم أنا شخص مقزز فعلًا. أسألها: «هل أنت واثقة من هذا؟». أسألها لأنني ما عدت واثقًا من أن هذه فكرة حسنة.

تضرب قلمها على الطاولة وتنظر إليّ غاضبة. «أدم! قلت لك يوم أمس إن عليك أن تكون صادقًا تمامًا معي. لست مهتمة الان بما فعلته عندما لم تكن وفيًا لي، ولا بما سببته لي».

«لا بأس! كل ما في الأمر أنني لا أريد إيلامك». أمد

يديّ إلى يديها.

تبعد يديها، تسحبهما. «لقد ألمتني بالفعل». تلتقط قلمها وتسجل التاريخ والساعة، تكتبهما على الورق. «في أية ساعة وصلت كيلي سامرز إلى بيت البحيرة؟».

«وصلت بعد الخامسة مساء».

«ارو لي كل ما حدث بعد وصولها».

أروي لها كل شيء؛ كيف شربنا الويسكي وتضاجعنا عدة مرات، وكيف كنت خشنًا معها، وكم استمتعت بذلك، وكم استمتعت كيلي به، وكيف كانت تطالبني بالمزيد من غير حتى أن تقول كلمة واحدة، وكيف تركتها في الليل كي أعود إلى البيت، والرسالة التي كتبتها لها... كل شيء.

لا تبدر عن سارة أية نأمة، لا صوت، ولا تعليق يجعلني أدرك كم هي غاضبة مني، كم تكرهني. أتساءل عند ذلك: هل هي مبالية حقًّا بشيء من هذا كله؟ هل هي مبالية بأنني كنت أخونها؟ أم إنها تحاول أن تكون قوية؟ هل تحاول أن يكون سلوكها احترافيًا؟ لست أدري. لست قادرًا على قراءة ما في رأسها. إنها زوجتي، لكني، في هذه اللحظة، لا أعرفها أبدًا. تنظر إليّ بعينين باردتين، بعينين نائيتين. حركاتها تكاد تكون آلية. عيناها صافيتان تحسبان كل شيء.

«انتظر لحظة!». ترسم دائرة حول ملاحظة سجلتها في دفترها فتنتزعني من أفكاري... «في أي وقت نمتما؟».

«لا أدري». أحاول العودة إلى تلك اللحظة، أحاول تذكُّر الوقت. لكني لا أتذكر حتى أنني غفوت ولا حتى أنني كنت متعبًا. اخر ما أتذكره هو أنني كنت أضاجع كيلي.

تسألني مرة أخرى: «ألا تعرف متى نمت؟» تنظر إليّ متسائلة.

أرفع كتفي وأقول: «أظن هذا».

«تظن هذا؟ أنت متهم بجريمة قتل، لكنك تظن هذا!». تضع قلمها على الدفتر وتدلك صدغيها بأطراف أصابعها.

«ماذا تريدين أن أقول لك؟».

«لا أدري. لكن، لا يبدو لي أمرًا حسنًا أنك لا تستطيع تذكر جزء من تلك الليلة. سيكون سهلًا على الادعاء استخدام هذا الأمر ضدك وتحويله إلى... نعم، إن كنت غير قادر على التذكر، فلربما تكون غير قادر على تذكر أنك قتلتها. ينبغي أن تتذكر. ينبغي أن تكون واثقًا». غضبها واضح، وهذا ليس من عادة سارة. إنها هادئة، تتمالك نفسها دائمًا.

«أتذكر أنني سمعت صوت إغلاق باب سيارة. هذا ما أيقظني من نومي».

«هل أنت متأكد؟» تطرح سؤالها بقدر من الشك... «هل أنت متأكد أن ذلك الصوت لم يكن صوت غصن يسقط من شجرة أو كوز بلوط يصطدم بسقف البيت؟ إن في الغابات أصواتًا كثيرة جدًا».

«أنا واثق من هذا... على الأقل، أنا واثق». أدعك جبيني بيدي وكأن ذكرياتي الضائعة عن تلك الليلة يمكن أن تتضح لي على نحو مفاجئ.

تتنهد سارة وتكتب بضع ملاحظات أخرى في دفترها. «وماذا عن الصورة؟».

«أية صورة؟». أنظر إليها، ثم أنظر إلى ما خلفها محاولًا أن أتذكر. اللعنة! يفاجئني الأمر عندما أتذكره. تتسع عيناي دهشة. كيف استطعت نسيان كل شيء عنها؟ نسيت في خضم كل ما حدث أمرًا

بالغ الأهمية، أمرًا يمكن أن يكون مفيدًا في إثبات براءتي.

«متى وصلتك الصورة؟».

«وصلتني منذ بضعة أسابيع. كانت في صندوق البريد أمام بيت البحيرة. لا بد أن أحدًا وضعها هناك لأنني لم أجد عليها طوابع بريد، ولا أي شيء». تسجل سارة ملاحظات جديدة... «ثمة من يحاول أن يوقع بي. ألا ترين هذا؟». أحدق في عينيها.

تستنشق سارة نفسًا عميقًا. تلتحم عيناها بعينيّ. «أحاول مساعدتك، يا آدم، لكن عليك أن تقول لي كل شيء. عليك أن تتذكر كل شيء. من حظك أنني وجدت هذا المغلف. هذا تقدم كبير جدًا. لكن علينا التوصل لمعرفة من التقط تلك الصورة، من كان يحاول تهديدك». تترك عيناها عينيّ وتعودان إلى النظر في ملاحظاتها.

إنها محقة. أنا لا أساعدها كما ينبغي. ينبغي أن أنظر في كل شيء مثلما أتفحّص واحدًا من كتبي عندما أراجعه. أين هي الثغرات في حبكة الرواية؟ أية شخصية لم أستطع جعلها واضحة؟ من الذي يقود القصة فعلًا؟ ولماذا؟

تغير الموضوع وتقول بضيق واضح: «لقد وجدوا فيها ثلاثة أنساق من الـ DNA». في البداية لا أفهم ما تقوله لي. تتسع عيناي من جديد، وينفتح فمي قليلًا.

«واحد منها يخصك، وواحد يخص سكوت. والثالث لا يزال مجهولًا».

«ماذا تقولين؟».

«أقول إنك لم تكن الشخص الوحيد الذي تخون زوجها معه. أقول إنك لم تكن شخصًا خاصًا عندها.

مكتبة ياسمين

أقول إنها كانت عاهرة». بعد أن تخرج هذه الكلمات من فمها، تبدو سارة قد فوجئت بها مثلما فوجئت أنا.

«يا إلهي... سارة!».

«إنني آسفة. إنني... لا أزال أحاول استيعاب هذا كله». تشيح بوجهها عني كأن انفراج غضبها قد أخجلها. أقول لها بأن لا مشكلة في الأمر، مع أنني لا أظن أن لا مشكلة في الأمر.

أتساءل: «لعل ذلك الرجل الثالث قد اغتصبها».

«ربما».

«قد يكون ذلك الشخص الثالث هو من قتلها». إنني أحاول فهم شيء من هذا كله، لكن هذا غير منطقي أبدًا. كيف يمكن أن تكون سارة على علاقة بشخص آخر؟ لماذا تكون على علاقة بشخص آخر؟ ألم أكن كافيًا؟ ألم تكن تحبني مثلما أحببتها؟

تسجل سارة ملاحظات جديدة وتقول: «أظن أنك كنت مقتنعًا بأن سكوت هو القاتل».

«أظنني كنت مقتنعًا. أعني أنني مقتنع بهذا. لا بد أن يكون هو القاتل. لقد كان يسيء إليها. لقد رأيت ما يمكن أن يفعله. ضربني ضربًا مبرحًا، وجرحك. وأنا أعلم ما فعله بكيلي». أحاول إقناع سارة، مثلما أحاول إقناع نفسي. ينبغي أن يكون سكوت من قتلها. وهذا الشخص الثالث... لعله كان علاقة عابرة، أو لعله اعتدى عليها. لا أستطيع تصديق أن هناك شخصًا آخر. كيلي لا يمكن أن تفعل بي هذا. لقد أحبتني. لقد أحببتها. كان ما بيننا شيئًا مميزًا.

«لا بأس... قد يكون هذا كله صحيحًا. لكن، ليس لدينا دليل ضد سكوت. قد يكون شخصًا مؤذيًا، لكن هذا لا يعني أنه قتلها. فضلًا عن ذلك، لم تكن هناك

أية تقارير عن عنف منزلي بين كيلي وسكوت».

«لم يكن ممكنًا أن تلجأ إلى الشرطة. إنه شرطي. كانت خائفة منه».

«أفهم هذا. لكن توجيه الاتهام إليه لن يصمد في المحكمة إن لم تكن لدينا أدلة. ستكون الرسائل النصية التي كتبها إليها مفيدة في قضيتك، لكنها لن تكون ذات قيمة حقيقية إن استطاع تقديم دليل على وجوده في مكان آخر وقت وقوع الجريمة. الأزواج والزوجات يتشاجرون دائمًا. ما لدينا الآن هو أنك أنت كنت موجودًا في مسرح الجريمة. وكنت آخر شخص رآها حية. آثارك موجودة عليها. وفوق ذلك، لدينا هذه». تخرج سارة ورقة من المصنف الذي أمامها وتضعها على الطاولة أمامي. هذا خط يدي. إنها الرسالة التي كتبتها إلى كيلي ليلة مقتلها. كانت هذه آخر كلماتي لها. لم تستطع قراءتها لأنها كانت ميتة عندما كتبتها.

أعيد قراءة ما كتبته لها:

كيلي،

إنها أنت. لم تكن دائم أنتِ، لكنها ستكون دائمًا.

أنت كلمات قصة أمضيت حياتي كلها محاولًا كتابتها؛ وقد قررت الليلة كيف تكون نهايتها.

أحبك، وأحبني، آدم.

ملاحظة: تكون الخادمة هنا في التاسعة صباحًا. من فضلك، احرصي على الخروج قبل ذلك الوقت.

عينا سارة نديتان، لامعتان. «ما النهاية التي كنت قد قررتها؟».

أتلعثم محاولًا العثور على كلمات أعرف أنني غير راغب في أن أكشف لها عنها. لكن علي أن أقول لها الحقيقة لأن هذه هي الطريقة الوحيدة التي تسمح

لها بمساعدتي. أقول: «كنت قد قررت تركك والعيش معها».

لا تتغير ملامح وجه سارة. تنظر إليّ، ثم تعود عيناها إلى دفتر ملاحظاتها. ترتعش شفتها ارتعاشًا بسيطًا جدًا، وتتوتر عيناها. تسجل بضع ملاحظات.

«لكني غيرت رأيي. إذ عندما قلت لي إنك راغبة في إنجاب طفل وتكوين أسرة معي، قررت أن أنهي علاقتي بكيلي. قررت أن أكون شديد الإخلاص لك ولأسرتنا».

«لقد قررت ذلك بعد ساعتين فقط من كتابة رسالة إلى كيلي تعلن لها فيها أنك تحبها!».

أومئ برأسي. أنا رجل أحمق. كيف وضعت نفسي في هذه الفوضى كلها؟

«قد تقرأ هيئة المحلفين هذه الرسالة بطريقة من اثنتين - الطريقة التي قلتها لي قبل لحظات، وطريقة أكثر شؤمًا. من الممكن أن يكون موتها هو النهاية التي أشرت إليها. وملاحظتك القصيرة التي أضفتها إلى الرسالة يمكن أن تكون محاولة منك لجعل الأمر يبدو كأن كيلي لا تزال حية عندما كتبت تلك الكلمات. أصدّق ما قلته لي لأن الأحمق وحده من يحاول التغطية على جريمة قتل برسالة يكتبها».

أقول مؤكدًا: «الحقيقة أنني لم أكذب في هذا الأمر».

«هل قلت لي إنك غيرت رأيك في شأن هجراني والعيش مع كيلي بعد أن قلت لك إنني أريد إنجاب طفل؟».

«صحيح. صحيح تمامًا. لقد أردت دائمًا أن أكوّن أسرة معك. أحبك كثيرًا، يا سارة. اسف لما فعلته.

ليتني كنت قادرًا على مسح ذلك كله... لكني غير قادر. اعلمي أنني سأظل أعوّضك عما حدث طيلة ما بقي من حياتي،، أنت زوجتي. أنت كل شيء عندي. أنت حبي الدائم».

تصيح بي سارة: «كانت كيلي حبلى». ينفتح فمي.

«كان عمر حملها ثمانية أسابيع». لا أثر في صوتها لأية عاطفة، كأنها تقرأ شيئًا مكتوبًا أمامها... «وبحسب نتائج تحليل الـ DNA، كان الجنين طفلك».

تطعنني تلك الكلمات في أحشائي وتمزق قلبي. أقول: «ماذا؟» لكن الكلام لا يخرج من فمي. أنهض واقفًا بسرعة شديدة فينقلب الكرسي ويصطدم بالأرض مصدرًا صوتًا عاليًا. أدفن وجهي بين يديّ وأشد شعري. أطلق صوتًا كالعويل. أبكي على طفلي الذي لم يولد. أعلم كيف يبدو هذا. عشيقة حبلى ميتة.

تنظر سارة إليّ وتقول: «هل كنت تعلم أنها حبلى؟».

«أتظنين أنني كنت أعلم؟ كيف يمكن أن تظني أنني كنت أعلم بهذا؟». أسير في الغرفة جيئة وذهابًا والوَح بيدي. أسألها من جديد: «كيف يمكن أن تظني هذا؟» هذه المرة، أقولها بمزيد من الغضب.

«كيف استطعت الظن أنك كنت تحبني، أو أنك كنت مخلصًا لي؟ كيف استطعت الظن أنك عنيت ما قلته أمامي عندما تزوجنا؟ كيف استطعت الظن أننا كنا سنمضي معًا ما بقي لنا من حياة؟ كيف استطعت الظن أنك لا تضاجع امرأة أخرى من خلف ظهري وتجعلها تحبل؟ بحق الجحيم، كيف استطعت أن أظن ذلك كله، يا ادم؟».

مع انتهاء صراخها تنهض قليلًا من مكانها، تنهض

مكتبة ياسمين

لحظة واحدة فأظنها تهم بالانقضاض عليّ، لكنها لا تفعل. تسوّي سترتها، ثم تجلس من جديد.

أجلس قبالتها. إنها محقة. ليس من حقي أن أغضب عليها لأنها ظنتني على علمٍ بحبل كيلي. لست أدري كيف سنتجاوز هذا الأمر، أنا وسارة. وإذا تجاوزناه، فأنا لست مقتنعًا بأننا سنجتازه معًا. أسألها: «والآن، ماذا؟».

«سوف أتحرّى أمر سكوت، وسوف أحاول العثور على الشخص الذي أرسل إليك الصورة وعلى صاحب الـ DNA الذي لا يزال مجهولًا. أريد منك أن تجعل قصتك منطقية».

«إنها ليست قصة».

تجيبني: «أنت تدرك ما أعنيه».

أمد يدي كي أمسك بيديها. هذه المرة، تسمح لي بذلك. أقول لها من جديد إنني آسف، لكن ما من اعتذارات في العالم كله تكفي لإصلاح هذا الأمر، لإصلاح ما فعلت. تشد على يدي، ثم تبدأ جمع حوائجها.

أقول لها إنني أحبها.

تجيبني: «أمك في المدينة الآن. لقد مرّت على مكتبي هذا الصباح». لكنها لا تقول لي شيئًا من قبيل: «وأنا أحبك أيضًا». لست ألومها على هذا.

«حقًّا! كيف حالها؟».

«إنها... إنها أمك».

تتوقف سارة بعد أن تستدير كي تنصرف. تنظر إليّ من جديد. تقول: «إذا وجهوا إليك الاتهام، فسوف يطالب الادعاء بالعقوبة القصوى في جريمة القتل العمد المزدوج بحسب قانون ولاية فرجينيا». يهتز صوتها.

«ما معنى هذا؟».

«الإعدام».

21
سارة مورغان

تدخل آن غرفة مكتبي مرتدية تنورة ضيقة سوداء وقد ربطت شعرها حزمة واحدة خلف رأسها. مع كل يوم يمر، يصير مظهر آن أكثر شبهًا بمظهري. في يديها كأسا قهوة أميريكانو من القياس الكبير اشترتهما من ستاربكس، كأس في كل يد. وقد دست مصنفًا تحت إبطها الأيسر. تغلق الباب من خلفها وتتقدم مسرعة صوب طاولة مكتبي وتضع كأسي القهوة. تجلس قبالتي وتضع المصنَّف في حجرها.

كان عليّ أن آتي إلى المكتب يوم أمس بعد لقائي آدم لكنني لم أستطع. كنت في حاجة إلى أن أظل وحدي. كنت في حاجة إلى التفكير في كل شيء. لم أخبر آن بعد عمّا جرى في السجن، ولا عن نتائج تشريح الجثة، ولا عن اختبارات الـ DNA، ولا عن حقيقة أن آدم كان أب الجنين الذي كان في أحشاء كيلي. وأيضًا، لم أقل لها شيئًا عن الصورة التي تلقاها آدم وكانت عليها تلك الرسالة التهديدية. لا بد من أنها شديدة التوق إلى سماع ما لديّ.

تسألني آن: «كيف حال الأم الغولة؟». تحاول تلطيف الجو قليلًا.

أهز رأسي وأقول: «لا تحاولي جعلي أبدأ الكلام». أتناول رشفة من قهوتي... «آسفة لأنني لم آت إلى المكتب يوم أمس، ولم أتصل. كان كل شيء جنونيًا وساحقًا، وطغى ذلك كله عليّ فلم أعرف كيف أتعامل معه. شكرًا لأنك غطَيت على غيابي».

«ماذا جرى؟». ظهر القلق والتعاطف على وجهها. تنحني صوبي وتمنحني انتباهها كله.

«وجدوا داخلها ثلاثة أنساق من الـ DNA».

مكتبة ياسمين

«ثلاثة؟!» تسألني لا لتشكك في ما قلت، بل لتعبر عن شدة دهشتها. ترفع ثلاثة أصابع وهي تقول ذلك.

أومئ برأسي وأتناول رشفة قهوة أخرى. «ثلاثة. واحد من آدم، وواحد من سكوت، وواحد من شخص مجهول».

«هل كانت تضاجع ثلاثة رجال؟».

«هذا ما يبدو».

«يا إلهي! غريب أمر هذه الفتاة! لا بأس! لعل صاحب ذلك الـ DNA الثالث مسؤول عن موتها...!؟».

«هذا ما قاله آدم تمامًا».

«ومن يكون هذا الرجل الثالث؟ هل رآها أي إنسان مع شخص آخر غير سكوت أو آدم؟».

«حتى هذه اللحظة، لم يقل أحد إنه رآها مع رجل ثالث». أتناول رشفة قهوة أخرى وأنقر بقلمي على الطاولة... «أيضًا، أرسل أحدهم إلى آدم صورة فوتوغرافية عليها رسالة تهديد. صورة لآدم وكيلي معًا. قالت تلك الرسالة: أنهيا هذا الأمر وإلا أنهيته بنفسي! هناك من عرف بأمرهما». أضع طرف القلم في فمي وأعضه لحظة.

عينا آن متسعتان لشدة دهشتها. ينفتح فمها ثم ينطبق. لا تجد كلامًا تقوله. وأنا أيضًا لا أجد كلامًا أقوله. تبتلع ريقها بصعوبة. ترفع القهوة إلى شفتيها وتتناول رشفة جديدة. «هل أخضعوا أحدًا آخر للاختبار؟». تلف آن ساقًا فوق ساق وتنقل المصنف من حجرها إلى سطح الطاولة.

«من سيخضعون للاختبار؟ لا يستطيعون التجول وإجراء اختبارات عشوائية لمجرد أنهم لا يعلمون شيئًا عن صاحب الـ DNA الثالث. ينبغي أن يكون

لديهم سبب حتى يجروا اختبارًا».

«أعلم هذا. سؤالي هو: هل لديهم أي شخص آخر يبدو مثار شبهات؟ أي شخص آخر يمكن أن تكون له علاقة غرامية بها... شخص تعمل معه أو كان من أصدقائها أو كانت لها علاقة به فيما مضى».

«بحسب ما قاله الشريف ستيفنز، لا يبدو أن في مكان عملها من تثور من حوله الشبهات. ولكن، من ناحية أخرى، لا تستطيعين معرفة كل شيء عما يقوم به، عن عمل الشرطة. ما من علاقات سابقة يعلم بها أو يعلم سكوت بها. ثم إنه لا أصدقاء لها، عدا زوجي، على ما أظن». أقول هذا كأنه نكتة قاتمة، لكن محاولتي فاشلة. ترمقني آن بنظرة حزينة فأجيبها بابتسامة صغيرة كأنني أحاول القول إنني بخير مع أنني لا أعلم إن كنت بخير حقًّا.

«ماذا تعنين بأنكِ لا تستطيعين معرفة كل شيء عن عمل الشرطة؟ هل بدا لك سلوكه غريبًا؟». على الدوام، تلتقط آن الأشياء الصغيرة التي تسمعها مني، وهذا ما يجعلها مساعدة رائعة.

«لست أدري. كل ما في الأمر أنه يبدي لي مودة مبالغًا فيها».

«يبدي لكِ مودة مبالغًا فيها؟!».

«لست أدري كيف أوضح هذا. يبدو كأنه أكثر اهتمامًا بهذه القضية مما ينبغي أن يكون».

«هل تظنين أنه كان على معرفة بكيلي، أو أي شيء من هذا القبيل؟». تستند آن إلى ظهر مقعدها. لقد أثار هذا الأمر اهتمامها.

«لا. الحقيقة... نعم. زوجها شرطي. ونحن نتكلم عن بلدة صغيرة. لا بد أن يكون على معرفة بها. لكني أظن أنه يغازلني. قال لي إنه سيكون معي

بغض النظر عما إذا صدر حكم الإدانة على ادم أو لم يصدر. و... طريقته في النظر إليّ أيضًا!». قد أكون في حاجة إلى ذلك الآن. أظنني في حاجة إلى ذلك. قد يكون الشريف ستيفنز نفسه الشخص الذي أنا في حاجة إليه الآن، في حاجة إليه أكثر مما أظن.

ترفع آن أنفها. «أمر غريب حقًا».

«أهو أمر غريب؟ هل ينبغي أن يقلقني هذا؟ ينبغي أن أقلق، أليس كذلك؟».

«إنه مسؤول الشرطة في البلدة؛ وأنتِ امرأة رجل يعتقد أنه قتل واحدة من المقيمات هنا. أنتِ أيضًا محامية الدفاع عن هذا الزوج. لعله يراكِ ضحية، يراكِ زوجة شخص ارتكب جريمة قتل لا محامية دفاع. ولعله آسِفٌ عليك نظرًا لما تمرّين به ونظرًا للظروف المحيطة بهذه القضية». تقول آن هذا مقترحة تفسيرًا.

«فوق هذا، هو لا يظن أن آدم قد ارتكب تلك الجريمة. ألا ترين غرابة في أن يقول هذا لمحامية الدفاع في القضية؟».

«صحيح، لكن بصفتكِ محامية دفاع، لا بصفتكِ زوجة. لعله غير قادر على رسم الخط الفاصل بين التصرف السليم والتصرف غير السليم، وذلك نظرًا لما يجري الآن. هذه معضلة كبيرة جدًا، وأنتم جميعًا واقعون فيها».

أعترف: «أعلم هذا، وأتساءل أحيانًا إن كنت أفعل الشيء الصحيح».

«ما الشيء الصحيح!؟».

«وقوفي إلى جانب زوجي الذي لم يقف إلى جانبي».

«أنت تفعلين ما هو صائب لأنك شخص جيد. إن

كان زوجك قد أخطأ، فهذا لا يعني أن عليك أن تخطئي مثله. لقد بقيت مخلصة لنفسك، وهذا ما له أهمية في آخر المطاف. سوف يندم آدم على ما فعله بك سواء أظل بقية حياته في السجن أم لم يظل. أستطيع أن أعدك بهذا».

أشد على شفتي، وأرفع حاجبي، ثم أومئ لها برأسي إيماءة خفيفة.

«أوه، وبالمناسبة، وصلت التحريات الخاصة بخلفية كل من كيلي وسكوت. أنا لست مثلك في ما يتصل بأعمال التحري، لكني وجدت شيئًا بدا لي شديد الغرابة. الحقيقة أنني لم أستطع أن أفهم تمامًا ما كان يجري». تناولني آن المصنّف.

أبدأ تقليب الأوراق. «ما الجزء الغريب الذي عثرتِ عليه؟».

«على سبيل البداية، كيلي سامرز ليس اسمها الحقيقي. اسمها جينا واي».

«جينا واي؟! لماذا غيّرت اسمها؟» أتابع تقليب الأوراق محاولة العثور على إجابة عن سؤالي هذا. تلك هي طبيعتي. إذا طرحتُ سؤالًا، فعليّ أن أجد إجابة. لا أثق عادة بأن يعطيني الآخرون معلومات صحيحة. أعني لم يعطني آدم معلومات صحيحة طيلة هذه الفترة. أعطاني نصف المعلومات، أو أقل منها كثيرًا، المعلومات الخاصة بما كان يفعله قبل مقتل كيلي. وحتى في هذه اللحظة، بعد أن صارت حياته في خطر، أعلم أنه لا يقول لي كل شيء.

«لا بأس! كانت متزوجة قبل سكوت. وقد قُتل زوجها السابق».

لا أزال أتابع تصفح الأوراق. «ماذا؟ كيف؟ من قتله؟».

«لقد طعنته كيلي حتى الموت، أو لعل عليّ القول إن جينا هي من طعنته. والأمر الغريب أنها أفلتت من تلك الجريمة». تقول أن هذا رافعة حاجبيها.

«هذا أمر غريب حقًّا. لا معنى لأي شيء من هذا. كيف أفلتت من الأمر؟». أبحث في الأوراق التي أمامي.

«ضاعت الأدلة في أثناء المحاكمة فأُسقطت التهمة عنها. لكن، احزري من كان الشرطي الذي اعتقلها في مسرح الجريمة؟».

«من هو؟».

«لا أحد غيره، سكوت سامرز، زوجها!».

22

آدم مورغان

يفتح الحارس الباب فأخطو داخلًا الغرفة الصغيرة. على الفور، يصير جسدي بين ذراعي أمي. أشم رائحة عطرها المألوفة. ملابسها سواد في سواد كأنها ارتدتها كي تذهب إلى جنازة. يقول لنا الحارس إن ساعات الزيارة تنتهي بعد عشر دقائق، ثم يغلق الباب ويتركنا في الغرفة وحيدين.

تقول وهي تقبّل وجنتي: «يا حبيبي! ماذا فعلوا بك؟» تتفحّص وجهي وتضغط عليه بإصبعها كي تتأكد من أن إصاباتي في سبيلها إلى الشفاء. هي ليست طبيبة، لكنها رأت من الإصابات ما يكفي كي تعتبر أنها تعرف ما تفعله.

«هذا لاشيء، يا ماما». أخلّص نفسي من عناقها كي تتوقف عن التحديق في وجهي وعن محاولة تصحيحه. أجلسها في مقعدها وأجلس على المقعد المقابل لها. تمد يدها وتمسك بيدي. لا تفعل شيئًا غير أن تنظر إليّ. ينفتح فمها، ثم ينطبق، ثم ينفتح من جديد. إنها تبحث عن كلمات تقولها.

«ماذا، يا ماما؟».

لا تقول شيئًا، تواصل النظر إليّ.

«هل تحاولين تقرير إن كنت قد ارتكبت تلك الجريمة؟».

«لا». إجابتها قاطعة تمامًا.

أميل برأسي جانبًا وأسألها: «لا؟».

«أنت ولدي. أعلم أنك لم تفعل هذا، وأعلم أنني سأخرجك من هذا المكان». تشد على يدي.

«ماما... لقد كنت أضاجع كيلي. وجدوا جثتها في

مكتبة ياسمين

فراشي. الـ DNA الذي كان عليها مني». أهز رأسي. قول هذا بصوت مسموع يجعلني أدرك أن وضعي يائس حقًا.

تجيبني أمي بنبرة حادة: «إقامة علاقة غرامية ليست جريمة».

«ماما!...دعك من العلاقة وانظري إلى الأدلة التي لديهم».

تهز رأسها وتقول: «لا أهمية لهذا. سوف آتيك بأفضل محامي دفاع».

«لديّ أفضل محامي دفاع».

«من؟».

«سارة». لم تعاملها أمي يومًا معاملة منصفة. ومهما فعلت سارة، لا يمكنها أبدًا أن ترقى إلى ما تعتبره أمي نجاحًا لأن نظرتَيهما إلى النجاح غير متفقتين.

«سارة؟! هي التي أوقعتك في هذه المشكلة».

أسحب يدي من بين يديها، «ماذا؟ كيف أوقعتني؟».

«الحقيقة... لو كان تركيزها على محبتك أكثر من تركيزها على عملها، لما ذهبتَ كي تتشمم طريقك في أماكن أخرى. فوق هذا، حرمتك سارة من الأبوة ومنعتني من أن أصير جدة». تعقد أمي ذراعيها على صدرها.

«ماما... ما من شيء صحيح في كلامك هذا!». أتنهد وأفتح عينيّ على اتساعهما، «كل ما في الأمر أنها لم تكن مستعدة بعد لأن تنجب طفلًا. تعلمين السبب، وتعلمين ما عانته وما مرت به». أنظر إليها مضيقًا عينيّ. كيف تستطيع أن تقول عن زوجتي كلامًا من هذا القبيل؟ لقد عانت سارة ما فيه الكفاية، ولا ينقصها سماع هذا الكلام من أمي.

«نعم، نعم، نعم. لكل إنسان قصة محزنة، يا ادم!».

«يكفي، يا أمي». يعلو صوتي أكثر مما أردت له أن يعلو على أمي. لكن هذا لا أثر له عليها. لا يرفَ لها جفن. صدقًا، أستطيع الآن أن أقذف بهذه الطاولة إلى الناحية الأخرى وأن أسدد لكمة إلى فمها، لكنها ستظل تنظر إليّ كأنني أحسن شخص في العالم، كأنني سبب إشراق الشمس كل صباح.

«أوه، يا حبيبي! لقد جعلك السجن عصبي المزاج». تمد يدها عبر الطاولة وتداعب وجنتي، «سوف آتيك بقليل من شاي النعناع الذي يعجبك. كان ذلك الشاي يهدّئ أعصابك في طفولتك». تبتسم لي.

آخذ نفسًا عميقًا. ينفتح الباب. سارة تقف في العتبة. تلتفت أمي وتنظر إليها.

تلقي سارة التحية علينا: «مرحبًا إليانور. مرحبًا آدم».

«مرحبًا يا سارة!». تحية أمي باردة كعهدها دائمًا.

تسألها سارة: «لا يجوز أن يستقبل آدم زوارًا قبل مثوله أمام القاضي الذي سيوجّه إليه الاتهام. كيف استطعتِ الدخول إلى هذا المكان؟».

تطلق أمي ضحكة صغيرة، «لديّ أساليبي».

أسألها: «ما الذي أتى بكِ؟ هل من أخبار حسنة؟».

تخطو سارة داخل الغرفة، ثم تغلق الباب من خلفها. «أتيت كي أقول لك إنهم سوف يوجهون إليك الاتهام بشكل رسمي، سوف تدلي بإفادتك غدًا». تنظر في عينيّ وفي عينيْ أمي... «لكني سأعود في الصباح كي أراجع الأمر كله معك. لقد أردت... أردت فقط أن أجعلك مطلعًا على ما سوف يجري».

أسألها: «هل سيكون اتهامًا رسميًا؟».

تومئ سارة برأسها.

تنهض أمي عن كرسيها وتقول: «هذا سخف، يا سارة! عليك أن تصلحي الأمر». تقول هذا وتشير إلى زوجتي بإصبعها.

«أنا أعمل على هذا، يا إليانور. يعتقد المدعي العام أنه قادر على إثبات أن آدم مذنب من غير أي شك معقول. وهذا ما جعله يتخذ قراره».

«لكني لم أفعلها!». تطفر الدموع إلى عيني، ويرتعش صوتي.

تقول أمي: «أعلم هذا، يا حبيبي! وسوف نأتيك بأفضل محامٍ يستطيع المال أن يأتي به. سوف ينتهي هذا كله عما قريب».

تهز سارة رأسها وتقول: «سوف أذهب الآن». تستدير وتتجه صوب الباب.

يفتح الحارس باب الغرفة ويقف هناك كأنه جندي في وضع الاستعداد. يعلن قائلًا: «انتهى وقت الزيارة».

تسرع أمي وتدور من حول الطاولة كي تعانقني. تهمس في أذني: «سوف أعود غدًا، يا دبدوبي».

«ماما، لا تقولي هذا، أنا في السجن». أدفع بهذا الكلام عبر أسناني المطبقة محاولًا ألا يسمعها أحد.

تتجاوز سارة الحارس في سبيلها إلى الانصراف. تتركني أمي وتصيح بها: «انتظري، يا سارة! أريد أن أدعوك إلى وجبة عشاء. علينا أن نناقش الخطوات المقبلة». تقول أمي هذا بنبرة إصرار.

تتوقف سارة وتلتفت ناظرة إلينا. تقول: «لديّ عمل كثير ينبغي إنجازه و...».

ترفع أمي يدها، «أعذارك لا نفع لها معي. سوف نذهب».

مكتبة ياسمين

23

سارة مورغان

نجلس متقابلتان في مطعم «باين أبل أند برلز» الذي اختارته إليانور. لدى هذا المطعم قائمة طعام ثابتة. أنا متأكدة أن اختيارها سيكون رائعًا، لكنه ليس إلا مثالًا آخر على تحكمها بكل شيء.

تسألني: «بماذا نبدأ، يا سارة؟».

«نبدأ! لن نبدأ بأي شيء. أنتِ لست محامية، ولا من العاملين في ميدان إنفاذ القانون. لذا، أنتِ لا تستطيعين تفحص الأدلة أو مسرح الجريمة أو أي شيء آخر يمكن أن يكون مفيدًا لآدم. ما عليكِ إلا أن تتركيني أؤدي عملي». أقول لها هذا بكل صراحة آملة أن تفهم ما أعنيه وتتخلى عن فكرة تعاوننا معًا من أجل إنقاذ ولدها.

«كيف تتوقعين مني فعل ذلك؟».

بحق السماء! بالطبع، لن تتخلى عن الأمر. أسألها: «فعل ماذا، يا إليانور؟».

«أن أترك هذا كله بين يديكِ. أعني، كيف نستطيع جميعًا أن نكون واثقين من أنكِ ستؤدين هذه المهمة على أحسن وجه؟».

تستعرض عيناها قائمة المشروبات وهي تكلمني كأننا نتحدث عن الطقس أو عن أي أمر عادي آخر.

«عفوًا». ترفع رأسها وتنظر إليّ. وتكمل، «أظن أن عليك قبول أنك تتحملين قسمًا من اللوم. وإن كان الأمر هكذا، فإن...».

«فإن ماذا؟».

«أعني أن الأزواج، عادة، لا يخونون زوجاتهم المحبات».

مكتبة ياسمين

«هذا غير لائق على الإطلاق». أهز رأسي غير مصدقة ما أسمعه منها.

لكنها تتابع كلامها: «لقد أراد آدم دائمًا أن يكون أبًا. وأردت أن أكون جدة. لكنك حرمتنا من تلك الفرحة».

أرفع يدي عاليًا. «سوف أجعلك تكفين عن هذا الكلام الآن، يا إليانور...». كنت أتمنى أن أمد يدي من فوق الطاولة وأمزق وجهها المحقون بالبوتوكس.

«الآن... أعلم أن نشأتكِ كانت قاسية، إذ توفي والدكِ وكانت أمكِ مدمنة مخدرات، لكن ذلك ليس أمرًا تستطيعين الاستفادة منه إلى الأبد...» تتوقف لحظة عندما تأتي النادلة فتقول لها: «سوف نأخذ كأسي مانهاتن». تغلق قائمة المشروبات وتدفع بها صوب النادلة.

أحس برغبة شديدة في الانصراف مسرعة من هذا المكان، لكن أعلم أن هذا ليس مفيدًا أبدًا.

أصحح قولها: «الحقيقة أنني سأتناول كأس فودكا تيتو مع الصودا والليمون». تومئ النادلة برأسها فأبتسم لها ابتسامة صغيرة.

تقول للنادلة: «اجلبي الكأسين على أية حال، سوف أكون في حاجة إليهما. والآن، ماذا كنت أقول؟».

يداي تحت الطاولة مضمومتان بقوة شديدة. أظافري تحفر راحتي يديّ. الرطوبة والدفء يقولان لي إن أظافري قد اخترقت جلدي.

«أوه، صحيح، وأنا أيضًا فقدت أشخاصًا. توفي زوجي، لكنك لا ترين أن ذلك يمنعني من عيش حياتي». تومئ إليانور برأسها وهي تتكلم كأنها

مكتبة ياسمين

تلقي عليّ خطبة تحفيزية، لكن الشيء الوحيد الذي تحفزه في داخلي هو أن أقلب هذه الطاولة فوقها وأخرج من الباب.

أرخي يديّ وأنظر إليهما لحظة. أرى نقاطًا مدماة صغيرة في راحة كل منهما. ألتقط منديلي وأستنشق نفسًا عميقًا. أنا قادرة على تجاوز هذا الأمر. لقد احتملت ما هو أسوأ منه. تأتي النادلة وتضع على الطاولة كأس الفودكا وكأسي المانهاتن. آخذ كأسي وأشربه دفعة واحدة، تقريبًا. لا تزال إليانور مستمرة في كلامها عن الكيفية التي ينبغي أن أعيش بها حياتي وأن آدم ليس مخطئًا.

«... ومن الواضح، يا سارة، أن الإدمان سمة ظاهرة في عائلتكِ. قد تكونين مدمنة على عملكِ فحسب. إنني أحاول تقديم العون، لا أكثر. أريد التأكد من حصول آدم على أفضل دفاع ممكن». تتناول رشفة بطيئة من كأس المانهاتن، لكن عينيها لا تحيدان عن عينيّ.

«لديه أفضل دفاع ممكن. ومن صالح آدم أيضًا أن المرأة التي هي زوجته منذ عشر سنين لا تسانده فحسب، بل تدافع عنه في هذه القضية أيضًا».

«هذا أقل ما تستطيعين فعله، يا سارة. والآن، هل أنتِ واثقة من أنكِ مؤهلة للتعامل مع هذه القضية؟» تحاول أن ترفع حاجبيها، لكن وجهها المحقون بالبوتوكس غير قادر على الاستجابة.

«أنا واثقة».

تطلق ضحكة صغيرة وتقول: «لا بأس. أعتقد أن إدمانك على العمل سوف يفيدك هذه المرة».

تكاد عيناي تسقطان من محجريهما. أجيبها: «أظنه سيكون مفيدًا».

«أوف! أتمنى حقًا لو أنك أبديت اهتمامًا أكبر بابني وبالقيام بواجباتك الزوجية. لو فعلت ذلك، لما وقع آدم في هذه المحنة. يا للأسف!». تهز رأسها في أثناء كلامها.

سوف تتابع على هذا المنوال طيلة الليلة إلا إذا أسمعتها ما تريد سماعه. أقول لها: «أنت محقة، يا إليانور. كان عليّ أن أكون زوجة أفضل من هذا. لكن أعدكِ بهذا. أعدك بأن أكون أفضل الآن، وبأن أحرص على أن يتلقى آدم العدالة التي يستحقها». أقول هذا وأومئ برأسي إيماءة حازمة.

تضع النادلة طبق الطعام الأول على الطاولة.

تجيبني إليانور بابتسامة: «كنت موقنة من أنك سترين الأمر مثلما أراه. والآن دعينا نستمتع بطعامنا».

24

آدم مورغان

أجد نفسي من جديد مستلقيًا على سرير معدني له فراش أقسم أنه رقيق مثل قطعة من الورق المقوى. لقد قضيت ستين ساعة من الاثنتين وسبعين ساعة التي مضت مستلقيًا على هذا السرير أفكر في كيفية خروجي من هنا. لا أزال عاجزًا عن استيعاب كيف انتقلت من عيش علاقة غرامية إلى أن أكون المشتبه فيه الأول في جريمة قتل عشيقتي. كيف انتهى بي الأمر إلى هذا المكان؟

لم يعد لدى سارة أي إحساس نحوي. أعلم هذا، ولا أستطيع أن ألومها. حتى إذا وقعت معجزة وتمكنت سارة من إنقاذي، فلن يكون لدينا أبدًا ما كان لدينا من قبل... هذا إن كان لدينا شيء أصلًا. لم أعد واثقًا من أي شيء. هل كنت مجرد شخص ملائم لها، مجرد جسد دافئ تعود إليه؟ لا! أنا واثق من أن حبًا كان بيننا، لكني أنظر إليها الآن... أعتقد أنني جرحتها إلى حد لا عودة عنه. لا تزال لديها مشاعر نحوي، لكن تلك المشاعر أقل قوة من مشاعر الكره والغضب والحزن والندم. هل أستطيع الاستمرار بعد هذا؟ لست أدري. هل نستطيع الاستمرار بعد هذا؟ لا أظن.

نهاية لقائنا أمس لم تكن حسنة، وذلك عائد في جزء منه إلى ما قالته أمي. بعد أن أخبرتني سارة أنهم سيقدمون اتهامًا رسميًا ضدي، ذهبت مع أمي لتناول العشاء. لا أستطيع تخيل أن عشاءهما قد مر بسلام.

يدق حارس بهراوته على قضبان زنزانتي، ويقول: «لديك زائر».

أنهض واقفًا وأجرجر رجلي عابرًا الغرفة. الحقيقة أنني غير مهتم بالكلام مع أي شخص، لكن مجيء الزوار وقضاء بعض الوقت في غرفة الزيارة، هما الأمران الوحيدان اللذان يكسران بطء الساعات في أثناء وجودي هنا. أسير خلف الشرطي إلى أن نصير واقفين أمام غرفة الاستجواب. يفتح الباب فأرى رجلًا ذا شعر قصير أشقر جالسًا على كرسي، ظهره في اتجاهي. أظن أنه محامٍ جديد. لعل سارة قررت أخيرًا أنها اكتفت من هذا، ولعل أمي استعانت بمحامٍ جديد. أتجاوزه، وعندما أستدير كي أجلس قبالته أكتشف من يكون هذا الرجل. إنه سكوت سامرز. أحاول النهوض واقفًا كي أخرج من الغرفة.

«اهدأ! أنا هنا كي نتكلم فحسب». يرفع يديه محاولًا جعلي أرى أنه لا يشكل خطرًا عليّ. صوته عميق أجش. هذه أول مرة أسمعه يتكلم. عندما التقينا المرة الماضية، كانت قبضتا يديه هما اللتان قالتا الكلام كله. ألتفت وأنظر إلى الحارس، ثم أنظر إلى الكرسي محاولًا اتخاذ قرار.

يقول لي الحارس: «الأمر عائد إليك، يا آدم. لن أرغمك على الجلوس هنا». تبادلنا النظرات، نحن الثلاثة، ثم قررت أن أجلس. على الرغم من كل شيء، من الممكن أن يزلق لسان سكوت فأكتشف أمرًا يفيد قضيتي. ماذا يمكن أن أخسر؟ حياتي؟ في هذه اللحظة، لن أعتبرها خسارة كبيرة.

يقول سكوت: «شكرًا».

يقول الحارس: «لا أريد أية ألاعيب، يا سكوت. إنني أخرق بعض القواعد عندما أسمح لك بأن تكون موجودًا هنا. لذا، لا تكن سببًا في أذيتي. سوف أظل واقفًا خلف الباب. لديك عشرون دقيقة». يخرج الحارس من الغرفة ويغلق الباب من خلفه. أستند

إلى ظهر مقعدي وأنتظر كلامه. لست أدري سبب وجوده هنا؛ ولست أدري سبب رغبته في الكلام معي. لكنه هنا، وفي وسعه أن يكون أول من يتكلم.

«مثلما قلت لك، أنا هنا كي أكلمك، لا أكثر. أريد أن أعرف ما جرى. أريد أن أعرف ما تعرفه». تحت عينيه دوائر سوداء. لحيته شعثاء. قميصه غير مكوي، وشعره في حالٍ سيئة. من الواضح أنه لم يعتنِ بنفسه منذ حين.

«لقد قلت للشرطة كل شيء. ذلك كله موجود في إفاداتي. أعلم أنك تستطيع الوصول إليها. لذا، ما سبب وجودك هنا؟».

يقول لي: «هذا صحيح، وقد قرأت إفاداتك. لكني أريد أن أسمع منك إفاداتك مباشرة».

«ما الذي تريد معرفته على وجه التحديد؟».

«هل قالت لك كيلي يومًا أي شيء عني؟ هل كنت على علم بأنها متزوجة؟».

«نعم، علمت أنها متزوجة، وعلمت ما كنت تفعله بها». تضيق عيناي. أود أن أنقضَ عليه من فوق الطاولة نتيجة ما ألحقه بها من أذى طيلة ذلك الوقت.

«ما الذي تظن أنني فعلته بها؟». يتجهم وجهه ويستند إلى ظهر مقعده.

«لقد كنتَ تسيء إليها. كنت تؤذيها. سببت لها كدمات، وجعلتها تنزف. هل تظن نفسك رجلًا ضخمًا قويًا؟ هل تظن أن ضربك زوجتك يجعلك رجلًا صلبًا؟». أضرب الطاولة بقبضة يدي.

«ما هذا الذي تقوله؟ لم أرفع يدي عليها يومًا. كيف لها أن تقول ذلك؟». يضرب الطاولة بقبضته، لكن هذا لا يعزز موقعه.

مكتبة ياسمين

«لقد رأيت الكدمات التي أصابتها. رأيت عينها المتورمة وأنفها النازف وشفتها المشقوقة. لا تجلس هنا وتنكر ما فعلت. هل أنت خائف لأن الشرطة ستكتشف ما فعلته وتعتبرك أول المشتبه فيهم؟ أقول هذا لأنني موقن أنك من قتلها. أعلم هذا». أشد على فكي إلى أن تؤلمني أسناني.

«هل هذا مزاح؟ لقد أحببت كيلي. مرة واحدة فقط، قبل أسبوعين من وفاتها، أصبتها في وجهها بمرفقي مصادفة عندما كنت أعلّق ستارة في بيتنا، هذا كل ما في الأمر. خرجت من البيت وقالت إنها ذاهبة إلى بيت الجيران كي تستخدم لوازم الإسعافات الأولية لأننا لم نستطع العثور على حقيبة الإسعافات التي عندنا. هل تقول لي إنها ذهبت إلى بيتك وقالت إنني ضربتها عمدًا؟». إنه غاضب، لكن ثمة حزنًا في عينيه. إما أن يكون ممثلًا شديد المهارة أو أنه يقول الحقيقة.

«لقد أتت باكية وحكت لي كل شيء عما فعلته وعما كنت تفعله بها على مر السنين. لقد رأيت كدماتها أكثر من مرة. لماذا يمكن أن تكذب عليّ؟».

«لست أدري. لعلها تريد استدرار الإشفاق والتعاطف. لعلها تريد لفت الانتباه إليها. لكني أستطيع أن أقول لك أمرًا واحدًا: كانت تأتي إليّ عندما كنت شرطيًا في أبليتون في ويسكنسن وتقول لي تلك الأشياء نفسها عن زوجها الأول، تقول لي إنه يسيء إليها. لا يمكن أبدًا أن أتعمد إيذاءها. وقد بدأت الآن أقول في نفسي إن ذلك الرجل لم يكن يؤذيها أيضًا». تجول عيناه في المكان كله كأنه يحاول فهم ما جرى. لكني أرى في وجهه المتجهم وعينيه المتسعتين أنه لا يستطيع أن يفهم شيئًا. لا معنى لهذا كله. ما الذي يجعل كيلي تفعل

ذلك؟

«لقد أخبرتني بأمر زوجها الأول. قالت لي إنك تبتزها بهذا الأمر وإنك كنت تهددها بأن تعود إليه، إن أردت، وتجعلهم يدينونها في جريمة قتل زوجها. لهذا السبب، كانت غير قادرة على تركك».

«هذا غير صحيح أبدًا. لم نكن نتحدث عنه أبدًا. لم أكلمها يومًا عن ذلك الجزء من حياتها. عندما تركنا ويسكنسن تركنا ذلك الجزء خلفنا». ينظر في عينيّ مباشرة. يريد أن أصدقه، لكني لا أعلم إن كان يقول الحقيقة أم لا. كيف لي أن أعلم؟ أنا لا أعرفه. لا أعرف عنه شيئًا غير ما قالته لي كيلي.

أسأله: «لماذا يمكن أن تكذب كيلي في هذا الأمر؟».

«صدقًا، لست أدري. لكني أقسم لك أنني لم أؤذها يومًا».

«ماذا عن الرسائل النصية التي كتبتها إليها ليلة مقتلها؟ كنت تهددها بتلك الرسائل!».

«أعلم هذا. وأنا نادم على إرسالها». يقول هذا بصوت يكاد يكون باكيًا. «لكني لم أقتلها. أمضيت تلك الليلة كلها مع زميلي الشرطي ماركوس».

«حجة قوية! أهذا سبب قدومك؟ هل أتيت كي تقنعني بأنك بريء من ذلك كله؟».

يدعك وجهه بكلتا يديه كأنه يحاول إيقاظ نفسه من حلم مزعج، أو من شيء ما. ويقول: «لا! أتيت كي أنظر في عينيك وأطلب منك أن تكون رجلًا وتعترف بما فعلت».

«أنا لم أقتل كيلي. لا يمكن أن أقتلها. لقد أحببتها. أعلم أنك لا تحب سماع هذا لأنك زوجها. لكني لم أقتلها».

يهز سكوت رأسه.

ينفتح باب الغرفة فأرى سارة ومساعدتها أن ومعهما رجل في بدلة مقلَّمة. أعرفه بعد لحظة قصيرة. إنه ماثيو، صديق سارة الأعز في أثناء دراستهما القانون. لم أره منذ سنين طويلة، لكن سارة حافظت على صلتها به عن طريق المكالمات والإيميلات والرسائل النصية. بل إنها زارته بضع مرات في مكان إقامته في نيويورك. تنظر سارة إلى سكوت، ثم تنظر إليّ، وأدرك من تعابير وجهها أنها غاضبة.

تنظر إلى سكوت وتصيح: «بحق الجحيم، ماذا تفعل هنا؟ وكيف تتكلم مع موكّلي؟».

ينهض سكوت عن كرسيه ويقول بنبرة هادئة: «كنت على وشك الانصراف».

«هذا لا يجوز. أين هو الشريف ستيفنز؟».

يحاول سكوت تجاوزها، لكنها تسد الباب بجسدها الصغير النحيل. ترفع رأسها متحدية إياه.

يقول سكوت: «مثلما قلت لكِ، كنت موشكًا على الانصراف».

«لا يهمني هذا! ليس من حقك أن تكلمه». تعقد ذراعيها على صدرها.

«أعلم هذا، وأنا آسف».

أقول لها: «لا مشكلة، يا سارة. لقد انتهينا من الكلام. دعيه يذهب».

«عن أي شيء كنتما تتكلمان؟ من حقي معرفة ذلك بصفتي محاميتك».

يشير إليه الحارس بالخروج ويقول: «هيا، يا سكوت».

لا تتزحزح سارة من مكانها. عمليًا لا بد له من أن

مكتبة ياسمين

يتقلص حتى يصير لا شيء كي يتجاوزها. تعود نظرتها القاتلة إليّ. تستهدفني نظرات مماثلة من كلٍّ من أن وماثيو. أن كأنها دمية بين يدي سارة فهي تفعل وتقول كل ما تأمرها به. على الدوام، كنت عاجزًا عن فهم هذه العلاقة بينهما. أن تعبد سارة، وسارة شديدة الاستمتاع بذلك. كان ماثيو دائمًا في خدمة سارة، والظاهر أنه قد عاد إلى ممارسة هذا الدور.

تنقر سارة على الأرض بحذائها نقرات سريعة. «هل تحاول أن تخسر هذه القضية؟». من الواضح أنه سؤال لا يستدعي إجابة. لذا، أكتفي برفع كتفي.

تهز سارة رأسها وتقول: «هل تعتزم إخباري عما كنتما تتكلمان فيه؟».

«كان ذلك لا شيء. أراد فقط أن نتكلم عن كيلي». لا أدري ما يجعلني أمتنع عن قول المزيد، ربما لأن ما قاله سكوت يدمّر موقفي في هذه القضية. إذا لم يكن سكوت يسيء إليها، فما الذي يمكن أن يجعل أي إنسان مقتنعًا بأنه قتلها؟ وإذا كان مع الشرطي ماركوس طيلة الليلة، فمن المستحيل أن يكون قد قتل كيلي. مع ذلك، لست مقتنعًا بهذا الأمر لأن لدينا هنا شرطيًا يستعين بزميله كي يثبت عدم وجوده في مكان الجريمة. أليس هذا أمرًا متقنًا أكثر مما ينبغي؟

تجلس سارة وآن قبالتي، تخرجان أوراقًا من حقيبتهما. يستند ماثيو إلى الجدار خلفهما كأنه يحرسهما.

أسأله: «ما الذي أتى بك، يا ماثيو؟».

يلتفت ماثيو ويقول: «لدينا عمل هنا يستغرق بعض الوقت. أظن أن التوقيت ليس جيدًا تمامًا لأن...».

مكتبة ياسمين

أقول: «لم يكن اختيار التوقيت المناسب يومًا واحدة من مزاياك».

يجيبني ماثيو: «من الواضح أنه ليس من مزاياك أنت أيضًا».

ترمقني سارة بنظرة غاضبة. «ألن تكف عن هذا؟ ماثيو يساعدني في قضيتك. لذا، أظهر له بعض الاحترام».

أومئ برأسي، ثم أظل مطرقًا. لقد بدأ السجن يحولني إلى شخص تافه صعب المراس... أو، لعلي كنت كذلك طيلة الوقت!

تمضي سارة وقتًا قصيرًا في قراءة الملاحظات المكتوبة في أوراقها، ثم تنظر إليّ وتسألني: «هل كنت على علم بأن اسم كيلي سامرز الحقيقي جينا واي؟».

«كنت أعلم. لقد أخبرتني عن ماضيها قبل أسبوعين من مقتلها».

«وهل قررت أن تغفل عن ذكر هذه المعلومة؟».

«غابت عن ذهني».

«أنت متهم بجريمة قتل، مع ذلك حقيقة أن المرأة التي كنت تضاجعها قد قتلت زوجها الأول تغيب عن ذهنك؟!». ثمة غضب شديد في صوتها. الحقيقة أنني لا ألومها.

لكني أجادلها: «لم يُوجَّه إليها اتهام رسمي بارتكاب تلك الجريمة».

تشد على فكيها وتقول: «بل وُجِّه إليها الاتهام. انتهت القضية في أثناء المحاكمة بعد اختفاء الأدلة. وعلى ما يبدو، من المحتمل أن يكون لسكوت دور في اختفائها». تعقد ان ذراعيها على صدرها. يهز ماثيو رأسه. أتمنى لو أن هذين الاثنين ليسا هنا.

مكتبة ياسمين

لست في حاجة إلى مزيد ممن يطلقون أحكامهم عليّ. حكمي على نفسي وحكم سارة عليّ أكثر من كافٍ لي.

أقول لها: «قالت لي كيلي إنها لم تقتله».

تتدخل آن: «هذا ما يقوله كل قاتل».

«أليس هذا ما تقوله أنت أيضًا؟». يقول ماثيو هذا لي ويبتسم لي ابتسامة ساخرة.

تلتفت إليه سارة وترميه بنظرة غاضبة. لست قادرًا على رؤية وجهها، لكن ماثيو يقول: «لا بأس، لا بأس. سوف أصمت!». يعني هذا أنها تتخذ جانبي. ماثيو ميّال دائمًا إلى حماية سارة، وأنا قادر على تفهُّم عباراته الجارحة. لكني أقدّر لسارة دفاعها عني.

تتدخل آن وتقول: «سوف تمثل أمام القاضي بعد ساعة واحدة». تُخرج من حقيبتها بنطلونًا وقميصًا وحذاء رسميين. تضع ذلك كله على الطاولة وتدفع به صوبي.

تقول سارة: «سيكون عليك أن تدخل قاعة المحكمة كي تعلن موقفك من اتهامك رسميًا بقتل كلٍّ من كيلي روز سامرز وجنينها». تنظر سارة في عينيّ وتقسو ملامح وجهها، لكن دمعة تفلت من عينها. قبل أن ينهار السد، تمسح دمعتها وتستنشق نفسين سريعين - عاد السد متماسكًا، الآن... أو إلى الأبد.

أومئ برأسي لأنني كنت على علم مسبق بأن هذا ما سيحدث. أخبرتني سارة يوم أمس.

«إذا قلت إنك غير مذنب، فسيحاول المدعي العام المطالبة بعقوبة الإعدام. أما إذا قلت إنك مذنب، فسوف يقترح عقوبة الحبس خمس وعشرين سنة من غير إمكانية العفو عنك. ماذا تفضّل أن تقول؟».

«غير مذنب، بالطبع. أنا لم أفعل هذا». يكاد الغضب يخنق صوتي.

تومئ برأسها. «لا بأس. سوف نعود إليك بعد ساعة من أجل المثول أمام القاضي».

تجمع الاثنتان أوراقهما، ثم يخرجون جميعًا ويتركونني وحيدًا مع كومة الملابس.

25
سارة مورغان

أدخل مع آن وماثيو مقهى صغيرًا قبالة المحكمة لأن لدينا ثلاثين دقيقة قبل جلسة آدم. أجلس ويجلس ماثيو إلى طاولة مرتفعة من طاولات المقهى في حين تذهب آن كي تطلب قهوة لنا نحن الثلاثة.

يقول ماثيو: «يبدو آدم في حال مزرية. لم أره هكذا من قبل. مر زمن طويل منذ أن رأيته آخر مرة... لكن، مع ذلك...».

أقول: «لكنه يستحق هذا». لا أزال غاضبة منه لأنه حجب عني تلك المعلومات عن كيلي أو، ألا ينبغي أن أقول جينا؟ لو لم تكن إليانور موجودة ليلة أمس لوبخته توبيخًا شديدًا. واليوم، وجدته يتكلم مع سكوت سامرز الذي هو زوج كيلي! قد يكون سكوت سامرز مشتبهًا فيه، وهذا جزء من استراتيجيتي الدفاعية، لكن آدم يدمر تلك الاستراتيجية. تأتي آن وتجلس معنا إلى الطاولة.

ينظر ماثيو إليّ مضيقًا عينيه ويسألني: «هل ترينها فكرة حسنة بالنسبة إليه أن يقول إنه غير مذنب، خاصة عندما تكون عقوبة الإعدام مطروحة؟».

«استنادًا إلى الأدلة الموجودة، فمن المرجح ألّا تكون هذه الفكرة حسنة. لكن، لا يجوز لي أن أملي على موكلي ما يقوله. ببساطة، ينتظر مني أن أمثله وفقًا للخيار الذي يقرره بنفسه».

تضع النادلة فناجين القهوة أمامنا.

يواصل ماثيو مجادلتي: «لكنه زوجك».

«إنه موكلي في المقام الأول».

يومئ ماثيو برأسه ويتخلى عن متابعة الموضوع. أرمقه بنظرة سريعة بينما أتناول رشفة من قهوتي. لماذا يقول هذا الكلام؟

تقول آن بشيء من الوقاحة: «علينا ألا ننسى أن ذلك التافه كان يخونها منذ أكثر من سنة».

أهز رأسي وأقول: «لو كان الأمر في يد والدة آدم، لكنت أنا الشخص المتهم الذي يجب أن يمثل أمام المحكمة. فهي تعتقد أنني مذنبة في هذا كله».

يكاد كأس القهوة يسقط من يد ماثيو.

تنظر إليّ آن بعينين متسعتين، تسألني: «هل قالت هذا؟».

«قالت إن عليّ أن أكون مسؤولة لأن الرجل لا يخون زوجة محبة».

«يا لها من عاهرة...» على الفور تضع يدها على فمها بعد نطقها تلك الكلمة.

يضحك ماثيو ويقول: «أنا من رأيكِ. هل ستظل هنا طويلًا؟».

«أظنها ستظل هنا طيلة فترة المحاكمة. إنها تتعامل مع هذا الأمر وكأن آدم حلقة جديدة من مسلسل هاملتون وليس شخصًا متهمًا بارتكاب جريمة قتل مزدوجة».

تقول آن: «سوف أبذل كل ما أستطيع كي أبقيها بعيدة عنكِ».

«أشكركِ. والآن، علينا أن نبدأ اختيار الشهود. أهم نقطة قوة لدينا في هذه القضية هي إثارة الشكوك في ما يخص آدم. لقد كان لكيلي ماضٍ مضطرب فيه نقاط كثيرة غير واضحة. وثمة عدد من الأشخاص ممن يمكن أن يفضّلوا موتها، خاصة إن كانت قد قتلت زوجها الأول. كانت لذلك الرجل

عائلة، وكان له أصدقاء. أنا واثقة من أن ما من أحد منهم كان مسرورًا عندما أفلتت بعون من سكوت».

تخرج آن دفتر ملاحظتها وتستعد لتسجيل قائمة الشهود.

أقول: «فوق هذا، لدينا تلك الصورة ورسالة التهديد. لقد قام أحدهم بالتقاط الصورة. لقد قام أحدهم بكتابة تلك الرسالة. علينا أن نعرف هوية من فعل ذلك».

يومئ ماثيو برأسه.

تكتب آن في دفترها وتقول: «هل لدينا شهود تريدين مني أن أتصل بهم؟».

«فلنستدعِ الشريف ستيفنز، وسكوت سامرز، والشرطي هدسون. وعلينا أن نحاول العثور على واحد من أقارب زوجها... شخص لديه مشاعر ضدها. سوف نحتاج أيضًا إلى استخراج سجلات هاتفها. أريد معرفة صاحب ذلك النسق الثالث من الـ DNA». أصمت لحظة وأراجع الأمر سريعًا. أفكر في كل احتمال ممكن. «إضافة إلى هذا، أريد أن أكلم عددًا من زملائها في العمل. قد يكون هناك من لديه معلومات إضافية عن ماضيها أو عن سلوكها، شخص يستطيع إعطاءنا معلومات إضافية عن كيلي. في هذه اللحظة، يبدو لي أن ما من أحد يعرفها حقًا». أتناول رشفة أخرى من فنجاني.

تقول آن: «سنفعل هذا كله».

يقول ماثيو: «أستطيع الاهتمام بأمر سجلات الهاتف. أعرف أشخاصًا في مواقع عالية، لكنهم مستعدون للنزول إلى أماكن وضيعة... من أجلي». يغمز لي بعينه.

أبتسم له ابتسامة صغيرة. «شكرًا، يا ماثيو. أقدر

لك هذا».

«لا مشكلة. لديّ الآن اجتماع ينبغي أن أذهب إليه. أرسلي إليّ أرقام الهاتف». ينهض واقفًا ويعانقني بقوة. «أنا مستعد لفعل أي شيء من أجلك، يا سارة». يقبلني على وجنتيّ الاثنتين، ثم يودعنا ويخرج من المقهى.

ألقي نظرة على الساعة ثم أقول لآن: «أظن أن علينا أن ننطلق الآن».

مكتبة ياسمين

26

آدم مورغان

أنا أنتظر أمام قاعة المحكمة، مقيّد بالأصفاد، أرتدي الملابس التي أتت بها سارة. حارس يقف بجانبي كي لا أفرّ، وكأن لي مكانًا أستطيع الفرار إليه. سأقول في المحكمة إنني غير مذنب لأنني لم أفعل ذلك. لكني أعلم أيضًا أن عدم ارتكاب الجريمة ليس، في بعض الأحيان، أمرًا كافيًا لأن يكون المرء بريئًا. أظن أن هذه واحدة من تلك الحالات. الأدلة ضدي قوية. أعلم هذا. سارة تعلم هذا. يعلم الجميع هذا. سوف أكون في حاجة إلى وقوع معجزة كي أنجو من هذه الورطة.

تأتي أمي وتدخل عبر باب المحكمة مرتدية ملابس كلها بيضاء، كأنها تعتبر نفسها ملاكي الحارس. تنزع نظارتها الفاخرة عن وجهها وتضعها في حقيبتها. تقف أمامي مباشرة وتنظر إلى ملابسي. تقول لي: «تبدو رائعًا، يا عزيزي». تطبع قبلة على خدي، ثم على خدي الآخر.

أهز رأسي.

تنظر أمي إلى الحارس الواقف بجانبي، تنظر إليه من أعلاه إلى أسفله. تقول له: «هل هذه ضرورية؟» تشير إلى القيود التي في معصمي.

«سوف يمثل اليوم أمام القاضي بتهمة ارتكاب جريمة قتل مزدوجة. لذا، هي ضرورية».

تزيح الشعر عن جبهتي بحركة رقيقة. «كيف يستطيع أي إنسان الظن أن هذا الرجل الوسيم الساحر يمكن أن يكون مذنبًا في أي شيء؟».

ينظر الحارس إليها ويقول: «من فضلك، يا سيدتي. لا تلمسيه».

مكتبة ياسمين

ترشقه أمي بنظرة غاضبة، ثم تجول عيناها في الردهة. تسألني: «أين سارة ومساعدتها الصغيرة؟».

«ذهبتا قبل قليل لتناول فنجان قهوة».

«هل تفضلان الاهتمام بتلبية نزواتهما على رعاية مصالح ابني؟ لا يبدو لي هذا فريق دفاع قويًا!».

«ماما... توقفي!».

تلوح بيدها غير عابئة بما قلت. «أتكلم فحسب!».

تدخل سارة مبنى المحكمة ومن خلفها آن. تحمل كلٌ منهما فنجان قهوتها وحقيبتها القماش. سيكون حصولي الآن على فنجان قهوة أمرًا عظيمًا! لكن، إن كنت أتمنى شيئًا فسوف يكون كأس ويسكي أفضل كثيرًا. تتبادلان الحديث في أثناء اقترابهما مني. أتساءل، أين ذهب ماثيو؟ ظهوره واختفاؤه أمران غير متوقعان... دائمًا. سارة ترتدي واحدة من بدلاتها الأنيقة المألوفة لونها رمادي خفيف. آن ترتدي مثلها. لكني أظن ثمن ملابسها لا يبلغ عشر ثمن ملابس سارة. تتغير هيئة سارة كلها لحظة رؤيتها أمي.

تقول أمي: «ها أنتِ قادمة، يا سارة! كنت أتساءل، متى سوف تصلين كي تدافعي عن ابني؟».

تتوقف سارة على مسافة قدم واحد منا. تومئ آن برأسها إيماءة مرتبكة وتتوقف خلفها. تقول سارة: «لم تبدأ جلسة المحكمة بعد، يا إليانور».

من الناحية العملية، جسد سارة غير متجه نحو أمي. تريد أن يكون واضحًا جدًا أن لا رغبة لديها في تبادل الكلام معها.

«سيجري الأمر على النحو التالي. سوف تقول للمحكمة ما لديك، مذنب أم غير مذنب. وسوف أحاول إخراجك بكفالة. إما أن يقبل القاضي الكفالة أو يرفضها. وبعد ذلك، سيحدد موعد بدء المحاكمة.

مكتبة ياسمين

هل تفهم هذا؟».

«أفهمه. ما فرصتي في الخروج بكفالة؟».

«أظن أن لديك فرصة طيبة. ليست لديك سوابق جنائية، وقد كنت متعاونًا حتى الآن. لكن من ناحية أخرى، فإن المدعي العام في كومنولث فرجينيا جوش بيترز قد يعترض على ذلك؛ ولن يفاجئني اعتراضه أبدًا».

«لماذا؟».

تسأل إليانور بدورها: «فعلًا، لماذا قد يكون أي إنسان راغبًا في رؤية ابني خلف القضبان؟».

تتجاهل سارة كلامها وتوجه كلامها إليّ وحدي.

«هذه جريمة عنيفة جدًا، وسوف يطالب بعقوبة الإعدام. نتيجة ذلك، قد ترى المحكمة أن فرارك أمر محتمل». تتناول رشفة من فنجان قهوتها، ثم تنظر إليّ من جديد. ترقّ تعابير وجهها. ترفع الفنجان وتقدمه إليّ. أنظر إلى الأصفاد في يديّ وأرفع كتفي. تقرب الفنجان من شفتيّ، وتسكب القهوة في فمي. القهوة فاترة، لكنها أفضل من كل ما تذوقته في السجن. تبتسم لي سارة ابتسامة صغيرة لحظة أُبعد فمي عن الفنجان. لعلها لا تزال تحبني!

«شكرًا!».

تومئ لي برأسها.

أستوعب أخيرًا ما أسمعتني إياه من معلومات. أقول لها: «انتظري! هل يعني هذا أنني سأمضي فترة المحاكمة كلها في السجن إذا رفضت المحكمة خروجي بكفالة؟» أسألها كي أتحقق من الأمر مع أنني أعرف الإجابة عن هذا السؤال. كل ما في الأمر أنني أتحدث مع سارة حديث زوج لزوجته، لا حديث موكل ومحامٍ.

«هذا صحيح». أنتبه إلى ظهور قطرات عرق على جبهتها، وإلى أن وجهها قد صار شاحبًا.

تنقر أمي الأرض بحذائها وتقول: «هذا سخف. من الأفضل أن تعالجي هذا الأمر، يا سارة!».

أسأل سارة: «هل أنت على ما يرام؟» توشك سارة على التقيؤ فتتناول آن فنجان القهوة وتجري إلى سلة قمامة قريبة في الردهة. تتقيأ في سلة القمامة. تجري آن إليها وتربت على ظهرها. تسألها إن كانت في حاجة إلى شيء أو إن كانت تريد طلب إرجاء جلسة المحكمة. تهز سارة رأسها نفيًا وتذهب إلى الحمام مسرعة.

تقول آن وهي تعود إليّ: «ستعود بعد لحظات».

«هل هي بخير؟ ماذا أصابها؟». أنا قلق على زوجتي، لكني قلق أيضًا من ناحية قدرتها على حضور هذه الجلسة.

تهمس أمي في أذني: «لا أظنها قادرة على حضور هذه الجلسة. علينا أن نبحث عن محامٍ آخر».

«توقفي، يا أمي!».

تقول آن: «أنا واثقة من أنها على ما يرام».

تقول أمي لآن غير مقيمة لكلامها وزنًا: «لعل من الأفضل أن تذهبي لمساعدتها. من الواضح أن سارة ليست قوية بما يكفي لأن تتدبر أمرها بنفسها».

27

سارة مورغان

أخرج من الحمام بعد أن أغسل وجهي بالماء. أخرج حقيبة التجميل الصغيرة من حقيبتي القماش وأعيد وضع البودرة على وجهي، ثم أسكب في فمي قليلًا من غسول الأسنان، وأصلح وضع شعري وأعيد وضع ملمّع الشفاه. أحس الآن بأنني أحسن حالًا، لكني لا أفهم ما أصابني... التوتر الناجم عن هذه القضية، سوء الأكل، قلة النوم... أو إليانور!

أخرج هاتفي من جيبي وأكتب لآن: *أنا بخير! اظنني أكلت شيئًا لم يتقبله جسمي. سأعود بعد دقائق.*

أنظر إلى صورتي في المرآة، وأسوّي بلوزتي وتنورتي، ثم أشد ربطة شعري. أحمل حقيبتي وأخرج من الحمام فأصطدم مباشرة بجوش بيترز، المدعي العام في كومنولث فرجينيا. تندلق القهوة التي في يده وتتناثر علينا معًا. يعتذر كل منا للآخر.

يقول المدعي العام بيترز: «أنا آسف، يا سارة!».

«لا، أنا آسفة، يا جوش».

«انتظري هنا لحظة». يدخل حمام الرجال، ثم يخرج بعد لحظات حاملًا كمية من ورق المرحاض. يناولني نصف الكمية وينهمك كل منا في مسح القهوة عن ملابسه. بقع القهوة ظاهرة على قميصه الرسمي الأبيض، لكن من الصعب أن ترى العين أثر القهوة على بنطلونه الأسود وسترته السوداء. أجد نفسي أسترق النظر إليه وهو يمسح ملابسه. رجل في أواسط الثلاثينات أعلى تأهيلًا من مستوى الوظيفة التي يشغلها. في وسعه أن يصير محامي شركات، أو محامي دفاع؛ لكن بوصلته الأخلاقية

تجعله يبقى في القطاع العام.

نفرغ من تنظيف نفسينا إلى الحد الممكن. لا يكتفي المدعي العام بيترز بذلك، بل يمسح القهوة التي انسكبت على الأرض ثم يجمع المناديل الورقية الملوثة. يدخل الحمام، ثم يظهر بعد لحظة حاملًا حقيبته فقط.

«اسمعي... أعلم أننا واقفين على جانبين مختلفين في هذه القضية، وأعلم طبيعة وضعك. لا أريد إلا القول لكِ إنني آسف لما تمرّين به، لكني سوف أقوم بعملي». هيئته صارمة تمامًا، وحضوره لا يوحي بأي قدر من التعاطف الذي تحاول كلماته إيصاله إليّ.

«لا أنتظر منك شيئًا أقل من هذا، أيها المدعي العام بيترز».

«جيد. هل أنتِ مستعدة؟».

«في الواقع، أود أن أتكلم معك بشأن ما سيقوله موكلي».

«بالتأكيد». يباعد بين ساقيه قليلًا ويضع يده على خصره. من المفترض أن تكون هذه الوضعية المنفتحة إشارة إلى استعداده لسماع عرضي. لا بد لي من طرح الأمر عليه لأنه هو من يستطيع اتخاذ قرار.

«هل نستطيع استبعاد المطالبة بعقوبة الإعدام بحيث نستبدل بها عقوبة السجن مدى الحياة إذا قال موكلي إنه غير مذنب؟ أنت تعلم مثلما أعلم أن أعضاء هيئة المحلفين يجدون صعوبة كبيرة في الوصول إلى قرار الإدانة عندما تكون عقوبة الإعدام مطروحة؛ ثم إن لدينا نسقًا ثالثًا من الـ DNA. نحن لا نعلم حتى من يمكن أن يكون صاحبه». أبسط يديّ أمامه كأنني أقدم إليه شيئًا.

مكتبة ياسمين

«الأدلة ضد أدم وافرة بصرف النظر عن الـ DNA. أنت تدركين هذا، يا سارة». يشبك ذراعيه على صدره وتتقارب ساقاه كأنه يقول لي: انتهى وقت الصفقات.

أحس نفسي مهزومة. أقول له: «أعلم هذا». إنه محق. بالفعل، لا أهمية لذلك النسق من الـ DNA إذا لم نعرف هوية صاحبه. لقد غثر على كيلي مقتولة في بيتنا، وكان آدم آخر شخص يراها حية. هذا فضلًا عن أن جسدها كله يحمل الـ DNA الخاص به. يضيف بيترز: «ثم إن آدم لم يفلح في اختبار جهاز كشف الكذب».

«صحيح، وقد فشل سكوت أيضًا. تعرف مثلما أعرف أن جهاز الكشف عن الكذب ليس إلا هراء يحاول الظهور بمظهر علم النفس». أنظر إليه مضيّقة عينيّ.

«لا بأس! سوف أقول لك عرضي. إذا قال إنه مذنب، فسوف أخفض العقوبة من خمسة وعشرين عامًا إلى عشرين عامًا من غير إمكانية العفو. لكن هذا العرض صالح مدة خمس دقائق فقط».

«سوف أذهب وأكلم موكلي. أشكرك».

لا يزال آدم مكبّل اليدين واقفًا أمام باب قاعة المحكمة. إليانور غارقة في حديثها معه. لا يمكن أن ينتج عن هذا أي شيء حسن. الحارس قريب منه، لكنه لا يصغي إلى ما يقال. وآن جالسة على المقعد وحدها تنظر حولها من غير هدف.

أقول مقاطعة الحديث بين إليانور وادم: «مرحبًا». تنهض أن سريعًا وتقترب منا.

يسألني كل من ان وادم معًا: «هل أنت على ما يرام؟».

أقول لهما إنني بخير.

تنظر إليّ إليانور من الأعلى إلى الأسفل. تقول لي: «لعل علينا أن نبحث عن شخص آخر يحل محلك!».

«قلت إنني بخير. تحدثت مع المدعي العام بشأن ما سيقوله آدم».

يسألني آدم: «ما معنى هذا؟».

«عرض المدعي العام بيترز أن يطالب بعقوبة الحبس مدة عشرين عامًا من غير إمكانية العفو إن قلت إنك مذنب. هذه صفقة جيدة بالنظر إلى ما هو موجود أمامنا. لا أستطيع أن أملي عليك ما تقوله في المحكمة. لكن من واجبي أن أعرض عليك الأمر».

يقطِّب حاجبيه ويغمض عينيه بضع لحظات. كان ينتظر حدوث معجزة، لكن فترة عشرين عامًا تظل زمنًا طويلًا ليمضيه خلف القضبان. سوف يكون في السادسة والخمسين عند خروجه. لكن هذا أفضل من الخيار الآخر الذي هو الإعدام... إذا وجدته هيئة المحلفين مذنبًا. في ضوء الأدلة الحالية، من المحتمل كثيرًا ألا تجد هيئة المحلفين صعوبة في الوصول إلى قرار يقول إنه مذنب.

تدق إليانور الأرض بقدمها وتقول: «هذه صفقة فظيعة، يا سارة. ابني بريء، عشرون عامًا! سأكون ميتة عندما يخرج من السجن».

أتجاهلها، وأحصر تركيزي بآدم.

ينظر إليّ: «ماذا تقترحين؟».

«بصفتي محاميتك، سأقول لك أن تقبل هذه الصفقة».

«وماذا تقولين بصفتك زوجتي؟».

أفكر لحظة قبل أن أقرر إجابتي. أقول: «بصفتي

مكتبة ياسمين

زوجتك، أقول لك أن تقاتل حتى النهاية».

«هذا ما سوف يكون. قولي له إنني لا أقبل الصفقة».

أسمع في صوته نبرة إيجابية لا أعرف مصدرها، لأن ما من شيء إيجابي في قضيته. أومئ له برأسي فيبتسم لي ابتسامة جزئية وفي عينيه بارقة أمل صغيرة.

يلقي النائب العام بيترز بالتحية علينا جميعًا: «كيف سيكون الأمر؟».

«سيقول موكلي إنه غير مذنب».

تعقد إليانور ذراعيها على صدرها وتقول: «أنت ترتكب غلطة. ابني بريء».

يقول المدعي العام بيترز: «إذًا، لا بأس!» يومئ برأسه ثم يتجاوزنا ويدخل قاعة المحكمة.

ألحق به مع آدم وآن ونجلس إلى طاولة في الناحية اليسرى من القاعة. تتخذ إليانور لنفسها مقعدًا في الصف الأول. آمل أن يظل فمها مطبقًا خلال الجلسة. بل آمل أن يحدث ما هو أفضل من ذلك؛ لعل القاضي يسدي إليّ جميلًا ويتهمها بتحقير المحكمة! تخرج آن من حقيبتها مصنفين وتضعهما على الطاولة أمامي.

يعلن حاجب المحكمة: «لينهض الجميع! المحكمة الآن منعقدة. يرأس الجلسة سعادة القاضي الموقر ديون».

يدخل القاضي ديون ويتخذ مقعده على المنصة. إنه رجل تقدمت به السن له شعر خفيف أبيض ونظارة جاثمة على طرف أنفه. يقلب النظر في بضع أوراق أمامه، ثم يتحول انتباهه إلى المدعي العام بيترز وإليّ.

مكتبة ياسمين

يقول القاضي ديون: «قضية شعب كومنولث فرجينيا ضد آدم مورغان. أرجو من ممثلي الجهتين الإعلان عن حضورهما».

«مدعي عام الكومنولث جوش بيترز حاضرًا عن شعب كومنولث فرجينيا، سعادة القاضي».

«سارة مورغان حاضرة عن آدم مورغان، سعادة القاضي».

يرتفع حاجبا القاضي ديون عندما يسمع مورغان، ثم مورغان. سرعان ما يدرك حقيقة الأمر، فيقول: «أمر لافت! المتهم، من فضلك، اذكر اسمك الكامل أمام المحكمة».

«آدم فرانسيس مورغان».

يوجه القاضي كلامه إلى المدعي العام: «المدعي العام بيترز، من فضلك، اقرأ الاتهامات التي توجهونها إلى المتهم في هذه القضية».

«سعادة القاضي، توجه الولاية إلى آدم مورغان تهمة بجريمة القتل المزدوج من الدرجة الأولى في حق كيلي سامرز وجنينها».

«علمت أن المتهم يعتزم قول إنه غير مذنب في الاتهامات الموجهة إليه. قبل أن أسمع أقوالك، عليك التأكد من أنك تفهم حقوقك الدستورية والقانونية. من حقك أن يكون لك محامٍ يمثلك في هذه الجلسة؛ وأنا أرى أن لديك من يمثلك بالفعل».

يقول آدم: «هذا صحيح، سعادة القاضي».

يتابع القاضي ديون كلامه: «من حقك طلب انعقاد جلسة محكمة أولية في غضون أربعة عشر يوم عمل بعد هذه الجلسة، أو بعد سماع ما تقوله الآن. لديك الحق في محاكمة مستعجلة». سمعت هذه الكلمات من قبل، سمعتها ألف مرة، لكن هذه أول

مرة يسمعها أدم. إنه يصغي بكل انتباه، ولا يزيح عينيه عن القاضي. لا أدرك أن انتباهي قد شرد بعيدًا إلا بعد أن ينهي القاضي كلامه ويسأله: «هل تفهم هذه الحقوق؟».

«أفهمها، سعادة القاضي».

يسألني القاضي ديون: «سيدة مورغان، هل أنت مقتنعة بأنه قد سنح لك الوقت الكافي لمناقشة هذه القضية مع موكلكِ؟ هل حدثتِه عن حقوقه ودفاعاته والنتائج المحتملة لما سيقوله في هذه الجلسة؟ هل أنت مقتنعة بأن موكلك يفهم هذه الحقوق؟».

«نعم، سعادة القاضي».

«سيد مورغان، هل أنت مستعد للإدلاء بأقوالك؟».

«أنا مستعد، سعادة القاضي».

«سيد مورغان، أنت متهم بجريمة القتل المزدوج من الدرجة الأولى. ما قولك في هذا الاتهام؟».

ينهض آدم ويقول: «غير مذنب، سعادة القاضي». يقولها بكل ما في العالم من ثقة.

«تقبل المحكمة قول المتهم إنه غير مذنب. تقرر بدء المحاكمة بعد أسبوعين من الآن، في يوم الاثنين الثاني من شهر نوفمبر. يمكن إطلاق سراح المتهم بكفالة قدرها مليونا دولار».

يقول المدعي العام بيترز: «سعادة القاضي، توصي الولاية بأن يظل آدم مورغان محتجزًا من غير كفالة».

أقف وأقول: «سعادة القاضي، هذا غير معقول».

يظل المدعي العام بيترز مصرًا: «ادم مورغان يواجه عقوبة الإعدام. لديه من الوسائل ما يسمح له بالفرار. نعتقد أن خطر فراره قائم، سعادة القاضي».

أقول: «هذا أول اتهام جنائي من أي نوع في حق

مكتبة ياسمين

موكّلي. وكان موكلي متعاونًا خلال مجرى هذه العملية كلها».

يعلن القاضي ديون قراره: «لقد استمعت إلى ما قاله الطرفان. تقرر أن يكون مبلغ الكفالة مليوني دولار، وسوف يكون آدم مورغان رهن الاعتقال المنزلي خلال فترة المحاكمة».

أقول: «شكرًا، سعادة القاضي».

«انتهت الجلسة». يدق القاضي ديون بمطرقته.

يصافحني المدعي العام بيترز ويقول: «أحسنت صنعًا، لكن عليكِ ألا تراهني على هذا النوع من الحظ خلال المحاكمة».

ينظر آدم إليّ ويسألني: «ماذا سيحدث الآن؟».

«سوف أعمل فورًا على جمع المبلغ، وسوف يضعون على كاحلك سوار مراقبة ويخلون سبيلك بعد ظهر هذا اليوم. عليك أن تبقى في بيت البحيرة طيلة فترة المحاكمة. أخلى الشريف ستيفنز البيت يوم أمس. بالتالي، فهو لم يعد مسرح جريمة يجري التحقيق فيها. ليس مسموحًا لك أن تغادر البيت إلا في التواريخ المحددة لجلسات المحاكمة. إذا خرقت شروط الكفالة بأن تتخلف عن حضور جلسات المحكمة أو بأن تغادر بيت البحيرة، فسوف يعيدونك إلى السجن، هل تفهم هذا؟».

«أفهم». مدّ يديه إلى الحارس كي يقيده من جديد.

«سوف أذهب وأتكلم مع الشريف ستيفنز. أراك بعد الظهر في بيت البحيرة. سوف يأخذك شرطي إلى بيتك».

«لا بأس! شكرًا، يا سارة!».

تجمع ان أوراقنا، وتتبعني. أمرّ بإليانور فتومئ لي برأسها وتمنحني ابتسامة مسرورة. هذه أول مرة

مكتبة ياسمين

أتلقى فيها واحدة من ابتساماتها. أجيبها بابتسامة صغيرة.

الشريف ستيفنز ينتظر في آخر قاعة المحكمة وفي يده مصنّفان محشوان أوراقًا.

يقول لي: «مرحبًا، يا سارة!». يبذل أقصى جهده كي يبدو مثل جيمس دين في فيلم «متمرد من غير قضية». إنه مستند إلى الجدار، يميل برأسه قليلًا ويضيّق عينيه.

«أيها الشريف ستيفنز، هذه مساعدتي آن. آن، هذا هو الشريف ستيفنز». يتصافح الاثنان ويتبادلان التحية.

«أتت نتائج تحليل الويسكي، وجدوا فيه مادة روهيبنول. لقد اختبرنا الدم الذي أخذناه من آدم ليلة اعتقاله. لا وجود للروهيبنول في دمه».

أقول له: «هذا لا معنى له. إن كان يشرب الويسكي هو أيضًا، فينبغي أن يكون الروهيبنول موجودًا في دمه».

يقول الشريف ستيفنز مقترحًا: «لعله لم يكن يشرب من تلك الزجاجة نفسها. آسف، ليست لديّ أنباء أفضل».

«وماذا عن نسق الـ DNA الثالث؟ هل تمكنت من العثور على ما يطابقه في قاعدة البيانات الجنائية؟».

«للأسف، لم نجد شيئًا. لا نزال نبحث في هذا الأمر. حصلنا على سجلات الهاتف». يناولني المصنّفين، «رسائلها مطبوعة هنا أيضًا».

تتناول آن المصنّفين مني وتضعهما في حقيبتها. «هل سنحت لك فرصة قراءة هذه السجلات؟ هل وجدت فيها أي شيء غير طبيعي؟».

مكتبة ياسمين

«الرسائل الواردة من الرقم الذي يبدو أنه رقم الرجل الآخر الذي كانت تراه، آتية من رقم غير مسجّل».

«هل يعني هذا أنه هاتف من تلك الهواتف التي تستخدم مرة واحدة؟».

«بالضبط. مهما يكن ذلك الشخص، فهو لم يكن راغبًا في أن يعلم أحد أن له صلة بكيلي. لعله الشخص الذي ارتكب هذه الجريمة، أو لعله متزوج بدوره».

«هل نستطيع العثور على أي شيء يخص ذلك الرقم الهاتفي؟».

«في هذه اللحظة، لا أرى سبيلًا إلى ذلك. قد تعطينا قراءة الرسائل بمزيد من التدقيق ما يدلنا على هوية هذا الشخص. لكن الرسائل المتبادلة بينهما قليلة. على أية حال، بما أن الاتهام قد وُجه رسميًا في المحكمة، فقد صارت هذه القضية مغلقة بالنسبة إلينا. أستطيع موافاتكِ بأي معلومات تلزمكِ مما هو متوفر لدينا. لكني غير قادر على تخصيص مزيد من الموارد لهذه القضية».

«وماذا عن سكوت؟ هل تحرّيتم أمره؟».

«تحرينا أمره. لديه من يثبت مكان وجوده ليلة مقتل كيلي».

«من هو؟».

يقول الشريف ستيفنز: «إنه الشرطي ماركوس هدسون».

«هل كانا يعملان معًا تلك الليلة؟». أنقر الأرض بقدمي لشدة ضيقي من هذه المعلومات التي تصلني.

«لا، كانا يسهران معًا في بيت سكوت».

أقول ساخرة: «تمامًا! وماذا عن الصورة التي حملت رسالة التهديد؟».

«استخرجنا البصمات التي عليها وقارناها بما لدينا في قاعة البيانات الجنائية فلم نعثر على شيء مطابق لها. لذا، كل ما يعنيه هذا هو أن الشخص الذي أرسل الصورة ليس مجرمًا... حتى الآن». يقول الشريف ستيفنز ويرفع حاجبيه.

تسقط حقيبة آن القماش على الأرض مصدرة صوتًا عاليًا ويتناثر كل ما فيها. تنحني سريعًا وتبدأ جمع الأوراق. تقول: «آسفة». أنحني مع الشريف ستيفنز كي نساعدها.

ثمة أمر غير مفهوم. ثمة أمر مريب. لا وجود للروهيبنول في دم آدم مع أنه كان موجودًا في الزجاجة، ونسيت الشرطة حتى أن تتحقق من هذا الأمر. الشرطي هدسون هو من يثبت وجود سكوت في غير مكان الجريمة لكنهما كانا يسهران في بيت سكوت طيلة تلك الليلة من غير أن يكون هناك أي شاهد آخر. هل هذا التواء في عمل الشرطة أم أن أمرًا أكثر شؤمًا يحدث هنا؟

ننهض كلنا واقفين بعد أن تفرغ آن من إعادة الأوراق إلى حقيبتها القماش.

يقول لي: «اتصلي بي إذا كنت في حاجة إلى أي شيء. سوف آخذ آدم إلى بيت البحيرة بعد ظهر اليوم. قد أراك هناك».

«نعم، قد أكون هناك».

يخرج من باب مبنى المحكمة. ألتفت إلى آن فأراها تعلق حقيبتها على كتفها.

تسألني: «هل صرنا وحدنا الآن؟».

«هذا ما يبدو لي».

«إذًا، هل تريدين مني استئجار تحرٍّ خاص من أجل هذه القضية؟».

«لا. أظن أننا نستطيع تدبر الأمر. لدينا أسبوعان كي نستعد للجلسة الأولى. أريد أن تعودي إلى المكتب وتبدأي قراءة تلك الرسائل النصية. قارنيها بما سيرسله ماثيو كي تتأكدي من التطابق بين النسختين. سأعود صباح الغد. من فضلك، اتصلي بي إذا وجدت شيئًا».

«سأفعل هذا». تومئ برأسها وتنطلق خارجة.

لا أستطيع الآن استئجار تحرٍّ خاص. عليّ أن أجمع مبلغ كفالة آدم. وأنا غير قادرة على استخدام أموال الشركة لاستئجار تحرٍّ. ستكون هذه نفقات كبيرة جدًا تلفت الأنظار. أنا واثقة من أن إليانور مستعدة لدفع المال، لكني لا أريد حتى أن أمنحها ذلك الانتصار الصغير. لقد بالغت كثيرًا في إقحام نفسها، وسوف ينتهي بها الأمر إلى تعريض القضية كلها للخطر. لا بد لي من معالجة الأمر بنفسي.

28

آدم مورغان

يسير الشريف ستيفنز معي من السيارة إلى بيت البحيرة. ندخل البيت. يشرح لي كم يجوز أن أبتعد عن البيت... ليس أكثر من عشرين ياردة في الاتجاهات كلها. تأتي أمي بسيارتها المستأجرة من نوع كاديلاك وتوقفها عند البيت. كانت حريصة على أن تسير على مسافة قريبة خلفنا طيلة الطريق فتتجاوز الأضواء الحمراء ولا تتوقف عند إشارات التوقف إلا لحظة واحدة كأنها تشارك في مطاردة سيارات سريعة.

تنظر أمي إلى بيت البحيرة وتقول: «هذا جميل».

يقول لي الشريف ستيفنز: «فلنزوّدك الآن بسوار الكاحل. وسوف أضع جهاز الإرسال داخل البيت».

أتقدمه في دخولي إلى البيت. يضع الشريف صندوقًا أسود في البيت ويطلب مني أن أجلس على الأريكة. يتقدم مني ويجثو إلى جانبي. يرفع ساق بنطلوني ويثبت من حول كاحلي سوارًا. تجول عينا أمي في البيت. ثم تستقران عليّ. يتجهم وجهها لرؤية سوار الكاحل.

تسألني: «هل لديك نبيذ هنا، يا آدم؟».

«النبيذ موجود، يا أمي. سوف تجدينه في المطبخ». تتصرف أمي كأنها في بيتها فتصب لنفسها كأسًا كبيرة من النبيذ الأحمر وتنظر في خزائن المطبخ. تذهب إلى البراد وتخرج منه جبنًا ولحمًا مقددًا، ثم تقطعهما إلى شرائح.

«هذا السوار مقاوم للماء. لا مشكلة في أن تستحم. إذا خلعته من ساقك أو غادرت البيت، فسوف نعلم بذلك. إن لديك بيتًا جميلًا... لذا، ابق فيه ولا

مكتبة ياسمين

تغادره».

«لا بأس!». أقول هذا وأنزل ساق بنطلوني. ينهض الشريف واقفًا ويسير خطوتين في اتجاه غرفة المعيشة. ينظر من حوله.

أسأله: «أهناك أي أمر آخر ينبغي أن أعلمه؟».

«لا. هذا كل شيء. هل حدثتك كيلي يومًا عن الرجل الآخر الذي كانت تقابله؟».

«لم أكن أعلم أنها تقابل شخصًا آخر».

ينفخ بفمه ويتجه إلى رف الكتب على الجدار. يقرأ ما هو مكتوب على كعوب الكتب ويسحب كتابًا من هنا وكتابًا من هناك، عشوائيًا. أنظر في المطبخ فأرى أمي تملأ كأس النبيذ مرة ثانية.

يسألني الشريف: «ألم تكن تشعر أبدًا أن هناك شخصًا آخر؟».

«لا».

«ألم يزلّ لسانها يومًا وتذكر اسم رجل آخر، أو أي شيء من هذا القبيل؟».

«لا. مثلما قلت لك، لم يكن لديّ علم بأنها ترى شخصًا آخر». ثمة مسحة ضيق في صوتي.

«انظرا هذه مأكولات خفيفة من أجلك، يا حبيبي!» تضع أمي على الطاولة صحنًا فيه جبن ولحم مقدد وبسكويت مالح. يضع الشريف ستيفنز في فمه قطعة لحم مقدد في حين تقف أمي خلفه حاملة كأس النبيذ.

«هل ستعملون على العثور على المجرم الحقيقي المسؤول عن هذه الجريمة، أيها الشريف ستيفنز؟» تتناول أمي رشفة نبيذ وترفع حاجبيها.

يسعل الشريف بطريقة تنم عن حرجه.

ينفتح باب البيت، ثم يغلق بقوة. صوت حذاء

سارة على خشب الأرضية القاسي. تقول للشريف ستيفنز: «مرحبًا! ألا تزال هنا؟».

«الحقيقة أنني كنت أهمَ بالانصراف». يبتعد عن رف الكتب ويسير خطوة في اتجاه باب البيت.

تقول أمي: «لديه مجرم ينبغي أن يلقي القبض عليه. أليس هذا صحيحًا، أيها الشريف؟».

تغمغم سارة بشيء لنفسها، لكنها تبدو خائبة الأمل لأنه ذاهب. لماذا تريد بقاءه؟ هل تحاول الحصول منه على مزيد من المعلومات من أجل القضية أم أن ثمة أمرًا آخر بينهما؟

يتنحنح الشريف ستيفنز: «أستطيع البقاء بضع دقائق أخرى إذا أردتِ بقائي».

«عظيم! دعني أعدُّ لك فنجان قهوة». تقول سارة وتتجه صوب المطبخ.

تتناول أمي جرعة من نبيذها وتقول: «هل هذه فكرة حسنة؟ لا يجوز أن نلهيه عن عمله».

لا يلتفت أحد منهما، ولا ألتفت أنا، إلى ما قالته أمي. ثمة أمر غير سليم. لماذا تعرض عليه القهوة؟ لماذا يحس نفسه مرتاحًا في بيتي؟ لماذا أتت سارة؟ هل أتت كي تراني أم كي ترى الشريف ستيفنز؟ هل هي مهتمة به؟ هل هو مهتم بها؟ الحقيقة أنني لست في موقع يسمح لي بأن أشعر بسخطٍ أو غضب، لكن ثمة ما هو غير طبيعي أبدًا. على أية حال، آخر ما يلزمني الآن، هو أن أزيد سارة بعدًا عني أكثر مما فعلت. هذا الأمر عليه أن ينتظر إلى وقت لاحق.

تتنقل سارة في المطبخ وتعدُّ ركوة قهوة. تتناول فنجانين. تفتح عدة خزائن لأن من الواضح أنها لم تألف هذا البيت. الشريف ستيفنز مستند إلى طاولة

مكتبة ياسمين

المطبخ. أراقب كيف يراقبها. عيناه تجوسان جسدها صعودًا ونزولًا.

أنهض واقفًا وأسير إلى المطبخ. أقف إلى جواره تمامًا. أنفخ صدري وأنصب قامتي. أسألها: «هل لي بفنجان من القهوة أيضًا؟».

تلتف سارة في اتجاهي. تنظر إليّ. تومئ برأسها، لكنها تبدو كأنها تقول لي: «اصنع قهوتك بنفسك!». تتناول من الخزانة فنجانًا آخر. لعلها حريصة على الأدب لأن الشريف ستيفنز هنا! لا تريد أن تكون لها أية صلة بي. أنا واثق من أنها تتمنى لو أنني بقيت أتعفن في زنزانتي خلال فترة المحاكمة.

يتحدث الشريف ستيفنز وسارة عن تفاصيل القضية. تسأله عن الشهود الذين استمع إلى إفاداتهم. فيبدو لي أنه استمع إلى إفادة كل من عملت معهم كيلي، فضلًا عن سكوت.

تسأله سارة: «هل كنت على معرفة بزوجها الأول؟».

يقول الشريف ستيفنز: «فيما مضى، سمعت شيئًا عن الأمر».

أتدخل في حديثهما: «ماذا سمعت؟».

يرميني بنظرة كأنها تقول: «لماذا تكلمني؟».

يقول ستيفنز: «سمعت أنه مات مقتولًا».

تقول سارة وفي صوتها قدر من الحدة: «صحيح... هي من قتلته».

«ماذا؟». يفتح الشريف ستيفنز عينيه على اتساعهما.

تسأله سارة: «كان ذلك مسجلًا في ملفها. تداعت القضية المرفوعة ضدها في أثناء المحاكمة نتيجة اختفاء بعض الأدلة المهمة. ألم تسمع بالأمر من

مكتبة ياسمين

خلال ذلك الملف؟». تصب ثلاثة فناجين، تناولني واحدًا منها، وتناول الشريف ستيفنز واحدًا آخر.

تصيح أمي من غرفة المعيشة: «إذا كانت قد قتلت زوجها الأول؛ وإذا افترضنا أن آدم قتلها، فهل تعتبر هذه جريمة؟ أليست اقتصاصًا من الجريمة الأولى، أو شيئًا من هذا القبيل؟». واضح أن النبيذ قد بدأ يلعب بعقلها.

ترميها سارة بنظرة استهجان. تقول لها: «هذه جريمة، يا إليانور. قتل إنسان يعتبر جريمة».

تشهق أمي: «ينبغي أن يوجد هنا من يطرح الأسئلة الصعبة». تبتلع جرعة نبيذ صغيرة.

يتناول الشريف ستيفنز رشفة سريعة من فنجانه، ثم يضرب طاولة المطبخ بقبضة يده. يقول متألمًا: «اللعنة... أووووف!».

أضحك وأقول: «نعم... إنها قهوة حارة». هذا الرجل غبي. ينظر إليّ نظرة قذرة. تسرع سارة إلى إسعافه بكأس ماء بارد. يشرب الكأس كلها دفعة واحدة، ثم يشكرها.

يقول لها: «لا بأس الآن، من الأفضل أن أذهب. لا حاجة لمرافقتي إلى الباب». يودعنا ويخرج مسرعًا بعض الشيء. أظل مع سارة واقفين في المطبخ، متقابلين، في يد كل منا فنجان قهوة. ينظر كل منا إلى الآخر. تحاول قراءة ما في ذهني، وأحاول قراءة ما في ذهنها. هل ثمة أمر بينها وبين الشريف ستيفنز؟ لماذا كان انصرافه مفاجئًا؟ هل انتبه إلى أنني لست غافلًا عمّا يجري؟ هل بينهما علاقة غرامية؟ إن كانت بينهما علاقة غرامية، فهل لي حق في أن أغضب؟ بالطبع! من حقي أن أغضب. هي لا تزال زوجتي؛ وهي محاميتي. ينبغي أن يكون تركيزها كله منصبًا على قضيتي، لا على شريف

شرطة تافه. تضع فنجان القهوة على الطاولة، وتصير نظرة عينيها بعيدة من غير أن تستقر على شيء.

«ينبغي أن أذهب». تقول هذا على نحو مفاجئ كأنها عادت إلى الواقع، عادت من غيبتها.

«ألا تستطيعين البقاء؟».

«لا». تضع فنجان القهوة في المجلى، ثم تغادر البيت من غير أية كلمة أخرى.

تقول أمي وهي تعيد ملء كأسها: «انتهينا منها! ظننتها لن تذهب أبدًا».

«لم تبقَ هنا إلا خمس دقائق!». أهز رأسي وأسكب لنفسي كأسًا من الويسكي. أجلس على الأريكة. «من فضلكِ، ألا تستطيعين محاولة إلقاء سيفكِ، يا ماما؟ سارة زوجتي، وهي تدافع عني في هذه القضية. عليكِ أن تحاولي الانسجام معها».

تجلس أمي على الكنبة وتعانق كأس النبيذ بيديها الاثنتين، «أظنني أستطيع المحاولة».

مكتبة ياسمين

29

سارة مورغان

أوقف سيارتي خارج مقهى سيث وأنظر فأرى بضعة أشخاص يدخلونه ويخرجون منه. لا بد أن يوجد هنا من رأى كيلي مع شخص آخر غير آدم وغير زوجها سكوت. من عساه يكون صاحب نسق الـ DNA الثالث؟ لعله يكون شخصًا لديه سبب يجعله راغبًا في البقاء مختفيًا. لو لم يكن الأمر هكذا، فما تفسير خط الهاتف غير المسجّل؟ أخرج من السيارة وأحمل حقيبتي القماش. بقيت ساعة واحدة قبل أن يغلق المقهى أبوابه. لذا، لا بد أن أكون سريعة في إنجاز هذه المهمة.

أدخل المقهى وأنظر في أرجائه وأحرص على ألّا تفوتني ملاحظة أي شيء أو أي شخص. المقهى صغير، كله قطع أثاث وديكورات صاخبة الألوان. لا تناسق فيه، لكنه متناسق رغم ذلك... ترتيب ناجح! طاولات متنوعة من الخشب، وكراسٍ متعددة الألوان مصنوعة من مواد مختلفة؛ بلاستيك وخشب ومعدن. ثمة أريكة برتقالية اللون أمامها طاولة صغيرة ومقعدين جلديين أبيضين؛ واحد من هذه الناحية وواحد من تلك. تشكل كلها ركنًا مريحًا دافئًا.

رجل في أواسط العمر يجلس على الأريكة. تتجول عيناه هنا وهناك، من لابتوبه إلى بقية الزبائن، ثم إليّ، ثم إلى اللابتوب مرة أخرى. امرأة تجلس إلى طاولة وحدها تقرأ كتابًا، لا ترفع رأسها لأن انتباهها كله متركز على الكتاب الذي لا يبعد عن وجهها أكثر من عشرة سنتيمترات. موسيقى كلاسيكية ناعمة. النادلة الوحيدة متكئة على طاولة البيع تعبث

بأظافرها. إنها شابة سوداء لها شعر طويل متموج وعينان بنيتان واسعتان. أظنها في مثل عمر كيلي، لعلهما كانتا صديقتين!

تلاحظ النادلة وجودي فتنتصب قامتها. تلقي عليّ التحية. بطاقة على صدرها تقول إن اسمها برندا.

«مرحبًا! سآخذ فنجان قهوة صغيرًا من غير إضافات». أخرج محفظة نقودي.

«هل لي بمعرفة اسمكِ؟».

«سارة». تكتب اسمي على الفنجان وتنقر على أزرار آلة المحاسبة. أفتح محفظتي، وأناولها النقود.

تقول لي مع ابتسامة: «شكرًا. سأحضِر القهوة على الفور».

«اسمكِ برندا، أليس كذلك؟».

«صحيح».

«اسمعي... أنا هنا لما هو أكثر من تناول القهوة».

«هل أنتِ هنا من أجل كيلي؟».

أقول: «الحقيقة أن هذا صحيح». يفاجئني قليلًا أنها أدركت الأمر. لا بد أن ملابسي، التنورة والقميص المتناسبَين، هي ما أوحى لها بأنني هنا لما يتجاوز تناول فنجان قهوة عابر.

«في وقت سابق من هذا اليوم، كانت لدينا مراسلة صحفية سألتني عنها. مع أية صحيفة تعملين؟».

أفكر في القول لها إنني محامية، لكني أقرر أن من الممكن أن أحصل منها على معلومات أفضل إذا كنت مجرد مراسلة صحفية لا محامية دفاع عن الرجل المتهم بقتل زميلتها، أو صديقتها.

«أعمل لصالح صحيفة غينسفيل تايمز. اسمي سارة سميث». أمد يدي كي أصافحها، فتستجيب وتمد يدها.

أسألها: «هل لديك لحظة كي نتكلم؟».

«عليّ أن أبدأ تنظيف المكان بعد خمس عشرة دقيقة. نتكلم... إذا كان كلامنا سريعًا. سوف أُعِدّ لك قهوتك والتقيك عند طاولتك».

أومئ برأسي وأسير إلى طاولة خالية قريبة من النافذة. أجلس إليها. بعد لحظات من ذلك، تأتي برندا حاملة فنجاني قهوة، وتنضم إليّ. تجلس قبالتي وتسألني: «ماذا تريدين أن تعرفي؟».

أكثر من أتحدث إليهم مجرمون أو شهود، وعادة لا يكون كلامهم واضحًا أو مباشرًا. يفاجئني سلوكها، لكني أذكّر نفسي بأنها تظنني مراسلة صحفية. أضع أوراقي وقلمي على الطاولة.

«هل كنتِ على معرفة جيدة بكيلي؟».

«بالطبع! عملنا هنا معًا منذ أكثر من سنة وستة أشهر. أظنني أعرفها من هذه الناحية، لكني لا أعرف الكثير عن حياتها البيتية». تقول هذا وتتناول رشفة من قهوتها. أدوّن على الورق بضع ملاحظات.

«هل حدث أن رأيتِ كيلي تمضي الوقت مع أي رجال هنا؟».

«نعم. كان زوجها يأتي أحيانًا، وكان يأتي أيضًا ذلك الشخص الذي اسمه آدم، الذي ظهر في الأخبار. كان يكثر المجيء إلى المقهى، وكان يبدو لي أن بينهما مودة تتجاوز الحدود المعتادة. أظنني كنت محققة في هذا الأمر».

«صحيح... هل من رجال آخرين؟».

«لا... في الحقيقة، لا».

«هل قالت لك أي شيء عن سكوت أو ادم؟».

«كلما سألتها عن ادم الذي كنت أسميه الكاتب الظريف تقول لي إنه مجرد واحد ممن يرتادون

المقهى كثيرًا».

«هل كان لديها غيره ممن يرتادون المقهى كثيرًا؟».

«الحقيقة، آدم... أظنه لم يكن مجرد شخص يرتاد المقهى كثيرًا». تقول هذا وتطلق ضحكة صغيرة. أرغم نفسي على الضحك كي يصير الجو أخف وطأة، كي أساعد نفسي.

«كان هناك رجل آخر. لم تقع عيناي عليه منذ بضعة أيام. لكن، عندما تكون كيلي هنا، يكون هنا». تقول هذا من غير مبالاة، وتتناول رشفة أخرى من فنجانها، «هل تظنين أن له علاقة بالأمر؟».

«لا أدري. أنا أحاول الحصول على معلومات، لا أكثر. قلتِ لي إنه كان هنا دائمًا. ماذا يفعل عندما يكون هنا؟».

«يقرأ أو يرسم، معظم الأحيان».

«هل كنتِ ترين هذا أمرًا غريبًا أم تظنين أن اقتصار وجوده على فترات عمل كيلي كان مصادفة، لا أكثر؟».

«كان يسألني عن أوقات عملها هنا، ثم اعتاد تلك الأوقات فكفَّ عن السؤال. الظاهر أنه حفظ جدول عملها عن ظهر قلب. كان يجلس وينظر إليها دائمًا. وكانت كيلي تقول إن هذا يزعجها. كانت ترجوني أن أتولى خدمة طاولته».

«هل تستطيعين أن تصفي لي هذا الرجل، وهل تعرفين اسمه؟».

«أستطيع فعل ما هو أفضل من هذا». تنهض عن الطاولة وتذهب إلى آلة المحاسبة. تعود بعد لحظة تحمل وصلًا ماليًا.

تضع برندا الوصل أمامي. «اسمه جيس هوك. هذه نسخة عن فاتورته قبل بضعة أيام».

«هل أستطيع الاحتفاظ بها؟».

«إنها من أجلك. هل تريدين معرفة اسم عائلتي من أجل مقالتك؟»

أضع الوصل في حقيبتي وأقول: «بالتأكيد».

«اسمي برندا جينسون».

«ممتاز! لقد كان كلامي معك مفيدًا جدًا». أقول هذا وأبدأ في جمع حوائجي.

«إذا كنتِ في حاجة إلى أية معلومات أخرى من أجل مقالتكِ، فأنتِ تعلمين أين تستطيعين العثور عليّ». ألوِّح لها بيدي مودعة، وأخرج من المقهى بخطوات سريعة، وأعود إلى سيارتي.

جيس هوك! من أنت؟ هل أنت صاحب نسق الـ DNA الثالث؟ هل أنتَ الرجل الذي نبحث عنه؟

قبل أن أنطلق بالسيارة، أكتب رسالة نصية لآن:

مرحبًا، اريد أن تجري بحثًا عن شخص اسمه جيس هوك. ينبغي أن يكون مقيمًا في مكان ما في منطقة مقاطعة برنس ويليام.

أبعث بالرسالة فتأتيني إجابة آن بعد لحظات: إصبع إبهام مرفوع.

مكتبة ياسمين

30

آدم مورغان

لا أزال أحسّ انزعاجًا لما جرى عليه الأمر الليلة الماضية مع سارة والشريف ستيفنز. لقد انصرف سريعًا، ثم انصرفت بعده. ما الذي كانا في عجلة من أمرهما كي يفعلاه؟ هل ذهبا كي يتقابلا؟ عليّ أن أكف عن هذا التفكير. لقد استغرق الأمر أفكاري كلها إلى أن داهمني النعاس، ثم استغرق أحلامي أيضًا. حلمت أن بين سارة والشريف ستيفنز علاقة غرامية، وأنه يضاجعها في المعقد الخلفي في سيارة الشرطة. لكن سارة لا يمكن أن تفعل هذا، ليست من ذلك النوع من الفتيات. على الأقل، لا أظنها من ذلك النوع. تعود ذكرياتي إلى ليلة لقائنا الأولى في ذلك القبو القديم الرطب في الكلية. كانت ضجِرة وسط حفلة مجنونة، كانت غير مهتمة بالشراب، ولا بتجربة المخدرات، وكانت كأنها غير مهتمة بي. لم يكن يعنيها ما يظنه الناس بها. كانت على طبيعتها فحسب. والآن، إنها سارة مورغان، أهم محامية دفاع. أين ذهبت تلك المرأة التي وقعت في هواها؟ ماذا أصاب المرأة التي تزوجتها؟ صرت الآن أراها غريبة عني، وأنا واثق من أنها ستقول عني مثل ذلك.

هل انتهى زواجنا؟ هل نفضت يدها مني؟ أعلم أنني أقمت علاقة غرامية خارج الزواج، لكن مضاجعتي امرأة غير زوجتي لا يعني أنني توقفت عن حبها. آه، يا ربي! ما هذا الذي أقول؟ من الذي أحاول إقناعه بأنني لا أزال شخصًا صالحًا؟ أعلم أنني لست كذلك. ومن الواضح أيضًا أن الناس جميعًا يعلمون أنني لست كذلك، بمن فيهم زوجتي.

مكتبة ياسمين

أنهض عن الأريكة، وأربط حزام روب المنزل الذي أرتديه فوق بنطلون البيجاما والتي شيرت الأبيض. لا أستطيع تذكر حتى أنني خلعت ملابسي وارتديت البيجاما. أتساءل لحظة إن كانت أمي قد غيرت لي ملابسي. أعلم أنها فعلت ذلك، وهذا يزعجني. على الفور، تغزو أنفي رائحة اللحم. أمي تقف في المطبخ أمام المجلى، تغسل الأواني.

«أرى أنك استيقظت، يا حبيبي. لديك هنا صحن من اللحم والبيض والخبز المحمّص والبطاطس مع البصل، إنه على الطاولة. حضرت لك مأكولات الإفطار التي تعجبك». تبتسم لي، وتشير إلى الصحن.

أدخل المطبخ بخطوات بطيئة. أغرس شوكتي في الطعام، وأحمله إلى فمي. لم آكل في السجن طعامًا مثل هذا.

«سوف أذهب اليوم كي أتسوق. وعليّ أن أعثر على فندق قريب من هذا المكان». تبتعد عن المجلى وتجفّف يديها، «بقدر ما أحب أن أظل معك هنا، بقدر ما تزعجني هذه الكنبة التي لديكم. أنا واثقة من أنني سأذهب اليوم لرؤية طبيب المفاصل بسبب هذه الكنبة». تدعك ظهرها بيدها، ثم تضع أمامي فنجان قهوة.

أتناول لقمة من الخبز المحمّص. أقول لها: «من الممكن أن تستمر هذه المحاكمة زمنًا طويلًا. في وسعك أن تعودي إلى كونكتيكت، يا ماما».

«هذا كلام لا معنى له. أنت ابني، وينبغي أن تكون هذه المحاكمة سريعة لأنك بريء. سنحرص على أن تعمل سارة على جعل هذا الأمر ينتهي سريعًا». تومئ لي برأسها محاولة تشجيعي.

تحمل حقيبة يدها وتضع قدميها في حذائها. «إذا

أردت شيئًا، فما عليك إلا أن تتصل بي. سأعود في وقت لاحق من هذه الليلة». تقول هذا وتطبع قبلة على خدي، «أحبك، يا دبدوبي».

«وأنا أحبك، يا ماما».

تجاوزت الساعة الحادية عشرة قبل الظهر، وأنا لا أعرف حتى ما أفعله بنفسي الآن. أحس نفسي وحيدًا مع أن أمي لم تذهب إلا منذ ساعتين فقط. أجفل عندما أسمع طرقًا على باب البيت. أنظر فأرى امرأة قصيرة القامة شعرها أحمر كالنار وعيناها كستنائيتان، نمش كثير على وجهها كله. حقيبة لابتوب معلقة على كتفها. أحس أنني أعرفها، لكني لا أعرفها. أقرر أن أفتح الباب على أية حال.

«مرحبًا! هل أنت آدم مورغان؟». تنظر إليّ من الأعلى إلى الأسفل؛ تستعرض مظهري غير المعتنى به.

أقول لها: «بحسب هوية من يسألني». لكني أعلم جيدًا أنني غير مهتم بمن يسألني. في هذه اللحظة، أنا مستعد للحديث مع أي إنسان تقريبًا، مع أي إنسان مستعد أن يصغي إليّ.

«اسمي ريبيكا ستانفورد. أنا مراسلة لدى صحيفة برنس ويليام تايمز».

«محاميتي لا تريد أن أكلم أي مراسلين صحفيين. آسف». أهمّ بإغلاق الباب.

تضع قدمها أمام الباب فتمنعني من إغلاقه. «أعلم هذا، يا سيد مورغان. أنا شديدة الإعجاب بأعمالك، ولديّ رغبة حقيقة في الاستماع إلى القصة من وجهة نظرك أنت».

«هل قرأت أي واحد من كتبي؟».

تومئ برأسها وتقول: «الحقيقة أنني حضرت

مكتبة ياسمين

دروس الكتابة الروائية التي كنت تلقيها في الجامعة المحلية منذ سنة مضت».

بعد شرائنا بيت البحيرة هذا، ظلب مني إلقاء دروس في الكتابة لدى الجامعة المحلية. كدت أرفض ذلك، لكني رأيت أن التدريس يمكن أن يكون مهنة جيدة أستعين بها لأن عملي في الكتابة كان متعثرًا. لكني لم أنهِ إلا فصلًا دراسيًا واحدًا عدت بعده إلى الكتابة التي شغلت وقتي كاملًا. انتهى بي الأمر إلى كره التدريس كله لشدة انزعاجي من معظم الطلبة ومن قلة اهتمامهم. فضلًا عن ذلك، وفي أكثر الأحيان، كانت كتاباتهم فظيعة تشق عليّ قراءتها.

أقول لها مع أنني غير مقتنع تمامًا بما أسمعه منها: «يبدو لي وجهكِ مألوفًا».

أنظر في كل اتجاه، يمينًا ويسارًا، وأنظر أمامي كي أتأكد من أنّ ما من أحد يراني حتى أسمح لها بدخول البيت. أغلب الظن أن سارة لديها من يراقبني. أقول للفتاة: «لا بأس! ادخلي!». أشير لها بيدي فتسير خلفي. «إذًا، أنتِ مراسلة صحفية. لا بد أن دروسي كانت مفيدة لكِ». أقول هذا وأطلق ضحكة صغيرة.

تضحك ضحكة صغيرة مثل ضحكتي.

أطلب منها أن تجلس إلى طاولة المطبخ فتجلس. تخرج دفتر ملاحظات وقلمًا. تدخل في الموضوع مباشرة وتسألني: «منذ متى بدأت علاقتك مع كيلي سامرز؟».

قررتُ منذ الآن أن عليها أن تساعدني إذا كانت تريد أن تحصل مني على قصة صحفية. لا أستطيع فعل ما هو أكثر من ذلك انطلاقًا من بيت البحيرة البعيد عن كل شيء. أقول: «انظري... سوف أمنحك

مكتبة ياسمين

مقابلة، لكني أريد شيئًا بالمقابل». لست واثقًا من أنني أستطيع أن أضع ثقتي في هذه الفتاة، فقد يتبين لي أن الفكرة كلها سيئة جدًا، لكني يائس، وعندما يكون الإنسان يائسًا، فـ...

«كيف أساعدك؟ هل تريد الفرار؟ لا أستطيع فعل هذا». تعيد غطاء قلمها كأنها صرفت النظر عن إجراء هذه المقابلة.

«لا. لست في حاجة إلى مساعدتك كي أفرَ. أريد أن تساعديني في الحصول على بعض المعلومات عن ماضي كيلي. أظن أن أحدهم قد أوقع بي. شخص آخر قتلها ثم جعل الشكوك تتجه إليّ. أظن أن هذا الأمر لا بد أن تكون له صلة بماضيها».

تنزع غطاء قلمها وتبدأ تدوين ملاحظاتها. تسألني: «لماذا تظن أن القاتل كان شخصًا من ماضيها؟».

أسكب لها فنجان قهوة، ثم أضعه أمامها. أجيبها: «لأنها قتلت زوجها الأول».

تتسع عينا ريبيكا دهشة وتدوّن سريعًا ما قلته لها. «لكن، كيف لم تتطرق أية صحيفة إلى ذكر هذا الأمر؟».

«لأنها غيّرت اسمها، ثم تزوجت. يستطيع المرء تغيير أوراقه. كان اسمها جينا واي. سقطت القضية المقامة ضدها في أثناء المحاكمة بعد اختفاء بعض الأدلة الرئيسية. أظن أن زوجها سكوت سامرز كانت له يد في هذا الأمر. كان الجميع مقتنعًا بأنها ارتكبت تلك الجريمة، لكنها أفلتت منها نتيجة أمور إجرائية».

«هذا فظيع!». تتناول ريبيكا رشفة من فنجانها. تحدق عيناها في البعيد وتتغضن جبهتها فأرى أنها تفكر في هذا الكلام، «من يمكن أن يريد إيذاءها؟».

«أظن أنه واحد من أقارب زوجها الأول، أو واحد من أصدقائه، شخص لم يسره إفلاتها من العقوبة بعد تلك الجريمة. لقد قُتلت بطريقة تشبه طريقة قتلها زوجها الأول... كأن ذلك إحقاق شعري للعدل في نظر من قتلها».

«وماذا عن زوجها؟ سمعت في البلدة إشاعات تقول إنه قد يكون على صلة بالأمر».

«هذا ما ظننته أيضًا. وأظن أن هذا الاحتمال لا يزال قائمًا. في أثناء علاقتي بها، قالت لي إنه كان يسيء إليها، لكنه ينكر هذا إنكارًا تامًا. الحقيقة أنني لست واثقًا مما أستطيع تصديقه، لكن الظاهر أن لديه مشكلة من حيث قدرته على ضبط غضبه، وقد كان لديه شك في أن كيلي تخونه. لذا، ينبغي التفكير فيه. هذا مع أن الشخص الذي شهد على وجوده في مكان آخر تلك الليلة كان زميله في العمل، الشرطي ماركوس هدسون. على الرغم من ذلك، ثمة شيء في داخلي يقول لي إن عليّ أن أبحث في ماضيها».

«فهمت هذا». تضع ريبيكا فنجان القهوة على الطاولة وتعود إلى تدوين ملاحظاتها، «ماذا عن نسق الـ DNA الثالث الذي وجدوه فيها؟».

«هل صار هذا الأمر معروفًا لدى الناس أيضًا؟».

«ليس بعد، لكن لديّ أساليبي». تبتسم لي ابتسامة خجلى.

«الحقيقة أنني لا أعلم من يكون ذلك الشخص الثالث. لعله شخص أقامت معه علاقة عابرة! لا أستطيع تصديق أنها كانت على علاقة بشخص آخر غيري وغير زوجها. أعلم أن هذا يبدو غريبًا جدًا. فضلًا عن ذلك، هناك من وجه إلي تهديدًا. هناك من أرسل صورة لي مع كيلي وكتب عليها: أنهيا هذا

مكتبة ياسمين

الأمر، وإلا أنهيته بنفسي».

«منْ الذين كانوا على علم بالعلاقة بينكما؟».

«أنا واثق من أن زوجها، سكوت، كان على علم بذلك. ولعل ذلك الشرطي أيضًا، أعني زميله، علم بالأمر. حقًا، لا أدري».

تسألني: «ما الذي تريد مني فعله؟».

«الحقيقة... بسبب هذا الجهاز»، أرفع ساق بنطلوني كي يظهر سوار المراقبة على كاحلي، «لا أستطيع مغادرة البيت. هذا ما يجعل بحثي عن معلومات تفيد قضيتي أمرًا صعبًا».

«وماذا عن محاميتك؟».

«هل تعنين زوجتي؟».

تطلق ريبيكا ضحكة عصبية.

أجيبها رافعًا حاجبي: «سأقول إنني، بالنظر إلى ظروف هذا الأمر، لست واثقًا من أنها تفكر في مصلحتي».

«أوه، لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا. أنا واثقة من أن زوجتك تفعل كل ما تستطيع كي تكسب هذه القضية من أجلك». تقول هذا محاولة إظهار تفاؤلًا في صوتها فأجد ذلك غريبًا لأنها لا تعرفني حقًا، ولأنها لا تعرف زوجتي أيضًا. لكني أفترض أنني أفهم ما دفعها إلى قول ذلك.

«ربما يكون هذا صحيحًا. لكن حياتي في خطر، ولست أعتزم الاكتفاء بالجلوس هنا وتركهم يأخذونها مني... ليس من غير أن أحاول فعل كل ما أستطيع كي أعثر على الحقيقة».

«أمر مفهوم! والآن، إليك ما أريد. أريد مقابلة حصرية، وفوقها خمسة آلاف دولار مقابل أتعابي».

تمد يدها إليّ كي أصافحها فيصير اتفاقنا ناجزًا.

صدقًا... لم أعتقد أن الجرأة ستبلغ بها حد طلب المال. وبالتأكيد، هي فتاة جريئة لا تتردد في قول ما تريد. أفكر في التفاوض معها، لكني لا أجد أمامي أية بدائل أخرى وليس لديّ وقت أضيّعه في المماحكة من أجل مبلغ صغير. أصافح يدها الممدودة وأقول: «اتفقنا».

تبتسم، وأرى واضحًا عليها أنها راضية عن نفسها. تقول: «ما الذي تريدني أن أساعدك فيه، بالضبط؟». تحمل قلمها مستعدة لتدوين كل ما ستسمعه مني.

«أريد أن أعرف اسم زوجها الأول. وبعد ذلك، أريد معرفة أسماء أصدقائه وأقاربه الذين كانت لهم به علاقة وثيقة، وكذلك أرقام هواتفهم ومعلومات عنهم. أظنني سأبدأ من هذه النقطة. هل أنتِ قادرة على هذا؟».

«لا أتوقع أن تكون هناك أية مشكلة. هل قلت لي إن اسمها كان جينا واي؟».

أقول مؤكدًا: «صحيح. إنه جينا واي. من ولاية ويسكنسن».

«فهمت. ينبغي أن أكون قادرة على معرفة ذلك كله في غضون ثمانٍ وأربعين ساعة. أود أن أسألك عن المكان الذي سنلتقي فيه المرة القادمة، لكني أعرف الإجابة منذ الآن. سوف أعود، يا سيد مورغان».

«أشكركِ، يا ريبيكا. أوه، وقبل أن أنسى». أتناول عن رف الخزانة واحدة من علب القهوة. أفتح العلبة وأخرج منها رزمة نقود أناولها إياها. «هذا هو نصف المبلغ، منذ الان. سأعطيك النصف الثاني عندما تأتينني بما يلزمني من معلومات».

«تخبئ المال في علبة قهوة! ما أكثر من يفعلون هذا!». تتناول رزمة النقود وتضعها في حقيبتها. تقول وهي متجهة صوب الباب كي تنصرف: «أراك

مكتبة ياسمين

عما قريب».

آمل حقًا ألا تكون قد أخذت مالي من غير أية نية في مساعدتي أو في متابعة التحريات. لا أستطيع فعل أي شيء آخر. لذا، أظن أن عليّ أن أقبل المخاطرة. الوقت يمضي.

31
سارة مورغان

أنطلق إلى عملي. وعلى الفور، تعترضني أن قبل دخولي مكتبي.

«سارة، يريد كنت أن يراك. يقول إن الأمر ملحٌّ». تقول هذا وفي صوتها مسحة من قلق.

«هل قال شيئًا عن السبب؟».

«لم يقل».

«لا بأس. من فضلكِ، خذي حقيبتي وتلقي مكالماتي إلى أن أعود». تومئ آن برأسها وتفعل مثلما قلت لها.

كِنت هو الشريك الآخر في هذا المكتب. هو كِنت ويليامسون، والشركة اسمها ويليامسون ومورغان. كانت شركته وحده أول الأمر، وهو يحب أن يذكرني بهذا من وقت إلى آخر. صحيح أنني ناجحة جدًا في قاعات المحاكم، لكنه في هذا العمل منذ عشرات السنين وله علاقات لا يمكن أن أحلم بها.

تسمح لي سكرتيرته بدخول غرفته وتقول: «إنه في انتظاركِ». مكتبه هو الغرفة الوحيدة في الشركة التي تفوق غرفة مكتبي فخامة. غرفة كأنها مأخوذة من مشهد سينمائي: جدران مغلفة بألواح خشب الماهوغاني الثمين، وثريا ضخمة متدلية من السقف، رأس خنزير بري معلق على الجدار. إنه غنيمة أتى بها من آخر رحلة صيد في تكساس. كانت رحلة مع أصدقائه في لوبي شركات النفط الكبرى كي يؤكد لهم أنه لا يزال يتخذ صفهم على الرغم من دفاعي عن السيناتور ماكلان في المحكمة. لا حاجة إلى القول إنني لم أكن مدعوة إلى تلك الرحلة. على الجدار الذي خلفي صور له مع كل سياسي مهم

مكتبة ياسمين

خلال العقدين الماضيين، أفراد من عائلتي بوش وكلينتون، وأوباما أيضًا، وآخرين.

جداران كاملان زجاجيان، نافذتان من الأرض إلى السقف. زجاج مظلل وفق طلبه. لا يحب كنت مغادرة مكتبه. لهذا السبب، لديه أيضًا طاولة اجتماعات كبيرة تتسع لاثني عشر شخصًا. طاولة عارية من كل ما هو غير ضروري؛ لا هواتف مؤتمرات، ولا شاشات عرض مسطحة: يدير اجتماعاته وفق الطرق القديمة. إن كان ثمة أمر لا سبيل إلى حله بالقلم والورق واللسان اللاذع، فهو أمر لا يستحق أن يعمل عليه.

«أردت أن تراني، يا كِنت».

«صحيح، يا سارة. اجلسي، من فضلكِ». يشير إلى كرسي قبالة مكتبه.

أقول له: «ما الأمر؟». أحاول أن أجعل الأمر حديثًا عاديًا مع علمي أنه يكره هذا.

«نعم... الحقيقة أن مسلككِ وأداءكِ في الفترة الأخيرة، هنا، في الشركة، كان... فوضويًا. هذا إذا أردتُ التعبير عن الأمر بطريقة لطيفة، أنتِ تأتين وتذهبين مثلما يحلو لكِ، ولا تردين على المكالمات الهاتفية، وتتخلفين عن الاجتماعات. هل نسيت أنكِ، باعتباركِ شريكة هنا، لا تتمتعين برفاهية التركيز على قضية واحدة فقط، وعلى عميل واحد فقط؟». لا يبدو لي أن سؤاله يستحق الإجابة، لكنه سيجعلني أجيب عنه على أية حال. هذه واحدة من عاداته الساحرة الكثيرة.

«لا، يا كنت. لم أنس هذا. كل ما في الأمر أنني أدافع عن زوجي في قضية قتل. ومثلما تستطيع أن ترى...».

«لكن هذا تضارب واضح في المصالح. سوف

مكتبة ياسمين

يجعلك ضحية قدر كبير من التوتر ويلهيك عن عملك. نعم، نعم، أستطيع تخيل الأمر. هذا ما يجعلني أتمنى لو أنك استشرتني منذ البداية». يكلمني كأنه أب يكلم ابنته.

أقول له: «تعلم أن الاتفاق الذي بيننا يقضي بألَا تتولى أية قضية بنفسك إذا كانت فيها مصالح شركة متعارضة مع مصالح أحد الموكلين عندي. هذه ليست قضية شركات. وبالتالي، من حقي أن أتولاها إن رأيت ذلك مناسبًا».

«صحيح. من حقكِ أن تفعلي هذا، بكل تأكيد. لكن السؤال هو: هل ينبغي أن تفعليه؟ ألا تعتقدين أن هذا قد يهمني أيضًا؟ المحامية التي تملك نصف الشركة تقصر في أداء واجباتها وتجعلنا نبدو مزعزعين، غير مستقرين، بعيدين عن السلوك المهني».

«لم يكن في نيتي...».

«لا بأس! هذا ما يحدث، أليس كذلك؟ وبصرف النظر عن نيتكِ...» يتوقف لحظة، ثم ينهض كي يدور حول المكتب ويجلس على حافته. «انظري، يا سارة! أنا لا أريد توبيخكِ. أنتِ فتاة كبيرة، ولك الحرية في فعل ما يعجبكِ، معظم الأحيان. لم أكن لأناقش هذا الموضوع إلا لأنه يجعلنا نبدو ضعفاء. لا تظني أن الآخرين لا يلاحظون».

«أنت محق. هذا الأمر أصعب مما توقعت. لكني، فقط...».

«ومن يستطيع أن يلومك؟ بالتأكيد، أنا لا ألومك. الحقيقة أنني لا أستطيع تخيل مقدار ما أنت واقعة فيه من ضغط. لكن هذه هي الفكرة. انظري... سوف أترك هذا الأمر يستمر لمعرفتي أن ما من شيء أقوله يمكن أن يوقفك. لكن -اسمعيني جيدًا- عليك أن

تقومي بهذا، وأن تنتهي منه سريعًا. هذا من أجلك، ومن أجلي، ومن أجل الشركة. سوف أجعل آخرين يتولون بعض أعمالك خلال هذه الفترة، وسوف أعفيك من أي عمل جديد في الوقت الراهن. لكن، عليك أن تهتمي بالقضية جيدًا».

«أشكرك، وأقدّر تفهمك». أقول هذا وأنا غاضبة قليلًا، لكني أعلم أنني لن أخرج من هذه المناقشة فائزة. هو ليس مخطئًا.

«أوه، انتظري، لا تشكريني. بما أنكِ الآن لا تشتغلين على قضايا شركات، فلن تتمتعي بنصيبكِ الشهري من الأتعاب التي نتقاضاها عن هذه القضايا. أعني أن حصتكِ من الأرباح ستظل موقوفة إلى أن تنهي هذه القضية».

«هذا ليس واردًا في اتفاقنا. وأنت لا تستطيع أن...».

«وإلا ماذا؟ هل تقاضينني؟ انظري إن كان الأمر يناسبكِ. ينبغي أن يكون هذا حافزًا لكِ. انتهي من الأمر سريعًا، وسوف يعود المال إليكِ. هل هذا مفهوم؟».

أنظر إليه والنار في عينيّ. لن أجيبه! الحقيقة أن هذه المناقشة قد انتهت. أنهض واقفة وأسير صوب الباب.

«أوه، يا سارة! ثمة أمر آخر».

«ماذا، يا كنت؟».

«سكرتيرتك... بان».

«اسمها أن».

«صحيح، صحيح، أن. هي ليست مرافقة لك حتى تتبعك كأنها كلب صغير يجري وراءك في كل مهمة. إنها موجودة كي تكون هنا، وهي تتلقى أجرها من

موارد الشركة، لا منك وحدك».

«عندما تحققت من الأمر آخر مرة، يا كنت، كانت أن سكرتيرتي. وأنا أدفع نصف راتبها».

«صحيح. وأنا أدفع النصف الاخر. من هنا، لك أن تستحوذي عليها نصف الوقت فقط، وإلا فادفعي أجرها كله وتولي مسؤولية القضية بنفسك». يستدير ويعود إلى الجلوس على كرسيه خلف مكتبه.

أهمس لنفسي وأنا أخرج من مكتبه: «حقير».

تزقزق سكرتيرته عندما أمرّ بمكتبها: «أتمنى لك يومًا جميلًا، يا سارة!».

أقول لها من غير أن أنظر لها: «إليكِ عني، يا نيكول!».

في غمرة تعجّلي، أصطدم بشخص فأجفل قبل أن أتمالك نفسي وأنظر إليه. الرجل الذي اصطدمت به يسير مع رجل آخر. لكل من الرجلين وجه مألوف إلى حد غريب، لكني أجد صعوبة في التذكر. ذاكرتي تعاني شللًا مؤقتًا نتيجة غضبي.

«أوه، أوه، أوه، يا سيدة مورغان! ما هذه السرعة كلها!». تأتي الكلمات موشحة بلكنة تكساسية ثقيلة. الآن تذكرت. هذان هما الموظفان الكبيران في شركة بيترونكست اللذان كانا جالسين في القاعة أثناء محاكمة السيناتور ماكلان.

أقول من غير أن أجيب عن السؤال: «تحياتي أيها السيدان».

يقول واحد منهما: «أظن أن من واجبنا تهنئتك». ليس مهمًا من قال هذا لأنهما متشابهان تمامًا.

«أشك كثيرًا في أن هذا يعكس حقيقة مشاعرك».

«الإنصاف هو الإنصاف، يا سيدة مورغان. وقد

ربحت القضية بكل جدارة... هذه المرة». يقول لي الرجل هذه الكلمات وعلى وجهه ابتسامة لا أستطيع وصفها إلا بأنها صفيقة، ابتسامة تمتد على مساحة وجهه كله.

«لا بأس... لماذا لا تسرعان إلى مكتب كنت لأنه سيكون لطيفًا معكما؟ لديّ عمل أقوم به. أراكما في وقت لاحق». أقول هذا كله بنبرة حادة. طريقة كلامي ليست لطيفة، لكني لا أملك وقتًا أهدره عليهما.

تسألني آن فور عودتي إلى مكتبي: «ما الأمر؟».

أقول من غير أن أزيح عينيّ عن شاشة الكمبيوتر: «لا شيء».

«كان أمرًا سيئًا، أليس كذلك؟».

أقول متبرمة: «ألا تستطيعين أن تجلبي لي قهوة؟».

تومئ لي آن برأسها ثم تختفي سريعًا.

لم أخرج من المكتب في ساعة مبكرة، بل حتى لم أخرج من أجل استراحة الغداء. بقيت هناك طيلة اليوم مثلما يبقى عامل مياوم، بقيت فقط كي أتأكد من أن حضوري معلوم لدى الجميع. كيف يحق لأي كان في هذا المكتب أن يشكّك في عملي؟ إنني أعمل أكثر من أي محامٍ آخر هنا، وقد اكتسبت الحق في القدوم والذهاب مثلما يحلو لي!

أغلق الباب الخلفي في سيارتي الرينج روفر، وأعلق على كتفي مجموعة أكياس قابلة لإعادة الاستعمال. أحمل صندوقًا يغصّ بمحتوياته. في الخارج ظلمة، وأنا منتبهة إلى موضع قدميّ في أثناء سيري كي لا أتعثر في صعودي الدرجات المفضية إلى الشرفة أمام البيت. يصدر حذائي

صوتًا مع كل خطوة أخطوها. أقف أمام الباب وأفكر في قرعه... أفكر لحظة واحدة فقط. بدلًا من ذلك، أمد يدي إلى المقبض وأفتح الباب. أدخل البيت.

يأتيني صوت آدم متوترًا، يأتي من غرفة المعيشة: «مرحبًا، من هناك؟».

لا أجيبه بشيء. أدخل المطبخ. إنه جالس على الأريكة في غرفة المعيشة مرتديًا بنطلونًا خفيفًا وتي شيرت يرتشف الويسكي من كأسه. لم يبذل أي جهد كي يحلق ذقنه أو يمشط شعره. على الرغم من هذا كله، لا يزال يبدو وسيمًا.

«سارة! ماذا تفعلين هنا؟».

أضع الصندوق والأكياس على طاولة المطبخ. أجيبه: «أحضرت لك بعض المؤن».

«أوه!». ترقّ تعابير وجهه وينهض عن الأريكة. يدخل المطبخ بخطوات بطيئة، لكنه لا يقترب مني كثيرًا.

«أين أمك؟».

«حجزت غرفة فندق كي تقيم فيها».

أقول مناكفة: «كنت واثقة من أنها ستظل هنا كي تشرف على ترتيبات نومك».

يضحك ويقول: «أوه، كفي عن هذا! أمي ليست على هذه الدرجة من السوء».

أبتسم له وأرمقه بنظرة استغراب.

«هل تريدين شرابًا؟».

«أريد».

يذهب إلى البار ويصب لي كأسًا من ويسكي لافرويغ المعتق عشر سنين. يعود إلى الجهة الأخرى من طاولة المطبخ ويضع الكأس أمامي.

«فكرت في أنك ستكون في حاجة إلى بعض

مكتبة ياسمين

المواد. أحضرت لك شرائح من اللحم، ومزيدًا من الويسكي، وبعض الفطائر، والسلمون المدخن، والجبن الطري، والبيض والخضار، والمكسرات، والآيس كريم». أقول هذا وأنا أخرج المواد وأضعها في أماكنها.

«لم تكوني مضطرة إلى فعل هذا».

أنظر إليه. على وجهه ابتسامة. في عينيه أمل. وأجيبه: «أعلم هذا».

يتناول رشفة من كأس الويسكي: «أشكركِ!».

أخرج محتويات الكيس الثاني. أقول له: «أتيتك أيضًا ببعض مستلزمات الكتابة - ورق، وحبر للطابعة، وأقلام، ولوازم أخرى».

«حقًّا... لم تكوني مضطرة إلى فعل هذا!». يتقدم وينظر إلى تلك المواد. تكاد عيناه تدمعان.

«أعلم». أحمل كأس الويسكي الذي سكبه لي وأتناول منه رشفة.

نظل واقفَين هناك، نرتشف الويسكي من كأسينا. نظل صامتَين. لا أجد شيئًا أقوله له، وأنا واثقة من أنه لا يجد شيئًا يقوله لي. أفكر كيف كان كلٌّ منا يومًا من الأيام، حب حياة الآخر، وكيف كنا متقاربين إلى أقصى ما يمكن أن يكون بين إنسانين، وكيف انفتحت بيننا الآن هوة عميقة وواسعة نجد صعوبة حتى في تبادل الكلام عبرها.

ينطق أخيرًا: «ماذا وضعت في هذا الصندوق؟». يشير إلى صندوق الورق المقوى المحشو أوراقًا ومصنفات.

أدفع الصندوق في اتجاهه. «أعلم أنك راغب في مساعدتي. لذا، جعلت ان تطبع نسخة إضافية من كل ما لدينا من الأدلة المهمة. ها هي الان لديك كي

تنظر فيها».

ينظر إلى الصندوق، ثم ينظر إليّ. تتجول عيناه على جسدي.

«أريد أن تعرف أنني أقوم بكل ما أستطيعه كي نكسب هذه القضية. عليك أن تكون واثقًا بي».

«أنا واثق بك، يا سارة».

أومئ برأسي وأبتسم له ابتسامة صغيرة. «يسرني سماع هذا. عليّ أن أذهب الآن. لكن، أخبرني إذا عثرت على أي شيء أو إذا وجدت نفسك في حاجة إلى أي شيء غير ما جلبته اليوم». أضع كأس الويسكي على الطاولة وأستدير كي أمضي صوب الباب.

يقول: «سارة!». يقولها بصوت خافت يكاد يكون همسًا.

أتوقف وألتفت كي أنظر إليه: «ماذا؟».

«أشكركِ... أشكركِ على كل شيء». يرتجف صوته... «حقًا، لم تكوني مضطرة إلى فعل هذا كله. وأنا... الحقيقة أنني لا أستحق هذا».

ترتعش شفتاي، لكني أعض عليهما كي أوقف ارتعاشهما. أغمض عينيّ لحظة، وعندما أفتحهما من جديد، أجدهما دامعتين. «لا. أنت... لا بأس... عليّ أن أذهب».

يقترب مني قبل أن أفلح في الابتعاد عنه خطوة واحدة، ويلفني بذراعيه، ثم يجذبني إليه. أريد أن أوقفه. أريد أن أقول له ألّا يفعل هذا. هاتان هما الذراعان اللتان كانتا تحتضنان كيلي. هاتان هما الذراعان اللتان كانتا مصدر قوة واطمئنان بالنسبة إليها. أعلم أنه لا يستحق أن يضمني، لكني لا أقاومه. أتركه يحتضنني. أدفن وجهي في صدره

مكتبة ياسمين

وأبكي. أفقد نفسي بين ذراعيه، وأنهار. يبكي بدوره. يقبّل أعلى رأسي ويشدني إليه. يقول لي إنه يحبني، ويكررها مرة بعد مرة. أرفع رأسي وأنظر إليه. وجنتاي رطبتان، وقلبي خافق. دموعه تجري على وجهه، وتقطر على وجهي.

أشده إليّ من أجل قبلة. يستجيب ويقبّلني. ينفتح فاهانا وينغلقان متناغمين. يداه تجريان على جسدي كله. يرفعني عن الأرض. ألفُّ خصره بساقيّ. يسير بي إلى طاولة المطبخ ويجلسني عليها. لا تتركني شفتاه أبدًا. ينتقل إلى رقبتي، ثم إلى أعلى كتفي ويقبل كل نقطة يستطيع الوصول إليها.

يهمس في أذني: «أحبكِ، يا سارة!».

«أعلم هذا». أقولها ثم أصمت. أتوقف عن تقبيله وأنظر في وجهه باحثة عن إجابة، باحثة عما أستطيع قوله. أداعب وجنته بيديّ، ثم أنطق أخيرًا عندما تلتقي عيوننا. أقول له: «وأنا أحبك أيضًا».

لا يستطيع منع نفسه عن الابتسام. «أحبكِ كثيرًا جدًا». يرتعش صوته فأحول بينه وبين قول أي شيء آخر بأن أقبّله، بأن أقبّله قبلة مشبوبة العاطفة. شفتاه طريتان، حارتان. يداه تجوسان جسدي كله وتخلعان عني سترتي، تداعبان ثدييّ، وترفعان تنورتي. تتقطع أنفاسي ويترك لسانه وشفتاه آثارهما على رقبتي كلها.

يفك بنطلونه ويجذبني كي يقرّبني من حافة الطاولة. ينحني فوقي، ويباعد بين ساقيّ، يزيح سروالي الداخلي. عند ذلك، في لحظة واحدة، أعود إلى الواقع فأدفعه بعيدًا عني. تنطبق ساقاي سريعًا، وأنزل عن الطاولة. أسوّي تنورتي، وأرتدي سترتي. يفقد توازنه ويجلس على الأرض قبل أن يتمالك نفسه ويقف من جديد. تتسع عيناه وينفتح فمه كي

مكتبة ياسمين

يبدأ الاحتجاج.

أضع يدي على صدره. أقول له: «لا أزال غير قادرة على هذا... لا أزال غاضبة عليك لكل ما فعلته بي. لا أزال غير قادرة على منع نفسي من تخيَل...» أقول هذا، ثم أتوقف. تتدحرج دمعة على خدي. أمسح دمعتي وألتف من حوله متجهة صوب الباب.

«انتظري، يا سارة!». يأتيني صوته من داخل البيت عاليًا، لكنه محبوس في البيت. ثمة خط غير مرئي محيط به يمنعه من ملاحقتي.

أصعد إلى سيارتي وأغلق بابها بعنف. ما هذا الذي أفعله؟ عليّ أن أترك رأسي يصفو. ليس هذا مكانًا مناسبًا لفعل ذلك.

مكتبة ياسمين

32

آدم مورغان

أجلس على الأريكة آكل شريحة لحم أحملها بيدي. ذهبت سارة قبل أكثر من ساعة. بقيت أكثر من خمس عشرة دقيقة حتى استطعت أن أطرد ذكراها عن قضيبي. القرب منها مجددًا كان أمرًا لطيفًا، وكأن هناك فرصة للمصالحة. لكن انصرافها كان مفاجئًا. على الدوام، يكون انصرافها مفاجئًا. اتصلت أمي كي تطمئن عليّ. قالت إنها كانت تحب أن تأتي كي نتناول العشاء معًا، لكن لديها موعدًا من أجل جلسة تدليك. لكن لديّ إحساسًا يقول لي إنها قد اعتزمت شيئًا. لا يمكن أبدًا أن تتخلف عن تناول العشاء معي فأنا ابنها الوحيد.

يرن جرس الهاتف. لا بد أن يكون هذا اتصالًا من سارة، أو من أمي. إنهما الشخصان الوحيدان اللذان يتصلان بي هذه الأيام. أتجه صوب الهاتف الأرضي الموضوع في الزاوية، الهاتف الذي ليست له شاشة تُظهر الرقم المتصل. أنا مضطر إلى رفع السماعة كي أعرف من يكلمني وكأن هذا سر غامض. أقول: «مرحبًا».

«آدم!».

«نعم. من يكلمني؟».

«هذا أنا، دانييل. كيف حالك أنت؟».

آه؛ إنه صديقي دانييل. دانييل هو وكيلي الأدبي، وقد كان معي منذ يومي الأول. أول الأمر، كنتُ مقامرة. ثم صرت سلعة رائجة وبدأ الناس يحاولون اختطافي من دانييل، لكنني بقيت معه. والان، هو الذي يريد البقاء معي. كانت مكالماته في تناقص مستمر خلال السنوات الأربع التي أمضيتها عاجزًا

مكتبة ياسمين

عن إنتاج شيء. لست ألومه. أقول له: «أوه، مرحبًا يا دانييل. بخير، أنا بخير. كيف حالك أنت؟». أجلس على الأريكة كي أكون في وضع أكثر راحة.

«انس أمري! ما هذا الذي أسمعه؟ يقولون إنهم يحاكمونك في جريمة قتل!».

«للأسف، هذا صحيح. الأمر صحيح، لكني لم أرتكب تلك الجريمة. هذا كله...». أتناول جرعة من كأس الويسكي.

«هذا رائع!».

«ماذا؟ لا، يا دانييل. قلت لك إن الخبر صحيح. يحاكمونني في جريمة قتل».

«أوه، لقد سمعتك يا صديقي. هذا أفضل نبأ أسمعه منذ زمن طويل».

«ماذا؟ لماذا؟». أضغط سماعة الهاتف على أذنيّ كي أتأكد من أنني لا أخطئ سماع ما يقول.

«فكر في الأمر، يا آدم. هذه جريمة قتل. وأنت كاتب. ضع هذا مع ذاك، فماذا ينتج لدينا؟ رواية تقول كل شيء، رواية لم يرَ أحد مثلها من قبل».

«لكن، يا دانييل! أنا لم أرتكب...».

«يمكن أن يكون هذا العمل مثل رواية 'بدمٍ بارد' لكنها أفضل لأنك لست في حاجة إلى إجراء مقابلات مع القاتل، إنه أنت!».

«دانييل، أنا لم أقتل...». أصر على أسناني. لماذا لا يفهمني؟

«أستطيع تخيل الأمر الآن. أتخيلك تجري مقابلات صحفية وأنت في زنزانة السجن وتوقّع الأوتوغرافات خلال ساعات الزيارة. همممم... سيكون عليّ أن أفكر في طريقة تجعلهم يسمحون لك بأن تخرج في جولات ترويجية لكن، انتظر،

وجدتها، نستطيع أن نجعلهم ينقلونك بسيارة السجن ومعك عناصر الشرطة وكل شيء. ستكون مرتديًا بدلة سجن برتقالية اللون. أوه! ستكون التغطية الإعلامية رائعة، و...».

«دانييل! أنا لم أقتل أحدًا. هل فهمت؟ اسمع ما أقول، اللعنة عليك».

«ماذا يا صديقي؟ استرخ قليلًا. أعلم أنك لم ترتكب تلك الجريمة. صحيح أنك تصير أحيانًا شخصًا مزعجًا جدًّا، لكنك لست قاتلًا. الحقيقة أنك غير قادر على إيذاء ذبابة. لكن، لا حاجة إلى أن يعلم الناس شيئًا عن هذا بصرف النظر عن المجرى الذي ستتخذه القضية. إنني أرى الأمر على الشكل التالي: إذا كنت قد قتلتها فعلًا...».

أقول له: «أنا لم أقتلها». عجيب أمر هذا الرجل! حتى في وقت كهذا، يظل عقله منشغلًا بجني المال. هذا ما يجعله وكيلًا أدبيًا جيدًا جدًّا، لكنه يجعله أيضًا شخصًا مزعجًا. «لا أدري، يا دانييل، أنا لا يعجبني حقًّا أن أكون مشروع قاتل مع أنني لم أفعل شيئًا».

«اسمع! أنا وأنت نعلم أنك كنت منذ سنين في حاجة إلى شرارة، وها قد أتت الشرارة الكبيرة! ما أسهل الأمر! لست أقول لك شيئًا سوى بأنّ عليك ألا تتجاهل هذه الفرصة. سوف ترسل إليّ بضع صفحات من تلك الرواية، وسوف أقرأها. إذا كنت لا تريد ذلك، ففي وسعك أن تعود إلى إكمال تلك 'الرواية الأميركية العظيمة التالية' التي أسمع عنها منذ خمس سنين. الأمر يعود إليك».

«صحيح، نعم. ربما».

«هذه هي المعنويات العالية. عليك بهذا، يا فتى. وسوف نتناول الغداء معًا عمّا قريب». ثم تنتهي

مكتبة ياسمين

المكالمة.

أضع السمّاعة من يدي وأغوص في مقعدي. أرفع الكأس إلى شفتيّ. هو ليس مخطئًا. هذه قصة ممتازة؛ وسوف أروي قصتي. أعلم أنني لم أفعل هذا، لكن من الممكن أن أكتشف من فعله. عندي قصة إجرامية حقيقية غامضة أستطيع أن أرويها للعالم. من غير شك، ستكون ضمن قائمة نيويورك تايمز للكتب الأفضل مبيعًا. لكن، ماذا أسميها؟

سأسميها: «بدمٍ حار... أنا لم أفعلها».

اللعنة! لقد صدِئت. أتناول عن الطاولة الصغيرة قلمًا ورزمة أوراقٍ وأبدأ في كتابة كل ما جرى. أنطلق من البداية.

33

سارة مورغان

جالسة أراجع ملفات القضية وأنتظر أن تأتيني أن بإفطاري. لقد أقنعتني بأن عليّ أن آكل شيئًا. الظاهر أنني أعيش على القهوة والماء والكحول فقط. لم أعد واثقة منْ يكون آدم، ومن أكون. هل نحن زوج وزوجة؟ هل نحن محامية وموكلها؟ هل نحن حبيبان؟ هل نحن عدوّان؟ أظن أن هذا لا أهمية حقيقية له. ما له أهمية هو الانتهاء من هذه القضية التي تزداد صعوبة بعد أن تداولت الصحافة القصة خلال عطلة نهاية الأسبوع. يتصل المراسلون الصحفيون بالمكتب من غير انقطاع؛ بل إنهم استطاعوا الحصول أيضًا على هاتف العمل الخاص بي. اعتصمت ببيتي في واشنطن وفي مكتبي طيلة نهاية الأسبوع، وحاولت ألا أظهر كثيرًا. حاولت التركيز على دراسة القضية.

قالت لي آن إن في الإنترنت نظريات كثيرة عمَن يمكن أن يكون قد قتل كيلي. الظاهر أن الأغلبية تصدق أن آدم هو القاتل في حين انصبّت شكوك قسم من النظريات على سكوت وعلى نسق الـ DNA الثالث. قال بعضها إن من الممكن أن يكون القاتل زميلًا لها في العمل أو شرطيًا آخر في المنطقة أو شبح زوجها السابق. لم ألق بالًا إلى تلك النظريات كلها. لقد استقطبت اهتمام الجمهور حقيقة أن مقتلها جرى بطريقة تشبه مقتل زوجها السابق. يرى كثيرون أنها نالت ما تستحق؛ ويرى آخرون أن الكلام الذي يتناولها لا يصورها تصويرًا صحيحًا. صارت القضية موضع استقطاب، وثمة خلافات كبيرة. ينبغي أن يكون هذا مفيدًا لنا عندما توضع القضية بين أيدي أعضاء هيئة المحلفين.

مكتبة ياسمين

سيكون اتخاذ الهيئة قرارًا بأن آدم غير مذنب أمرًا صعبًا، لكن من المحتمل أن نستطيع التوصل إلى قرار ببطلان المحاكمة، وذلك من خلال هيئة محلفين موسّعة. قد تعاد المحاكمة بعد ذلك، وقد لا تعاد. لكن الوقت الباقي قبل بدء المحاكمة لم يعد طويلًا. إنها فرصتنا الأفضل.

ينفتح الباب فيجفلني. تدخل آن حاملة كأسي سموذي وكيسًا فيه طعام اشترته من مقهى قريب. معها أيضًا علبة شوكولاتة. تضع كل شيء على الطاولة في تعجّل.

أسألها: «ماذا؟ ما الأمر؟».

تتسع عيناها. «بوب يبحث عنكِ».

«وماذا أيضًا؟».

«إنه غاضب».

يظهر بوب عند باب الغرفة مرتديًا بدلة جميلة حسنة التفصيل. وجهه مكفهر. «ماذا يجري هنا، بحق الجحيم؟». يخطو داخل الغرفة. خطوتان كبيرتان يصير بعدهما أمام طاولة مكتبي مباشرة. تسرع آن فتتنحى عن طريقه.

أبتسم وأسأله: «ما سبب تشريفي بهذه الزيارة، يا بوب؟».

«ماذا عن أولئك المراسلين الصحفيين جميعًا؟ وما هذا الذي أسمعه من أنك تمثلين زوجك في جريمة قتل؟». يزداد وجهه اكفهرارًا.

«نعم، هذا صحيح. لقد اتُّهم زوجي ظلمًا، وأنا أعمل على قضيته متطوعة». أعبث بأوراقي من غير إيلائه أي قدر من الاهتمام.

«لا تستطيعين أن تعملي تطوعًا على قضية زوجك».

«بل أستطيع. هذا ما أفعله. وقد تحدثت مع كنت في هذا الأمر».

تسعل آن سعلة غريبة كأنها كانت تحاول إمساكها كي لا تصدر أي صوت. ألتفت إليها، ثم أنظر مباشرة في عيني بوب.

يقول: «أوه، هل تكلمت مع كنت حقًا؟ سوف أتكلم مع كنت بدوري وأوضح له أن هذا يسيء إلى سمعة الشركة». يشير إليّ في أثناء كلامه.

أجيبه محذِّرة: «افعل هذا، وسوف أدفنك حيًا، يا بوب».

يطلق ضحكة صغيرة: «ها! أحب أن أراكِ تحاولين فعل هذا». يجيل النظر في أرجاء غرفتي... «يا سلام! سوف يكون جلوسي في هذه الغرفة أمرًا لطيفًا بعد أن يركلوا مؤخرتكِ».

«جلوسك ليس مناسبًا حتى في مكتبك الحالي». أعود إلى مراجعة أوراق القضية المنثورة أمامي. أعلم أن تهديداته فارغة، لكني لا أريد أن يذهب ويثير كِنت ضدي من جديد. وضعي ليس متينًا جدًا.

يتراجع بضع خطوات، ثم وهو يستدير كي ينصرف، يقول: «انتبهي إلى نفسكِ، يا سارة!». أتركه يقول الكلمة الأخيرة لأن هذا كل ما سيظفر به. في وسعه أن يكون غاضبًا بشأن الضجة الإعلامية، لكنه لا يستطيع الاعتراض على أن أتولى هذه القضية. عليّ أن أفعل هذا. لم يكن لديّ أي خيار آخر.

تجلس آن على كرسي قبالة طاولتي: «هل أنت على ما يرام؟».

«لا بأس! لا تقلقي لما قاله. كل ما في الأمر أنه شديد الحرص على موقعه في الشركة». تقع عيناي على علبة الشوكولاتة على طاولتي. أرى عليها

بطاقة. أسأل آن: «ما هذه؟».

«لقد وصلت لحظة دخولي».

أفتح المغلف وأخرج البطاقة منه. أقرأ ما عليها: «هذا غير شبيه أبدًا بالدراسة قبل امتحان القانون. لكني أعلم كيف تكافحين التوتر. الشوكولاتة! هاها! ماثيو». أبتسم ابتسامة صغيرة وأتذكر كيف كنا نلتهم الشوكولاتة معًا وسط جلسات الدراسة. أفتح العلبة وأختار منها قطعة. أضعها في فمي.

«ألا تريدين واحدة؟».

«بالتأكيد». تأخذ آن قطعة شوكولاتة وتقضم جزءًا منها. «ممَن هي؟».

«من ماثيو». أتناول شوكولاتة أخرى.

ترفع آن حاجبيها وتقول: «أقسم إنه ميال إليكِ».

«إنه مثليٌ».

«صحيح، لكنه ليس مثليًا معكِ أنتِ». تقول آن هذا بفم محشو بالشوكولاتة.

«لا تجري الأمور هكذا».

تكشر قليلًا وتقول: «على أقلِّ تقدير، هو ثنائي الجنس».

أرميها بنظرة استنكار. «أشك في هذا».

«لا بأس، أوه... نعم، لقد تلقيت معلومات عن ذلك الشخص الذي اسمه جيس هوك». تقول هذا وتنهض سريعًا وتخرج من غرفتي، ثم تعود حاملة معها مصنفًا. آخذ المصنف منها وأقلِّب محتوياته.

«ماذا فيه؟».

«إنه في الثانية والثلاثين. يعيش وحده في غينسفيل. ترك المدرسة الثانوية، وليس له تاريخ عمل حقيقي. الظاهر أنه يقوم بأعمال حرة جانبية من بينها الكتابة والطلاء، هذا بحسب صفحته في

مكتبة ياسمين

فيس بوك. لا أقارب له في المنطقة، وليس واضحًا سبب عيشه هنا. لم يتزوج من قبل، وليس له أطفال. على وجه الإجمال، يبدو شخصًا منعزلًا وغير مريح».

«هل لديه رقم هاتف مسجل؟».

«لديه هاتف، إنه على الصفحة الأولى. وهو مطابق لواحدة من الرسائل النصية وأكثر من عشر مكالمات فائتة وُجدت في هاتف كيلي. لقد كتب إليها: «إنني آسف» ليلة مقتلها، لكن المكالمات كانت في أوقات متفرقة خلال اليومين اللذين سبقا ذلك».

أتساءل بصوت مرتفع: «قد يكون الرجل الذي نبحث عنه».

«على الأقل، يستحق النظر في أمره».

«سوف أعود إلى البلدة. اتصلي بالشريف ستيفنز وقولي له أن يلاقيني في مقهى سيث بعد نحو ساعتين من الآن».

«بكل تأكيد». تنهض على الفور كي تجري الاتصال.

يهتز هاتفي. رسالة نصية من إليانور. عظيم!

سأكون اليوم خارج البلدة. أعود غدًا. لا تشغلي بالك بالأمر.

يا للدهشة! إن كان ليس عليّ أن أشغل بالي بالأمر فلماذا تكتب لي أصلًا؟ أف! عجيبة هذه المرأة! أعيد هاتفي إلى جيبي وأغلق علبة الشوكولاتة. لكني أضعها في حقيبتي القماشية. قبل خروجي، أتناول بضع رشفات من كأس السموذي، وأقضم لقمة من السندويتش. لقد بدأت أتعب من قيادة السيارة جيئة وذهابًا بين واشنطن ومقاطعة برنس ويليام، لكن وقتي ضيق لا يسمح لي بالإبطاء.

لا بد لي من العثور على ذلك الشخص الثالث. من

مكتبة ياسمين

الممكن أن يعلم عن كيلي وماضيها أكثر مما يعلمه أي شخص آخر.

مكتبة ياسمين

34

آدم مورغان

أتت الإجابة من ريبيكا أبكر مما توقعت، المراسلة الصحفية التي طلبت منها إجراء بعض التحريات من أجلي... الحقيقة أنني لم أكن واثقًا من تلقي أية إجابة منها. اتصلت بي في وقت متأخر من الليلة الماضية وقالت لي إنها ستأتي بعد ظهر يوم الاثنين. فتاة سريعة في عملها. قالت على الهاتف إنها حصلت على كل ما طلبته منها. لست أدري كيف تمكنت من فعل ذلك ولست مهتمًا بالأمر إذا كانت المعلومات صحيحة وإذا كانت كافية لتبرئتي من هذه الجريمة. أنهض وأستحم، ثم أحلق ذقني وأرتدي ملابسي. هذا إنجاز غير قليل لأنني كنت خلال اليومين الماضيين شخصًا كسولًا قذرًا. اهتممت أيضًا بترتيب المكان. لست قادرًا على احتمال النوم على الأريكة ليلة أخرى. بدأ ظهري يؤلمني، لكني أظن الأريكة أفضل من ذلك السرير الذي نمت عليه في السجن.

لما كانوا قد رموا فراش السرير أثناء إخلاء مسرح الجريمة، فقد طلبت عبر الإنترنت فراشًا جديدًا. لن أستفيد كثيرًا من هذا الفراش الجديد إذا أدانتني المحكمة. حتى ذلك الوقت، حرصت على شراء أغلى فراش وعلى طلب ملاءات شديدة النعومة، فضلًا عن وسادة مريحة وغطاء للفراش. إن كانت هذه أسابيعي الأخيرة في سريري، فسوف أنعم بفراش باذخ وثير. لم أسمع شيئًا من سارة منذ لقائنا ليلة الجمعة. تمنيت أن تعرج علي مرة أخرى، لكني أظن أن أملي صار ضعيفًا بعد انتشار القصة في وسائل الإعلام.

مكتبة ياسمين

أجلس على الأريكة مرتديًا بنطلون جينز وبلوزة خفيفة، وأقلّب نسخة شبه مستهلكة من رواية «التصحيحات». أتساءل عما حال بيني وبين أن يكون مساري المهني مثل مسار السيد فرانزين. لكن، ما عليّ إلا أن أقرأ صفحة واحدة مما كتبه حتى أتذكر السبب.

يرن جرس الهاتف فأميل صوبه كي أرفع السماعة. لا تسنح لي فرصة قول أية كلمة. «آدم! أنا دانييل. أنباء رائعة! لقد استطعت منذ الآن الحصول على عروض كثيرة من أجل روايتك».

«هل عرضتها على الناشرين؟ لم أوافق بعد على كتابتها!».

«يا آدم! أنا وأنت واحد. كلانا يحب المال. لا تكن غبيًا! هذه فرصة العمر. إنني أتلقى عروضًا بالملايين، وعروضًا من أجل تحويل الرواية إلى فيلم سينمائي، وكل شيء». يصمت دانييل منتظرًا سماع موافقتي. أستطيع سماع أنفاسه التي صارت ثقيلة لفرط حماسته.

تشرق عيناي، وأفكر في المال والشهرة والمجد. ترتسم ابتسامة على وجهي مع تفكيري في ما يمكن أن تصير عليه حياتي. عند ذلك، أصير غير قادر على منع إجابتي من الخروج من فمي.

«عظيم. لكني سأكتب الحقيقة. لن أقول شيئًا من قبيل 'أنا القاتل'. لن أكتب شيئًا من ذلك الهراء».

«هذا ممتاز. على أية حال، صار الناس يحبون قصص الجرائم الحقيقية أكثر، هذه الأيام. سوف أجري مزادًا. لذا، ابدأ الكتابة. سنظل على اتصال، يا صديقي».

تنتهي المكالمة وأعيد السماعة إلى مكانها. أظل جالسًا في مكاني، وينتابني دوار يستمر لحظة.

مكتبة ياسمين

يا للهول! أحلامي كلها سوف تتحقق اخر الأمر. أجلس إلى مكتبي مستعدًا لملء الصفحات. سوف تكون هذه الرواية تطورًا كبيرًا في مساري المهني، وستجعل الناس يعرفون من هو آدم مورغان. أفرقع بأصابعي وأنشئ ملف وورد. أكتب في الملف: آدم مورغان - جريمة قتل كتبها بنفسه.

ثمة من يدق الباب. أستدير في مقعدي، ثم أتذكر. اللعنة! نسيت أمر ريبيكا، ونسيت أمر تحرياتي. لست قادرًا على ترك أي شيء يعترض سبيل اكتشافي الحقيقة. لن يكون لهذا الكتاب أي معنى إذا كنت أتعفَن في السجن أو... أسوأ من ذلك، إذا كنت ميتًا. أغلق اللابتوب ثم أسرع في فتح الباب. تدخل ريبيكا حتى قبل أن تسنح لي فرصة دعوتها إلى الدخول. شعرها المتموج محشور تحت قبعتها، ووجنتاها محمرتان، متوردتان.

«ما أسرع عودتكِ!». أقول لها هذا بينما تخلع عنها قبعتها ومعطفها وتجلس على الأريكة.

تجيبني: «أنا أعمل سريعًا. وأنت ليس لديك متسع من الوقت». تلتقط كتاب «التصحيحات». تلقي نظرة عليه، ثم تضعه على الطاولة الصغيرة. «ليته كان أستاذي في صف الكتابة!». ترتسم على وجهها ابتسامة ماكرة.

أجيبها بنبرة حادة لأن الغيرة استولت عليّ: «لو كان أستاذك لما ذهبت إلى الجامعة المحلية، أليس كذلك؟». أدرك من نظرة عينيها أن ما قلته قد أدّى مهمته. نفاد بصيرتها مدهش فعلًا. «على أية حال، أنت محقة إذ ليس الوقت المتاح لي طويلًا. ألا أعد لك شيئًا تشربينه؟».

تهز رأسها فأجلس إلى جانبها، على الأريكة. تُخرج ريبيكا بضعة مصنفات وتبسطها أمامها. تسألني:

مكتبة ياسمين

«هل أنت مستعد لسماع هذا؟».

أومئ برأسي.

«لا بأس... كان اسم زوج كيلي الأول، أو زوج جينا الأول، كريغ. وقد ظلا متزوجين سنة وستة أشهر. تزوجا صغيرين، في العشرين تقريبًا. أنت تعلم ما يتصل بجريمة القتل واختفاء الأدلة وتعلم كذلك أن سكوت سامرز ساعدها في الإفلات من العقاب. هجر الاثنان ولاية ويسكنسن بعد إغلاق ملف القضية وانتقلا للعيش هنا في مقاطعة برنس ويليام». تتابع تقليب الأوراق. أتناول ورقة من هنا وورقة من هناك فأقرأ ما فيها بنفسي. أعلم معظم ما فيها.

«أين هي المعلومات الجديدة؟ عائلتها، أو شيء من هذا القبيل».

«سنصل إلى هذا. نعم، والده ووالدته لا يزالان على قيد الحياة، لكني لم أستطع العثور على شيء مهم عنهما. يعمل الأب في تجارة العقارات، وتؤدي الأم أعمالًا تطوعية كثيرة. لا يبدو أن لأي منهما علاقة بهذا الأمر. إنهما الآن في الستينات. بدا لي أن في هذا شيئًا من هدر الجهد». تقول موضحة.

يبدو لي أن والديه اللذين بلغا الستين لا يمكن أن تكون لهما صلة بقضيتي. أعني أنني لا أستطيع تخيل أمي متورطة في جريمة قتل خبيثة. لكن، مع ذلك، ظل هارولد شيكمان الذي يلقبونه «د. موت» يقتل الناس حتى بلغ الخمسينات. وكانت لدى ذلك الثنائي في ولاية ميسوري هواية قتل الأشخاص المتجوّلين مع أنهما بلغا السبعينات. إذًا، لا يمكن اعتبار السن عاملًا يدعوني إلى استثناء أحد. إذا لم يظهر لي أمر اخر، فسوف أجعلها تواصل التحري كي أعلم أين كان الوالدان عندما قُتلت كيلي.

«ثمة أمر اخر، إن لدى كريغ شقيقًا اسمه نيكولاس

مكتبة ياسمين

ميلر. وبناءً على ما استطعت التوصل إليه، وهو ليس بالكثير، أظنه يعيش في هذه المنطقة».

أشرقت عيناي. ينبغي أن يكون هو الشخص المقصود. من غيره يمكن أن يرغب في قتل كيلي؟ أسألها: «أين يعيش؟ ما عمله؟ فلنبحث عنه!» هذا هو الأمر. هذا هو حبل النجاة. هذه هي المعجزة التي ستنقذني. سوف يكون كل شيء على ما يرام.

«أترى؟ هذا أمر آخر. اتصلت ببيته وتكلمت مع أمه. كان الحديث الذي جرى بيني وبينها سببًا آخر لاعتقادي بأن الوالدين لا علاقة لهما بشيء من هذا كله. كانت شديدة الود واللطف. وكان حديثي معها ممتعًا. قد أواصل الاتصال بها لأن أمي امرأة تافهة».

«لا بأس، فلنعد إلى موضوعنا، يا ريبيكا. في وسعنا أن نتكلم عن أفراد عائلتكِ بعد أن أنتهي من هذا الأمر».

«آسفة. على أية حال، سألتها عن نيكولاس لأن المعلومات التي استطعت الوصول إليها عن كريغ قالت إن لديه شقيقًا أكبر منه. قالت لي الأم إنه زارها منذ فترة وجيزة ثم سافر في اليوم التالي عائدًا إلى ميريلاند».

أقول: «ميريلاند! هذه ليست في ولاية فيرجينيا».

«صحيح، لكنها قريبة جدًا. ثمة مدن وبلدات كثيرة لا تبعد عنا أكثر من ساعتين، ومن الممكن أن يكون مقيمًا في واحدة منها. كان ممكنًا أن يفعل هذا بكل سهولة».

«كيف نعثر عليه؟».

تقول: «إنني أواصل بحثي. لم أستطع تحديد موقع نيكولاس ميلر، لكني وجدت أشخاصًا اخرين يحملون اسم العائلة نفسه. قررت أن أبدأ من هذه

النقطة وأن أرى إن كان من بينهم من يعرفه. هذا الاسم ليس شائعًا كثيرًا. بالتالي، من الممكن أن يبتسم لنا الحظ».

«لا بأس! إلى أي مدى يمكن اعتبار هذا الاسم غير شائع كثيرًا؟».

«لديّ قائمة فيها اثنان وسبعون شخصًا يحملون اسم العائلة نفسه ويقطنون في أماكن لا تبعد عن هذا المكان أكثر من ساعتين. بما أنه لا شيء يشغلك في الآونة الراهنة، فقد فكرت في أنك قادر على مساعدتي في التحقق من نصف الأسماء في هذه القائمة». تناولني صفحة كلها أسماء وعناوين وأرقام هواتف.

«في هذه الورقة نحو خمسين اسمًا. هذا ليس النصف!».

«أعلم هذا. ليس لدى عدد من هؤلاء الأشخاص أرقام هواتف. وهذا يعني أن عليّ أن أقوم ببعض الزيارات المنزلية. لو كنت مكانك لما تذمرت لأن حياتك في مهب الريح». تقول هذا كأنها تذكّرني.

أنظر إليها مستغربًا وأقول: «ثقي بأنني أعلم هذا».

«عظيم! ما عليك إلا أن تعمل على هذه الأسماء وسوف أعود في ساعة متأخرة من يوم غد. اتصل بي إذا وجدت شيئًا».

«وأنتِ أيضًا، اتصلي إذا وجدتِ شيئًا».

«بالطبع! سوف أتصل». تجمع حوائجها.

قبل ذهابها، أناديها باسمها. تلتفت وتنظر إليّ. أقول لها: «كوني بخير!».

تبتسم وتومئ برأسها، ثم تتركني في مكاني أحمل الورقة التي فيها الأسماء وأرقام الهواتف. قد يكون أي اسم منها ورقتي الرابحة! أحمل الهاتف الأرضي

وأبدأ الاتصالات.

35

سارة مورغان

أبلغتني أن في أثناء قيادتي السيارة أن الشريف ستيفنز رفض مقابلتي في مقهى سيث. لا أفهم شيئًا من هذا، لكني سأكتشف الأمر. لا وقت لديّ لهذه الألاعيب. لست واثقة تمامًا مما تغير. لقد تحول من مغازلتي والقول لي إنه سيساعدني في أي شيء إلى ذلك الانصراف المفاجئ في بيت البحيرة، وها هو الآن يتجاهلني. هل كان هذا نتيجة شيء قاله آدم؟ هل هدده آدم؟

أقود السيارة مباشرة إلى مركز الشرطة كي ألحق بالشريف ستيفنز قبل أن ينتهي عمله هذا اليوم. أنا في حاجة إلى عونه كي أعثر على جيس هوك. وأيضًا، لا تزال لدينا تلك الصورة التي أرسلها أحدهم إلى آدم. كائنًا من كان ذلك الشخص، فهو يعلم شيئًا، وأنا لا أزال راغبة في الاستماع إلى أقوال سكوت سامرز وزميله المغرور الشرطي ماركوس. لقد تعامل الاثنان معي بطريقة غير لطيفة.

أدخل موقف السيارات عند مركز الشرطة، أدخله بسرعة شديدة، ثم أندفع عبر باب المركز. أقول للمرأة الجالسة في مكتب الاستقبال: «أريد رؤية الشريف ستيفنز». تبدو المرأة بليدة، متعبة. لعل من الأصح القول إنها تبدو مرهقة متهالكة.

«ما اسمك؟».

«سارة مورغان».

«آسفة، إنه الآن مشغول. في وسعك القدوم لرؤيته في وقت لاحق».

«اسمعيني، يا سيدتي! قدت السيارة أكثر من ساعة كي أصل إلى هذا المكان. ينبغي أن أراه الآن».

مكتبة ياسمين

تنظر إليّ مستاءة، وقبل أن تتمكن من الكلام مجددًا والقول إن عليّ أن أذهب أو أنتظر، أسير مسرعة وأتجاوزها. أفتح باب مكتبه. الشريف ستيفنز جالس هناك يأكل سندويتشه، فينظر إليّ ويلقي السندويتش على الطاولة. «اللعنة! مارغي!».

تظهر موظفة الاستقبال من خلفي، تقول له: «آسفة، يا سيدي! لقد تجاوزتني. إنها شديدة الإلحاح». تقول مارغي هذا وتحاول أن تمسك بذراعي. أضربها بمرفقي فتضع يديها على بطنها متألمة.

أبتسم وأقول له: «أنا مسرورة جدًا لأنك سمحت لي بالدخول».

يتقبل الشريف ستيفنز الهزيمة ويشير إلى مارغي بالانصراف. يجلس ويستند إلى ظهر كرسيه. ثم يسألني: «ماذا تريدين، يا سارة؟».

«أريد عونك».

«قلت لكِ إنني صرت غير قادر على جعل أحد من رجالي يعمل على هذه القضية، لقد تم توجيه الاتهام».

أرشقه بنظرة حادة وأقول: «ماذا عن قولك لي إنك مستعد لمساعدتي بصرف النظر عن هذا؟».

«تغيرت الأمور».

«ما الذي تغير؟».

«على سبيل البداية، أقول لك إنني لم أعثر على أية أدلة جديدة». يضع يديه على صدره ويضغط رؤوس أصابعه معًا.

أجيبه: «لأنك لم تبحث عنها».

يشير إليّ بإصبعه: «إياك أن تجرني على التشكيك في تحرياتي. أنا أظن الآن أن آدم يمكن أن يكون هو

مكتبة ياسمين

القاتل».

تتسع عيناي دهشة. «ولماذا صرت تظن هذا على نحو مفاجئ؟».

«كانت هذه الفكرة موجودة في رأسي على الدوام. لكني فكرت في أنه قد تكون هناك احتمالات أخرى. إلا أننا لم نعثر على شيء. لذا، صارت القضية مغلقة».

«الأمور لا تجري هكذا».

يرفع كتفيه ويقول: «في حقيقة الأمر، ينبغي أن تكوني أعلم من غيركِ بأن الأمور تجري هكذا تمامًا. تعلمين أن نظام العدالة يعمل هكذا».

أعقد ذراعيّ على صدري محاولة إظهار مقدار استيائي منه. بالطبع، هكذا يعمل نظام العدالة. أعلم هذا، لكني لست في حاجة إلى أن أسمعه منه. أريده أن يتوصل إلى اكتشاف هوية صاحب نسق الـ DNA الثالث، وكذلك إن كانت لدى هذا المدعو جيس هوك أية معلومات إضافية.

أقول له: «الحقيقة أنك محظوظ لأنني قمت بالعمل بدلًا منك».

«لقد انتهى عملي هنا، يا سيدة مورغان. والآن، في وسعكِ أن تخرجي من مكتبي». يقول هذا ويشير إلى الباب.

«إذًا، من هو جيس هوك؟ هل بحثت في أمره؟».

ينظر إليّ حائرًا ويقول: «لا يذكّرني هذا الاسم بأي شيء».

«بالضبط، هذا ما ظننته. من الواضح أن جيس هوك كان مهووسًا بكيلي، بل كان يضايقها عمليًا. قالت لي برندا، التي هي زميلة لها في المقهى، إن جيس يكون موجودًا كلما كانت كيلي موجودة.

أتساءل كم كان جيس قريبًا منها، وأتساءل إن كان قد رآها تلك الليلة. ولعله هو من فعل ذلك. أو لعله رأى الرجل الذي فعل ذلك. أو لعله لم يكن الرجل الثالث في حياتها، لكنه يعلم شيئًا عن هوية ذلك الرجل». أنظر إليه وأرفع حاجبي.

لا يقول الشريف ستيفنز شيئًا. أستطيع رؤية أنه يفكر في كل ما سمعه مني. ألقي على طاولته بالمصنف الذي يضم المعلومات التي حصلنا عليها في ما يتصل بجيس. يقلّب الأوراق. على الصفحة الثالثة صورة كبيرة لجيس مأخوذة من صحيفة قديمة أيام أقام معرضًا فنيًا. شعره بني أشعث، ونظرته باردة. ليس مبتسمًا، لكنه يبدو معجبًا بنفسه.

يقول الشريف ستيفنز: «لقد رأيت هذا الشخص في المنطقة».

«وماذا أيضًا؟».

«سوف أنظر في أمره». يغلق المصنف.

«أود أن أكون حاضرة عند مقابلته».

«يا سارة، أنتِ لستِ من العاملين في مركز الشرطة».

«لا يهمني. كم من الوقت يلزمك حتى تأتي به؟».

يدعك جبينه بحركة تنم عن ضيقه، «لا بأس! أستطيع أن أرسل سيارة لإحضاره في غضون ساعة واحدة».

«ممتاز. سوف أكون في ردهة الانتظار. اكتب لي عند وصوله».

أغادر مكتبه وأخرج هاتفي. أكتب لان رسالة نصية: *وصلنا إليه. أعود في ساعة متأخرة، بعد الظهر.*

36

آدم مورغان

بلغت منتصف القائمة ولم أصادف نجاحًا بعد. لم يسمع أحد باسم نيكولاس ميلر. أقرر أن أستريح قليلًا بعد هذه المكالمات العقيمة وأن أصب لنفسي كأس ويسكي. هذه الزجاجة فارغة، لكن لديّ زجاجتي ويسكي غيرها أتت بهما سارة. أصب لنفسي كأسًا مزدوجة وأتجرعها، ثم أصب كأسًا أخرى. أتناول منها رشفات بطيئة في أثناء انصرافي إلى إشعال الموقد.

لا يزال ضوء النهار ساطعًا في الخارج، لكنني غير مهتم بهذا. أسدل الستائر وأجعل البيت مظلمًا إلى أقصى حد ممكن. يصير الموقد مصدر الضوء الوحيد. هكذا هو إحساسي الآن... في هذه اللحظة. ظلمة، ويأس، وانتظار ريثما يمضي الوقت. أتابع ارتشاف الويسكي بطيئًا. كلما كان شربي بطيئًا، كلما انقضى وقتي بطيئًا... ربما.

أظل جالسًا عشرين دقيقة كاملة، أظل غارقًا في اكتئابي. أهذا كل ما في الأمر بالنسبة إليّ؟ أرتكب غلطة واحدة فتنتهي حياتي كلها! كيف يكون هذا منصفًا؟ كيف يكون أي شيء من هذا منصفًا؟ صحيح أنني أستحق أمورًا كثيرة، لكن الحبس والإعدام ليسا من بينها. أظن أن هذه هي الحياة التي اخترتها بنفسي. هذا هو المسار الذي قررت المضي فيه. هكذا هو الأمر.

أحاول الاتصال بريبيكا بعد أن وصل الكحول إلى مجرى دمي، لكن المكالمة تنتقل إلى البريد الصوتي. صحيح أن تزك رسالة صوتية لا يعتبر شيئًا لطيفًا هذه الأيام، لكنني أترك لها رسالة صوتية: «مرحبًا،

مكتبة ياسمين

ريبيكا! هذا أنا... آدم. أنهيت نحو نصف القائمة، لكني لم أصل بعد إلى أي شيء. آمل أن يكون حظك أحسن من حظي. سأستريح الآن قليلًا، لكن سأعود إلى العمل. إذا أحببت أن تأتي لتناول العشاء، فأنت مرحّب بك. عندي شريحتا لحم في الفريزر. على أيّ حال، سأكلمك في وقت لاحق». أغلق الهاتف. تلك الدعوة إلى العشاء كانت من فعل الويسكي.

أتصل مرة ثانية. يرن الهاتف ويرن، ثم تنتقل المكالمة إلى بريد سارة الصوتي: «مرحبًا، يا سارة! هذا أنا، آدم. كنت أفكر فيكِ. اشتقت إليكِ. من فضلكِ، اتصلي بي. أحبكِ، يا سارة». أقطع كلامي وأغلق الهاتف.

لا أعلم ما يجعلها شديدة الانشغال إلى حد يمنعها من الرد على مكالمتي. لقد اتصلت بها في وقت سابق من هذا النهار، لكنها لم تجبني. أعلم أن الأمور اتخذت مجرى غريبًا ليلة الجمعة، لكني أظننا أمضينا لحظة حلوة. أظننا حققنا تقدمًا. لم أمد يدي بعد إلى صندوق الأدلة الذي أتت به. لا أزال أفكر في أن شخصًا من ماضي كيلي ينبغي أن يكون مسؤولًا عن مقتلها. إذا أقدم أحدهم على قتل شخص أحبه، فلن أترك الأمر، لن أتركه أبدًا. سوف أنتظر إلى أن تسنح لي فرصة الاقتصاص منه حتى إذا اقتضى الأمر سنوات طويلة، حتى إذا اقتضى عمري كله. أنا مقتنع حقًا بأن شقيق كريغ هو من فعلها. هذا هو التفسير الوحيد.

ولكن، من الممكن أيضًا أن يكون سكوت هو القاتل. عليّ أن أكلمه مرة أخرى. لقد فاجأني في المرة الماضية. لكني سأكون مستعدًا له هذه المرة. ينبغي أن أرى إن كنت أستطيع جعله يأتي إلى البيت. من الممكن أيضًا أن تكون سارة موجودة هنا، وذلك كي

تتاح لها فرصة قراءته. على الدوام، كانت لها تلك الموهبة... قراءة الناس. إلا أنها فشلت في ذلك طيلة الوقت الذي كنت أرى فيه كيلي. لعلها فقدت تلك الموهبة!

لدينا تلك الصورة أيضًا. من الذي يمكن أن يكون قد شاهدنا معًا؟ هل هو سكوت؟ أم لعله شخص قريب من سكوت!

ينفتح الباب الخارجي، ثم يُغلق. صوت خطوات في الممر. تدخل أمي مرتدية فستانًا طويلًا أسود اللون مزركشًا وحذاءً عالي الكعب. تضع على طاولة المطبخ كيسين من مشتريات البقالة.

أسمعها تسأل: «ما هذه الظلمة الشديدة هنا؟». وعلى الفور، تتجول في المكان وتفتح الستائر كلها فيتدفق إلى البيت طوفان من ضياء.

أنهض عن الأريكة وأدعك عينيّ اللتين تقلصتا لشدة الإضاءة.

«يا إلهي! أمي!».

«لا يجوز أن تعيش في كهف!». تعود إلى المطبخ وتبدأ إفراغ الكيسين.

أعيد قائمة أرقام الهواتف إلى مجموعة الأوراق وألحق بها إلى المطبخ. لا أريد أن جد نفسي مضطرًا إلى تفسير علاقتي بريبيكا أو إلى الحديث عما أقوم به من تحريات جانبية. سوف تطرح عليّ مليون سؤال وتصرّ على مساعدتي.

تسألني أمي: «ماذا فعلت اليوم؟».

«كنت أنجز بعض الأعمال. ماذا جلبت معك؟».

«هذه مأكولات تحبها - أصابع الجبن، ووجبات جاهزة، وحلوى الجيلاتين، ولبن رائب محلّى... المأكولات التي كنت تحبها في طفولتك». تبتسم

لي.

«لديّ اليوم أخبار سارَة».

تتوقف عما تفعله. تشرق عيناها. «هل أسقطوا الاتهامات؟ هل عثروا على القاتل الحقيقي؟». تكاد أمي تقفز لشدة الإثارة.

«لا، يا ماما. وكيلي الأدبي يعمل على إبرام صفقة كتاب من أجلي».

تخبو حماستها وتشغل نفسها بفتح عبوة من أصابع الجبن ثم تناولني إياها. تربت على كتفي وتبتسم لي. بدلًا من تقشير أصابع الجبن، أقضم جزءًا من نهايتها. أقول لها: «إنها رواية عن تفاصيل قضية جريمة القتل كلها. أمر كبير جدًّا، يا ماما. الرجل يطرح مبلغًا بالملايين، فضلًا عن اتفاق لتحويل الرواية إلى فيلم».

«أوه، يا عزيزي! هذا رائع! أنا فخورة بك. لو كان أبوك حيًا لكان فخورًا بك أيضًا». تحتضنني أمي وتشدني إليها بقوة.

بالنظر إلى ظروفي الحالية، لست واثقًا من صدق استجابتها.

«وأنتِ، ماذا كنتِ تفعلين؟».

«أنجزت بعض المهام. ذهبت أيضًا وتحدثت مع بعض المحامين».

يرتفع حاجباي وأقول لها: «لماذا؟».

«كي أضمن حصولك على أفضل دفاع ممكن. لقد اتضح لي أن كل محامٍ ذهبت إليه كان مقرًا بأن سارة مؤهلة جدًا للعمل على هذه القضية. لست واثقة من أنني أصدق هذا. لعل استجابتهم لها صلة بتلك النزعة السائدة هذه الأيام، نزعة تمكين المرأة!». تقول هذا ساخرة.

«ماما... كفَي عن هذا!».

«لكن الأمر يدهشني، مع ذلك. كنت أظن أن المحامين يجرون وراء سيارات الإسعاف وقد يقدمون على أي شيء لشدة جوعهم إلى المال. لم أجد واحدًا منهم مهتمًا بتولي قضيتك. وكأنهم يعتبرونها قضية خاسرة... لكن هذا لأنهم لا يعرفون ابني». تقرص خدي قرصة تحبّب.

أجيبها متهكمًا: «أمر مطمئِن جدًا».

«أعلم أنك بريء، يا دبدوبي. الأبرياء لا يذهبون إلى السجن».

«هذا غير صحيح أبدًا. في الواقع، هناك منظمات غير هادفة إلى الربح تعمل على تبرئة ساحة من أُدينوا ظلمًا».

«بصرف النظر عن هذا، أنت لن تذهب إلى السجن، وبالتالي فليس لك أن تترك هذا الأمر يقلقك. سوف أحرص على أن تنهي سارة هذا الأمر كله في أسرع وقت ممكن». تفتح واحدة من علب اللبن الرائب المحلّى وتقدمها إليّ، «والآن، أتيت كي أضع هذه المشتريات هنا قبل أن أعود إلى البلدة. لديّ التزام لا أستطيع التخلص منه، لكني سأعود غدًا».

تقبّلني على خدّي، ثم تخرج من البيت. أضع قطعة من سكاكر الطفولة في فمي وأضغط عليها بأسناني. تنبثق عصارتها فتوقظ حليماتي الذوقية كلها على طعم حلو لاذع، الطعم نفسه الذي أتذكره من أيام طفولتي. أضع بقية السكاكر في فمي وأعود إلى غرفة المعيشة. أتناول قائمة الأرقام الهاتفية، عليّ الانتهاء من هذه الأرقام كلها. الأبرياء يذهبون إلى السجن، وأنا لا أريد أن أكون واحدًا ممن يذهبون إليه. أرفع سماعة الهاتف وأبدأ طلب الأرقام.

37

سارة مورغان

بعد نحو ساعة، يخرج الشريف ستيفنز كي يستدعيني. تبدو هيئته أكثر انغلاقًا، أكثر قليلًا، لكنه يكون لطيفًا معي عندما يكلمني. كأنه يخوض مع نفسه معركة كي يقرر كيف ينبغي أن يكون مسلكه معي، كيف ينبغي أن يعاملني، كيف يريد أن يبدو في نظري.

«نحن الآن مستعدون من أجلكِ، يا سارة». يربِّت على كتفي لحظة أقضم قطعة من سندويتش بائت اشتريته من آلة البيع. أقول له إنني آتية، وأعيد تغليف ما بقي من السندويتش. لقد عاد إلى مخاطبتي باسمي، سارة! أنا غير قادرة على قراءة هذا الرجل، لكني أحس أنه يخفي شيئًا أو، على الأقل، لا يبوح لي بالحقيقة كلها.

«سوف أضعكِ في غرفة المراقبة في أثناء طرحي الأسئلة على جيس هوك».

نسير جنبًا إلى جنب. تصطدم يده بيدي. يقول لي إنه آسف، ويبتسم لي.

«من هذه الناحية!». يوجهني إلى دخول الغرفة الصغيرة ذات نافذة المراقبة الكبيرة التي تكشف غرفة الاستجواب. إنه المكان نفسه الذي هجم فيه سكوت على آدم، المكان نفسه الذي علمت فيه بخيانات آدم وأكاذيبه كلها. جيس هوك جالس على الكرسي نفسه الذي جلس عليه آدم ذات مرة. أعرفه من صورته مع أنها صورة ملتقطة منذ سنين. وجهه الآن غير حليق، وهو نحيل، هزيل. شعره البني الرمادي الأشعث كأنه لم يعرف المشط منذ أيام. يرتدي بنطلون جينز وسترة فضفاضة لها قبعة. يبدو

الرجل مذعورًا. هذا أول ما تلمحه العين. الخوف ظاهر في عينيه.

أهو من فعلها؟ هل يعلم من فعلها؟ ما سبب خوفه؟ ممن هو خائف؟ يبدو لي شخصًا متوترًا... بعض الأحيان، يوحي التوتر بالخوف. لكن هذا يبدو شيئًا مختلفًا. لعلي أبالغ في محاولتي قراءته! لعلي آمل أن يكون الأمر أكثر من حقيقته، ولعلي آمل أن تكون لديه الإجابات التي أحاول البحث عنها. لست ممن يجلسون وينتظرون الإجابات. أنا ممن يسعون إليها. أكره هذا! أكره الانتظار. أكره ألّا أعلم شيئًا.

بعد لحظة أو لحظتين، يدخل الشريف ستيفنز ويجلس قبالة جيس. تتسع عينا جيس. يزداد اضطرابه ويتململ غير مرتاح في جلسته. أستطيع رؤية صدره يعلو ويهبط وهو يستنشق أنفاسًا عميقة. ينظر من حوله. يضغط الشريف ستيفنز على مفتاح آلة التسجيل الموضوعة عند حافة الطاولة، ثم يجلس قبالة جيس. إنه هادئ، صامت، لكن جيس بدأ يتعرق. ينظر في كل ناحية من الغرفة إلا ناحية الشريف ستيفنز. بل إنني أضبطه يسترق نظرات إلى النافذة التي أجلس خلفها. أحس عيناه تنظران إليّ مباشرة... تكادان تحاولان أن تقولا شيئًا لمن قد يكون جالسًا خلف هذا الزجاج.

يطرح عليه الشريف ستيفنز سؤالًا: «أخبرتنا برندا جينسون العاملة في مقهى سيث أنك كنت تكثر من زيارة الضحية، كيلي سامرز، خلال الأيام والأسابيع، أو خلال الشهور، التي سبقت مقتلها، هل هذا صحيح؟». يبدو على جيس أنه صار أكثر ارتياحًا بعد سماعه هذا السؤال. يشد ظهره ويزيح شعره عن عينيه، ثم يضم يديه المستريحتين على الطاولة أمامه. يجيب بصوت هادئ: «هذا صحيح. كنت على

معرفة بكيلي سامرز لأني أكثر التردد على مقهى سيث، لذا هذا صحيح. كانت خدمتها تعجبني حقًا».

ينظر إليه الشريف ستيفنز كأنه يحاول تقييمه. يسأله: «تعجبك خدمتها!».

يومئ جيس برأسه، «هذا صحيح».

«ماذا تعني بهذا؟».

«كانت لطيفة جدًا. كانت تحرص على إعادة ملء فنجاني؛ وكنت أخرج من مقهى سيث راضيًا كل مرة».

يرشقه الشريف ستيفنز بنظرة غاضبة، عندها أتساءل إن كان جيس يحاول التلاعب به، يحاول خداعه. «ماذا تعني بقولك إنك كنت تخرج راضيًا؟».

يجيبه سريعًا: «لحسن الخدمة». أكاد أسمع الشريف ستيفنز يئن يائسًا. الظاهر أن جيس استطاع استعادة الثقة التي لم تكن لديه من قبل. لست أدري ما الذي تغير.

«بما أنك كنت تكثر الذهاب إلى مقهى سيث، فلا بد أنك لاحظت مع من كانت كيلي سامرز تكثر الحديث».

«هذا صحيح». يعقد جيس ذارعيه على صدره.

«قالت برندا إنها تظنك كنت مهووسًا قليلًا بكيلي. وقالت إن اهتمامك بها كان يزعجها».

من جديد، يزداد جيس ضيقًا. يبدو عليه عدم الارتياح. تتسرب ثقته هاربة من جسده مثلما يتسرب الرمل في ساعة رملية. يقول بآخر ما بقي فيه من ثقة بالنفس: «هذا غير صحيح».

«ما الشيء غير الصحيح في هذا؟». يقلد الشريف ستيفنز طريقة جلوس جيس فيعقد ذراعيه على صدره.

«لم أكن مهووسًا بكيلي. كنا صديقين».

«لا بأس! كيف يمكن أن يكون شخصان صديقين فيقول أحدهما للآخر أن يتركه أو يطلب من زملائه التدخل؟».

ينعقد حاجبا جيس ويقول: «ما الذي تحاول قوله؟».

«مما أسمعه، يبدو لي أن كيلي لم تكن تحس بالراحة في حضورك. كانت تطلب من زملائها -من برندا خاصة- أن يخدموا طاولتك عندما تأتي؛ وذلك لأنك، مثلما قالت: 'تجعلها تحس انزعاجًا'. ما قولك في هذا؟».

يحمر وجه جيس احمرارًا شديدًا. أستطيع رؤيته يطلق زفيرًا شديدًا يتطاير معه شعره المنسدل على عينيه. «إنها كاذبة. أنا وكيلي كنا صديقين. أعطتني رقم هاتفها، وكل شيء». يقول هذا ويضرب الطاولة بقبضة يده.

«صحيح، علمنا أنك كتبت إليها رسالة ليلة مقتلها قلت فيها إنك آسف. ما الذي كنت تعتذر عنه؟».

«لا أدري. كانت ممتنعة عن الرد على مكالماتي الهاتفية. ظننت أنها غاضبة مني لأمر من الأمور». يقول هذا بعد أن استعاد رباطة جأشه. يكتفي برفع كتفيه.

«لا يبدو لي أنكما كنتما صديقين فعلًا».

«بل كنا صديقين».

«هل أنت قادر على إثبات هذا؟ على إثبات صداقتكما؟».

«طبعًا، أستطيع ذلك. أعرف أسماء أصدقائها أو، على الأقل، أعرف الأشخاص الذين كانت تمضي معهم وقتًا طويلًا. كان واحد منهم شرطيًا». يرفع

مكتبة ياسمين

جيس رأسه ويرفع حاجبيه أيضًا.

«ألست تعني الشرطي سكوت سامرز الذي هو زوجها؟». يتململ الشريف ستيفنز في جلسته ويستند بمرفقيه إلى الطاولة. صمت في الغرفة، وكل من الرجلين يحدق في عيني الآخر. لا يأتي جيس بأية حركة. يكتفي بالتحديق. يهتز هاتفي مرة بعد مرة بعد مرة. ينصرف تركيزي عن جيس والشريف ستيفنز وأخرج هاتفي من حقيبتي. لديّ أربع رسائل نصية من آن. أفتح الرسائل:

تلقى آدم اليوم زيارة من فتاة ذات شعر أحمر. لست واثقة من هويتها، لكني سأكتشف ذلك.

أنفق آدم عشرة آلاف دولار على شراء فراش مع مستلزماته.

من الواضح أنها مراسلة صحفية.

أجرى آدم خلال أربع وعشرين ساعة مضت اثنتين وعشرين مكالمة هاتفية مع اثنين وعشرين رقمًا هاتفيًا مختلفًا.

أفرغ من قراءة ما كتبته آن وأعود إلى محاولة تركيز انتباهي على الشريف ستيفنز وجيس هوك. الظاهر أن الجو تغير عندما صرفت انتباهي عنهما. تحول إلى... لست واثقة تمامًا مما تحول إليه. لكنه قد تحول.

أعلم أنني طلبت من آن مراقبة آدم، لكنها بالغت في الأمر إلى حد صار مزعجًا لي. ذلك العدد من المكالمات الهاتفية! قلت لها إنني أريد معرفة كل شيء. لكن «كل شيء» كثير جدًا! وتلك الفتاة ذات الشعر الأحمر التي استأجرها كي تساعده! أف، يا آدم! ها هو يعود إلى إخفاء أموره عني. هل أستطيع أن أتوقع منه أي شيء آخر؟ لا. ولا حتى في أدنى الحدود. هذا، على وجه التحديد، ما جعلني أطلب

مكتبة ياسمين

من أن أن تحرص على إبقائه تحت المراقبة طيلة الوقت. لست في حاجة إلى أية مفاجآت أخرى، مفاجآت مثل جيس هذا. يعود انتباهي إلى غرفة التحقيق.

«هل رأيت يومًا الشرطي سكوت سامرز يؤذي كيلي سامرز؟».

«هل تقصد إيذاءها لفظيًا أم جسديًا؟».

«أقصد الأمرين معًا. لقد ذكرت كيلي أمام عدة أشخاص أنه كان يؤذيها لفظيًا وجسديًا. هل أنت قادر على تأكيد هذا، أو نفيه.

يصمت جيس لحظة وتجول عيناه في الغرفة قبل أن تعودا إلى الشريف ستيفنز. يجيب: «كان شخصًا مؤذيًا من الناحيتين اللفظية والجسدية، وقد شهدت الأمرين بنفسي».

«هل حدث أن رأيت كيلي مع آدم مورغان؟».

«حدث ذلك. رأيتهما معًا».

يهتز هاتفي من جديد. أنظر إليه فأرى رسالة أخرى من آن:

بوب يسأل عنكِ. يبدو غاضبًا... كعادته.

أجيبها برسالة سريعة:

سأكون هناك بعد الظهر.

ينفتح الباب فيسرق انتباهي. أرفع رأسي لحظة ثم يعود انتباهي إلى غرفة التحقيق عندما أرى أن من دخل الغرفة هو الشرطي هدسون. الحقيقة أنني غير قادرة على التعامل معه في هذه اللحظة. أسأله من غير أن ألتفت كي أنظر إليه: «ما سبب تشريفك، أيها الشرطي هدسون؟».

«أوه، ها نحن نبدأ بالمجاملات!».

«عظيم. ماذا تفعل هنا، بحق الجحيم؟».

مكتبة ياسمين

يبتسم ويقول: «هذا أفضل، أتيت من أجل بعض التسلية فحسب».

«تسلية!».

«نعم. كما ترين، وعلى الرغم من نقائصه كلها، الشريف ستيفنز ممتاز فعلًا في هذا النوع من العمل. وأنا أستمتع حقًا برؤيتهم يتلوون أمامه ألمًا قبل أن ينهاروا. يكاد هذا أن يكون فنًا».

«قد أصدق هذا. أعني أنني، من وقت إلى آخر، أجد الأمر ممتعًا. لكن، ليس في هذه المرة. لا... أظنك هنا لسبب آخر». ألتفت وأنظر إلى الشرطي هدسون محاولة قراءة ما في ذهنه.

«هل هذا صحيح؟ من فضلكِ، أيتها المحامية الحالمة، نوّريني وقولي لي ما تعتقدين أنني لا أعلمه».

«أنت هنا كي تحمي مؤخرتك. أنت هنا كي تعلم إن قيل شيء لا تريد له أن يُقال، حتى لا يكون ذلك مفاجأة لك، حتى يتسنى لك وقت للتخطيط من أجل العثور على مخرج. لا أعلم ما تفعله، لكن رئيسك هنا، وهو يعالج الأمر. كل ما يُقال مسجّل، تستطيع الاستماع إليه في أي وقت لاحق. لذا، سأسألك مرة أخرى، ماذا جئت تفعل هنا؟».

ينظر ماركوس هدسون إليّ وهو يدير عود التبغ في فمه. تُلقي عيناه على وجهي نظرات سريعة، مرة بعد مرة. الآن، هو الذي يحاول قراءة ما في ذهني، يحاول العثور على ما يشير إليه بما ينبغي عليه فعله. «لعلك محقة! أستطيع الاستماع إلى هذا في أي وقت يعجبني. وبما أنك أوضحت لي تمامًا أنك لست مسرورة بوجودي، فأظن أنني سأنصرف». يتجه إلى الباب ويفتحه، «أتمنى لك يومًا لطيفًا، يا سيدة مورغان»، يقولها مع ابتسامة ملصقة على

مكتبة ياسمين

وجهه.

أرفع إصبعي الوسطى في وداعه. ليست لديّ أية فكرة عما يعتزم فعله، لكن الأمر ناضح بالريبة.

عندما يعود انتباهي إلى غرفة التحقيق، أرى الشريف ستيفنز ينهض واقفًا كي ينصرف. يبدو جيس مرتاحًا. بعد لحظة من ذلك، يدخل الشريف ستيفنز غرفة المراقبة.

يستند إلى الجدار ويقول لي: «جرى الأمر على نحو أفضل مما توقعت».

«هل ستتركه يذهب؟ أهذا كل ما في الأمر؟».

لا أزال ممزقة بين رسائل آن وملاسنتي الغريبة مع الشرطي هدسون والكلام الذي سمعته بين الشريف ستيفنز وجيس.

«لا. سنواصل اختباره. لدينا سبب لذلك... طالما هو موجود هنا، وطالما ظل متعاونًا معنا، ففي وسعنا فعل ذلك».

أومئ برأسي. إجابة غير مرضية تمامًا، لكني سأقنع الآن بما أستطيع الحصول عليه.

أغلق دفتر ملاحظاتي وأنظر إلى الشريف ستيفنز بكل ما لديّ من انتباه. «والآن، ماذا ترى؟».

«أرى أن جيس، في حقيقة الأمر، لا يعلم أي شيء. أظن أن الحكاية كلها هي أنه كان شديد الميل إلى كيلي. لا شيء أكثر من ذلك».

«هل كان مهووسًا بها؟».

يجيبني: «على الأرجح».

«هل قال أي شيء ذا قيمة؟».

«لا يبدو لي أنه قال شيئًا مهمًا. ولكن، إذا تبين وجود تطابق بينه وبين نسق الـ DNA الثالث، فسوف يدفعنا ذلك إلى احتجازه من أجل متابعة

مكتبة ياسمين

استجوابه».

تجعلني إجابته أحس أنني بدأت أفهم الأمور من جديد على الرغم من عدم إحساسي بأنني أفهمها. لا يزال هناك أمر لا يبدو لي سليمًا.

يسألني: «هل تريدين أن أوصلك إلى البيت بسيارتي؟».

أجيبه: «لا. هل سيطول انتظار ظهور نتائج اختبار الـ DNA؟».

«سوف أطلب من المختبر الفراغ من ذلك سريعًا، خلال أربع وعشرين ساعة».

«هل تخبرني بالنتيجة فور ظهورها؟».

يومئ برأسه ويقول: «بالطبع».

أنصرف واثقة من أنه سيفعل ذلك. لست أدري ما جعله يتخذ قرارًا مفاجئًا بأن يساعدني مع أنه كان يبدو كمن صرف النظر عن القضية كلها. ماذا تغير؟ لعله يعتقد أن لجيس صلة بمقتل كيلي، أو يعتقد أن جيس يمكن أن يعلم شيئًا. لا بد أن يكون جيس هو من فعلها. لا بد أن يكون صاحب ذلك النسق الثالث من الـ DNA. من بين الذين استمع إليهم الشريف ستيفنز، أو الذين استمعت إليهم، لم يأت أحد على ذكر رجل غيره. إلا إذا كانت كيلي -بالطبع- قد احتفظت بالرجل الثالث سرًا وأخفته عن الجميع. لكن، لماذا؟ لم تكن تحاول إخفاء أمر آدم. يعلم بأمرهما أشخاص كثيرون في البلدة. آمل أن يكون نسق الـ DNA الثالث موافقًا لجيس. لقد سئمت عدم حصولي على الإجابات. والآن، لا بد لي من وضع حد لتلك الأمور الغبية التي يفعلها آدم.

38

آدم مورغان

سرق الكحول بعض ذكرياتي. آمل ألا أكون قد حصلت على معلومات مهمة من المكالمات التي أجريتها، لأنني إن كنت قد حصلت على معلومات، فأنا غير قادر على تذكرها. أقرر أن أبدأ بآخر رقم هاتفي أستطيع تذكر أنني اتصلت به.

بعد تناولي سندويتشًا وقدرًا من رقائق البطاطس، وبعد إغفاءة قصيرة لاستعادة الطاقة، أحس الآن أنني صرت أحسن حالًا. بدأت أعود مثلما كنت. أعني بهذا أنني بدأت أعود يائسًا، محبطًا. لكن، صاحيًا بكل تأكيد. إنني في مواجهة عقوبة الإعدام. لا أكاد أستطيع أن أحس بأي أمر آخر. لكنني أقاوم أثر الويسكي، أقاومه الآن.

أرفع السماعة وأبدأ طلب الرقم. يرن الهاتف ويرن ويرن، ولحظة انتقال المكالمة إلى البريد الصوتي، ينفتح باب البيت بقوة.

«آدم!».

إنها سارة. لست في حاجة إلى رؤيتها حتى أعلم أنها هي. أستطيع سماع انزعاجها في ذلك الصوت... في أي مكان وفي أي وقت.

أضع السماعة سريعًا وأحاول أن أبدو مسترخيًا في جلستي على الأريكة. تدخل سارة غرفة المعيشة غاضبة، متسعة العينين.

عظيم! ما ذنبي هذه المرة؟ ماذا فعلت؟ لا يمكن أن يكون أي شيء فعلته أكثر سوءًا من إقامة علاقة غرامية ومن مثولي أمام القضاء في جريمة قتل عشيقتي. أقول لها بقدر من التهكم: «مرحبًا، يا حبيبتي!».

مكتبة ياسمين

أدرك من نظرة عينيها أنها لا تراني إلا مشكلة، إلا موكلًا لا بد من التعامل معه. أين ذهبت سارة التي كانت هنا ليلة الجمعة؟ الحب الذي كان بيننا يبدو كأنه قد اختفى، وأنا غير قادر على لومها. حسبها أن تنظر إليّ! وجهي تسكنه لحية شعثاء غير معتنى بها. ولا شك عندي في أن عينيّ المحمرتين صارت لهما جيوب متورمة. شعري في حال مزرية، ولا أزال أرتدي البيجاما وثوب البيت. فضلًا عن هذا، علينا عدم نسيان الوضع الذي وصلنا إليه نتيجة لأفعالي.

تقول مشيرة إليّ: «لا تقل لي مرحبًا يا حبيبتي! ما قصة ذات الشعر الأحمر؟ وما قصة المكالمات الهاتفية؟ وما قصة العشرة آلاف دولار التي أنفقتها اليوم؟». تنظر إليّ غاضبة. لعلها لا تزال مهتمة بي! أول أسئلتها كان عن ذات الشعر الأحمر، هل تشعر بغيرة؟ منذ زمن بعيد، لم أرَها تغار. لعلها لا تزال تحبني بعد كل ما جرى!

أرفع يدي وأقول: «أستطيع تفسير هذه الأمور كلها».

«إذًا، فسّرها». تجلس على الكنبة وتضع ساقًا فوق ساق.

«لا بأس، ذات الشعر الأحمر، اسمها ريبيكا. وهي مراسلة صحفـــ...».

«مراسلة صحفية؟ هل تتكلم مع مراسلين صحفيين؟ ألا تدرك أنهم يحاكمونك بجريمة قتل وأن عقوبة الإعدام ستكون مطروحة أمام المحكمة؟».

«أفهم هذا، يا سارة. أفهمه أكثر من أي شخص آخر». أصرّ على أسناني.

هذه هي مشكلتي مع سارة، هذه هي بالضبط... تعاملني كأنني شخص غبي. ماذا تتوقع أن أقول ردًا

مكتبة ياسمين

على هذا؟ أأقول: أوه، اللعنة! شكرًا لأنك تذكّرينني؟ لقد نسيت أنني رهن الاعتقال المنزلي وفي انتظار محاكمتي.

«هل تفهم هذا حقًا؟» واضح أن هذا ليس سؤالًا.

أقول: «إنها تساعدني».

«إنها مراسلة صحفية. أنت لست أكثر من قصة؛ ثم إنك لا تعرف هذه المرأة. يجري الان اختيار أعضاء هيئة المحلفين، وآخر ما أريده، ظهور شيء في الصحافة من شأنه أن يؤثر على آرائهم. قصة صحفية واحدة تلقي عليك ضوءًا غير ملائم قادرة على تخريب الأمر كله. هل تفهم هذا؟».

«ثمة اتفاق بيني وبين ريبيكا. سوف تعرض القصة من وجهة نظري، وأنا أدفع لها مالًا كي تساعدني في تحرياتي». أنتصب في جلستي وأستند بمرفقي إلى ركبتي.

«تحرياتك؟! ما معنى هذا؟ ثمة الآن تحريات جارية في شأن شخص واحد هو جيس هوك. ماذا تظن نفسك فاعلًا، يا آدم؟». تهز قدمها صعودًا ونزولًا وتعدّل وضع تنورتها. يحمر وجهها وتطلق زفرة منبئة بضيقها. أعلم أن تدخلي يزعجها لأنها تظن نفسها أفضل من يعلم، وقد كنت أصدق هذا، لكني لم أعد الآن على ثقة تامة منه.

«من هو جيس هوك؟».

«تمامًا! ليس لديك أية فكرة عما يجري في قضيتك. هذه هي المشكلة». تقول هذا وفي صوتها قدر من الضيق.

«أنا حبيس هذا البيت. لا أستطيع مغادرته. بالتالي، إذا كان هناك شيء لا تخبرينني به، فلن أعرفه أبدًا. أحاول النظر إلى كل شيء لأنني لا أعرف شيئًا».

أنظر إليها متجهمًا.

«هل هذا تهديد؟».

«لماذا تعتبرين هذا تهديدًا؟». يحيرني سؤالها ويحيرني تغير نبرة صوتها. تتململ غير مرتاحة في جلستها.

«لا شيء. لا أهمية لهذا». تنهض واقفة وتحمل الصندوق الذي أتت به تلك الليلة. تلقيه على الطاولة الصغيرة أمامي. وتقول لي: «هذا ما ينبغي أن تركز عليه اهتمامك».

«من هو جيس هوك؟».

تنفخ غاضبة وتقول: «كان جيس هوك يتردد على مقهى سيث. قالت واحدة من زميلات كيلي إنه كان مهووسًا بها وإنه كان يثير انزعاجها. لهذا السبب، نحاول التحقق من أمره».

«وماذا أيضًا؟».

«نجري عليه الآن اختبار DNA. قد يكون مطابقًا للنسق الثالث الذي وجدوه في كيلي. استجوبه الشريف ستيفنز اليوم ساعة كاملة. كنت هناك، لكن انتباهي تشتت قليلًا. سوف أعيد الاستماع إلى التسجيل الصوتي».

أقول متهكمًا: «ما أروع سماع أن انتباهكِ قد تشتت في أثناء عملكِ على قضيتي!».

«صحيح. أنت من كان يشتت انتباهي. الفتاة ذات الشعر الأحمر، وتلك النقود، والاتصالات الهاتفية. من فضلك، ألن تعود إلى توضيح ذلك كله؟». صوتها ينضح بالضيق وبالغضب.

«مثلما قلت لك، تساعدني ريبيكا في النظر بأمر أقارب زوج كيلي الأول. أظن أن ذلك الجزء من حياتها له علاقة وثيقة بمقتلها». أنهض واقفًا

وأسكب لنفسي كأس ويسكي.

تقول سارة بنبرة حادة: «لن يفضي هذا إلى أي شيء».

«لماذا؟ هل تقصّيت عن هذا الأمر؟».

«أظن أن الشرطة فعلت ذلك وأن قصة ظهور شخص من ماضيها يأتي كي ينتقم منها لا تبدو أمرًا قابلًا للتصديق».

«تظنين أن الشرطة فعلت ذلك؟! كنت آمل ألا تكون محاميتي التي تدافع عني في هذه القضية تستند إلى الظنون». أفرغ الكأس في جوفي. في هذه اللحظة، أنا غير قادر على التعاطي معها. إنها تظن! متى كانت الظنون قادرة على الفوز في قضايا المحاكم؟ أنا في حاجة إلى حقائق. أنا في حاجة إلى أدلة. بحق الجحيم، ما هذا الذي تفعله سارة؟

«أنت تفهم ما أعنيه، يا آدم».

أقول معترضًا: «واضح أنني لا أفهمه». هل تقاتل من أجلي حقًا، أم أنها تدرك مسبقًا حقيقة أن هذه قضية خاسرة؟ هل قررت الاستسلام لحظة تولت هذه القضية؟ أما من أمل لي؟

«ألم تكن من قبل مقتنعًا بأن سكوت له علاقة بمقتل كيلي؟ أنت تقول لي الآن إنك مقتنع بأن الفاعل شخص من ماضيها؟ هذا أم ذاك؟».

«قال سكوت إنه لم يؤذ كيلي يومًا، وأظنني أصدقه. استنادًا إلى هذا، قد لا تكون له أية علاقة بالأمر».

«لقد أكد جيس هوك أنه شهد سكوت يسيء إلى كيلي لفظيًا وجسديًا. فلماذا يكذب؟».

«انتظري لحظة! هل قال جيس هذا؟ لكن سكوت أقسم لي أنه لم يؤذها يومًا».

«هل يمكن أن يقدم شخص عاقل على الإقرار بأنه كان يسيء معاملة زوجته المتوفاة؟».

إنها محقة! وأنا غبي جدًا. بدا لي أنه يقول الحقيقة. بدا لي أنه... أنه أراد مساعدتي. لعله أراد مساعدتي! إن كان يسيء إليها فهذا لا يعني أنه هو من قتلها. لست مدركًا ما أقول. بالطبع، يمكن أن يكون هو القاتل. إن له طبعًا صعبًا، إنه وغد. من الممكن أن يفلت بفعلته، أليس شرطيًا؟ قد يكون عليّ ألا أسقطه من حسابي استنادًا إلى حديث جرى بيننا. هذه القضية متشابكة كثيرًا، ولست واثقًا من أنني أنظر إلى الشخص الصحيح، أو حتى في الاتجاه الصحيح. لكني لا أستطيع الاستسلام الآن. لم يبق على بدء محاكمتي أكثر من أسبوعين. لا بد أن يكون هناك من يعلم شيئًا.

تشير سارة إلى الأوراق المتناثرة على الأريكة إلى جانبي. تسألني، «ما هذا كله؟».

أقول لها: «هذا من أجل تحرياتي». أحاول جمع الأوراق في رزمة واحدة. لا أريد أن تنظر فيها. إن كانت لا تريد مساعدتي، فلا حاجة إلى وجودها هنا. لديّ عمل لا بد لي من إنجازه. أراها تنظر إلى قائمة الأرقام الهاتفية، تتابع الأسماء واحدًا فواحدًا. ما الذي تبحث عنه؟ أم أنها تحاول استرضائي فقط؟ تحاول جعل الأمر يبدو كأنه مهم في نظرها؟ تتمهل عيناها أكثر مما توقعت. أخيرًا، تضع الورقة من يدها.

تقول: «نعم. أنت تضيّع وقتك...». تتوقف لحظة... «فيم أنفقت عشرة آلاف دولار؟».

«وما شأنك بهذا؟ كان المال لي، دفعة مقدمة من أجل الكتاب». أقول هذا بنبرة تمزد واضحة.

«إذًا، لا بأس! نبقى على اتصال». تنهض واقفة

مكتبة ياسمين

وتبدأ السير صوب باب البيت. كيف علمت بأمر ريبيكا والمكالمات الهاتفية؟ وكيف علمت بأمر المال؟ إنها تراقبني! أو أنها جعلت أحدهم يراقبني. لكن، لماذا؟ ألكي تساعدني؟ ألكي تؤذيني؟ أم كي تضبط سلوكي؟

تتوقف قبل ذهابها وتلتفت إليّ. تقول: «بالمناسبة، إذا انتهى بك الأمر إلى السجن، وإذا لم تنه ذلك الكتاب، فسوف أجد نفسي مضطرة إلى إعادة تلك الدفعة المقدمة. لذا، أرجو أن تكف عن إنفاق مالي... يا وغد!».

«ظننت أنه مالنا معًا، يا سارة. نحن متزوجان. ألا تتذكرين؟».

تنظر إليّ عابسة: «أوه، هل تذكرت زواجنا عندما كنت تضاجع تلك النادلة؟».

أشيح بوجهي لحظة. لقد أصابت مني مقتلًا.

تضرب الأرض بقدمها. «هكذا هو الأمر».

«بصرف النظر عن ذلك، لم تعودي مضطرة إلى أن تقلقي على مالكِ. إنني أكتب رواية واقعية. ومنذ الآن، ثمة عروض متنافسة كثيرة من أجل كتابي».

ينفتح فمها دهشة. وتجيبني: «لا يمكن أن تكون جادًا في هذا. إنني أبذل ما أستطيع من أجل قضيتك. وأنت تحوّل الأمر كله إلى سيرك مجنون، أنت وأمك وأوهامها». ترفع يديها وتقول: «لقد فاض بي الكيل».

تستدير وتخرج من البيت، ثم تصفق الباب من خلفها بقوة.

39

سارة مورغان

أقود سيارتي عائدة إلى المدينة. أقود غاضبة. عيناي مثبتتان على المساحة التي تنيرها مصابيح سيارتي. أنا في غضب شديد جدًا. لا بد لي من ضبط سلوك آدم. إنه يخرّب القضية كلها. ومن الواضح أيضًا أنه عاد إلى الإكثار من الشرب. زجاجة الويسكي تلك كانت ملأى عندما زرته يوم الجمعة. ماذا يظن نفسه فاعلًا؟ يكلِّم مراسلة صحفية! ويتصل بكل من يمكن أن تكون له صلة بزوج كيلي الأول! يكتب رواية! أنا واثقة من أنه يناقش قضيته مع وكيله الأدبي، مع أنه لا يجوز أن يناقشها مع أحد. يفعل كل ما من شأنه أن يفسد الأمر كله.

أضرب مقود السيارة براحة يدي، أضربه حانقة. «اللعنة على هذا! اللعنة! اللعنة!». أضرب المقود من جديد.

أتصل بآن عبر الجهاز الذي في سيارتي. تردّ منذ الرنة الأولى مثلما تفعل دائمًا.

«مرحبًا، كيف جرت الأمور مع آدم؟».

« الأمر ليس حسنًا. إنه يعمل مع مراسلة صحفية من أجل إجراء تحرياته الخاصة. وهو يكتب رواية يتحدث فيها عن القضية».

أطلق بوق السيارة لأن شخصًا يقود سيارة نقل صغيرة أمامي بسرعة منخفضة جدًا. أنحرف عن الطريق وأتجاوز تلك السيارة ماضية في سبيلي. في السيارة امرأة ورجل عجوزان. ماذا أصابني؟ لقد أرهقني آدم، أرهقني كثيرًا. أستنشق نفسًا عميقًا محاولةً تذكير نفسي بأن كل شيء سينتهي بخير.

تسألني آن: «لماذا يفعل هذا؟».

مكتبة ياسمين

«من الواضح أنه غير واثق بما أفعله من أجل قضيته».

«لكنك تفعلين كل ما تستطيعين فعله. هذه قضية صعبة».

«بل إنني أعطيته نسخًا من الأدلة كلها حتى يشعر بأنه مشارك في العمل».

«هل فعلتِ هذا حقًا؟». كان صوت آن وديعًا.

«طبعًا. لكنه لم يلقِ عليها نظرة واحدة. كان من الممكن أن أستفيد من معونته لأن من المفيد وجود عينين إضافيتين تنظران في تلك الأدلة. فوق هذا، صار يشرب كثيرًا. أريد أن تجعليهم يفصلون خط الهاتف في بيت البحيرة. لا أريد أن يدمّر قضيته بنفسه عبر اتصالاته الهاتفية الثملة».

«سأفعل هذا. هل هناك شيء آخر؟».

«رتبي لي غدًا موعد اجتماع مع بوب. عليّ أن أكون واثقة من عدم وجود أية مشكلات في الشركة لأني لا أحب أن ينتهي بي الأمر من جديد بالذهاب إلى مكتب كِنت».

«سأفعل هذا».

«أنا ذاهبة الآن إلى البيت. أعود إلى المكتب في الصباح».

«جيد، اعتني بنفسكِ، يا سارة. أراكِ صباح غد».

يهتز الهاتف معلنًا وصول رسالة نصية. إنها رسالة من ماثيو:

ألا نتعشى الليلة؟ ما رأيك في الساعة السابعة وثلاثين دقيقة في مطعم كابيتال غريل؟

تقودني نادلة ترتدي زيًا رسميًا وتسير بي في المطعم إلى طاولة جلس إليها ماثيو. أمامه زجاجة شامبانيا مفتوحة. ماثيو يرتدي بدلة جميلة

مكتبة ياسمين

التفصيل. ينهض واقفًا عند اقترابي، ثم يعانقني ويقبلني على خدي.

أجلس وأقول: «آسفة لتأخري. كان عليّ أن أتعامل مع جنون آدم».

«لا مشكلة. ماذا يفعل آدم الآن؟». يصب كأس شامبانيا ويقدمها إليّ. أنظر إلى الكأس، وأتناولها، ثم أشربها دفعة واحدة.

«يشرب حتى يثمل ويتصل بعشرات أرقام الهاتف العشوائية. يكتب رواية عن الجريمة ويعمل مع مراسلة صحفية تساعده في تحرياته!». ترسم يداي قوسين مزدوجين من حول كلمة «تحرياته» لأني أرى ذلك أمرًا في غاية السخف.

«لا تغيرات كبيرة». يضحك ماثيو ويتناول رشفة شامبانيا من كأسه.

أعيد ملء كأسي. «ما معنى هذا؟».

«على الدوام، لدى آدم مَيل إلى كل ما هو دراماتيكي».

«لا أستطيع مجادلتك في هذا».

أفتح قائمة الطعام وأنظر فيها مع أنني تناولت طعامي في هذا المكان عشرات المرات وكنت أطلب الطبق نفسه دائمًا: أضلاع مشوية مع الصلصة والخل المعتّق خمس عشرة سنة.

«وما أخبار إليانور؟».

«كعادتها دائمًا، لئيمة، متحاملة، فظة، متعالية... هل قلت إنها لئيمة؟».

يقول ماثيو: «صحيح، هذه هي».

«لقد أتت أيضًا على ذكر أبي وأمي».

يميل برأسه ويسألني: «هل فعلت هذا حقًا؟ ماذا قالت؟».

«من حيث الأساس، قالت إن عليّ أن أتجاوز الأمر».

يمد يده عبر الطاولة ويضغط على يدي. يقول لي: «تجاهليها. ليست أكثر من عاهرة بائسة».

أبتسم له ابتسامة صغيرة. نرفع كأسي الشامبانيا ونقرعهما، ونشرب.

ينظر إليّ ماثيو ويسألني: «هل تعلمين؟ لا أزال غير قادر على فهم ما يجعلكِ تدافعين عن زوجك في هذه القضية؟».

أتنهد وأقول: «لأنه زوجي. وبصرف النظر عما يجعلني أعانيه، لا أزال أحبه في أعماق قلبي».

«هل هذا صحيح؟».

أضحك وأقول: «أعني... في أعماق قلبي، في أعماقه البعيدة».

«لا تستطيع فعل ما تفعلين إلا امرأة قوية».

«لكن، هل تراني مجنونة لأنني أفعل هذا؟».

يغلق قائمة الطعام ويقول: «أتريدين الصدق؟».

«بالطبع».

«ما كان عليكِ أن تتولي هذه القضية. وأنا لا أظنكِ قادرة على محاكمة الأمور بشكل صحيح لأن لها معنى شخصيًا بالنسبة إليكِ. أعلم أن آدم شخص تافه، لكنه يستحق دفاعًا سليمًا».

أغلق قائمة الطعام بحركة عنيفة. «ما هذا الذي تقول؟ وأين رأيتني أتصرف بشكل غير صحيح».

يفرقع بأصابعه ويجيبني، «لا تكوني حادة معي، فأنا قادر على أن أكون أكثر منك حدَة».

أنظر إليه غاضبة.

يتنحنح ويقول: «مثلما كنت أقول لك... أنت

تدفعين هذه المحاكمة بسرعة كبيرة. لماذا؟».

«لديّ أسبابي، وهي ليست من شأنك».

«بل هي من شأني. تذكري أنني أساعدك في هذه القضية».

أنفخ مستاءة. كنت أتوقع أن تكون هذه وجبة عشاء ممتعة. لماذا يشكك في مقاصدي؟ أجيبه: «آدم وإليانور يريدان محاكمة سريعة. هذا من حقهما».

ينظر إليّ مضيّقًا عينيه: «عليكِ أن تنصحيهما بعكس ذلك».

«رئيس الشركة يريد أن تنتهي القضية سريعًا. وأنا لا أنال نصيبي من الأرباح أثناء عملي عليها». أقول هذا همسًا.

«هذا ليس عذرًا. دعي محاميًا آخر يتولى القضية بدلًا منكِ».

أضرب الطاولة بقبضة يدي فأجعل أدوات الطعام تقفز في مكانها. «تعلم أن ما من محامٍ غيري له أي حظ في كسب هذه القضية».

يسترخي ماثيو في جلسته ويقول: «مهلًا! مهلًا!».

أعيد ترتيب أدوات الطعام أمامي، «آسفة! لكني لا أفهم ما يجعلك تعترض على ما أفعله. ظننت أنك صديقي».

«أنا صديقكِ، وهذا تحديدًا ما يحملني على الاعتراض. لا أريد أن تلقي صلتك الشخصية بالقضية ظلها على أحكامك. أنت محامية ممتازة، أعطني سببًا وجيهًا واحدًا يفسّر استعجالك سير هذه القضية». يعقد ذراعيه على صدره ويميل برأسه جانبًا.

أنظر إلى الطاولة، ثم إلى المطعم، ثم تعود عيناي

إلى ماثيو. «لقد تسربت قصة ماضي كيلي إلى الصحافة. إذا استطعنا عرض هذه القضية أمام هيئة المحلفين بينما لا تزال المعلومات طازجة في أذهان الناس فسوف يمنحنا هذا فرصة الاستفادة من وجود شكوك معقولة تحول دون إدانة آدم».

يومئ ماثيو برأسه فأتابع كلامي، «لا نعلم هوية صاحب نسق الـ DNA الثالث. وعلى نحوٍ ما، يمكن أن تكون عدم معرفتها أمرًا مفيدًا لنا. إذا علمنا هوية ذلك الشخص وتبين لنا أن لديه إثباتًا مقنعًا على وجوده في غير مكان الجريمة، فسوف يضر هذا بقضيتنا».

يومئ ماثيو برأسه مرة أخرى.

أضيف: «يصح قول الأمر نفسه على الشخص الذي أرسل الصورة ورسالة التهديد التي كتبها عليها. لا يستطيع ذلك الشخص أن يثبت وجوده في غير مكان الجريمة إذا كنا لا نعرف هويته».

يبتسم لي. «هذا كل ما كنت في حاجة إلى معرفته. يبدو لي أن أحكامكِ أكثر وضوحًا مما ظننت. والآن، دعينا نتناول طعامنا!». يقول ماثيو هذا لحظة تقترب النادلة من طاولتنا.

بعد ساعة من ذلك، أدخل بيتنا في واشنطن، أو، من الأصح أن أقول، «بيتي». أدخل حاملة علبة فيها بقية طعام العشاء مع زجاجة نبيذ اشتريتها في طريق عودتي إلى البيت. آمل أن تتمكن آن غدًا من فصل خط هاتف بيت البحيرة. لا أستطيع ترك آدم يفسد كل شيء. أمضي فترة المساء في ارتشاف النبيذ ومراجعة معلومات القضية كلها. يداهمني النعاس قرابة الساعة العاشرة. لم أكن أريد هذا، لكن... إنه النبيذ!

بعد وقت طويل من ذلك، أسمع صوت خطوات

تصعد السلم. إن لديّ توقًا شديدًا إلى... إلى شيء ما، منذ أن بدأت هذه المحنة. منذ فترة طويلة، أحس بالحاجة إلى شيء، إلى أي شيء. أستطيع أن أحس بضغط الهواء يتغير قليلًا، وأعلم أن باب الغرفة قد انفتح. أعلم أنني لم أعد الشخص الوحيد في الغرفة. أحدّق في السقف؛ ومن غير إضاءة، يبدأ سقف الغرفة في تحوله إلى غيوم زرقاء وسوداء، ومن خلفها شيء يلوح. أبدأ بالارتفاع عن الفراش، وتصير الغرفة أكثر دفئًا، أحسها أكثر ألفة من أي وقت مضى. أحس بعينين تنظران إليّ، تحاصرانني كأنني فريسة في الظلام. لكنني لست خائفة، على العكس تمامًا. أنا مرتدية ملابس داخلية من الدانتيلا، قطعة لحم مجهزة للتقديم.

ينضغط الفراش كأن عليه ثقلًا، وأحس أنفاسًا قريبة مني. يدان ناعمتان تنزلقان على بطني، ثم تمسكان بثدييّ وتداعبانهما. تتسارع أنفاسي. أريد هذا، أريده أكثر من أي شيء. أحس دبقًا ونداوة في سروالي الداخلي. كأن شيئًا يداعبني فأبدأ الأنين، ثم أحس شيئًا داخلي. تتحقق كل رغبة عندي، وتصير مشبعة كأن الأفكار في رأسي يجري إسقاطها على الجدار وتنجلي أسرارها. ومع بلوغي لحظة الذروة، أصير مستنفدة أكثر مما كنت على امتداد أيام كثيرة. سرعان ما أغرق في النوم وأهبط عائدة إلى الفراش أطارد إحساسًا جديدًا بالتوق.

وعندما أستيقظ صباح اليوم التالي، أحس فراغًا إلى جانبي تمامًا، في فراشي. لا أطيق انتظار حلول يوم تغلق فيه هذه الثغرة إلى الأبد. سدّ قائم كي يوقف جريانًا من غير نهاية إلى العدم، جريانًا يحمل في تياره رغباتي كلها. لقد قررت أن أطلّق ادم عندما ينتهي هذا الأمر كله بصرف النظر عما ستفضي إليه

محاكمته. سوف أفعل ما هو أفضل لي، حان وقت ذلك. إذا برّأته المحكمة، فسوف تكون له فرصة بدء حياته من جديد. لكني لا أريد أن أكون جزءًا منها.

يهتز هاتفي فألتقطه وأنظر إليه. إنها رسالة من آن تقول فيها إن بوب قد غيّر موعد اجتماعنا إلى الساعة الثامنة وثلاثين دقيقة.

أكتب لها قائلةً إنني سأكون هناك. اللعنة عليك، يا بوب!

أرتدي ملابسي سريعًا، وأذهب إلى المكتب. عادة ما أكون هناك قبل الساعة الثامنة بزمن طويل، لكني تأخرت هذا الصباح بعد أن جاءني زائري آخر الليل. تناولني آن فنجان قهوة لحظة ينفتح باب المصعد. تبدو متألقة، مبتهجة على الرغم مما نحن فيه. يحاول المراسلون الصحفيون دخول المبنى كي يجروا مقابلات معي؛ وهم يتصلون بالمكتب من غير انقطاع. بذلت آن جهدًا كبيرًا كي تبقيهم بعيدًا عني.

«صباح الخير، يا سارة. بوب ينتظركِ في مكتبكِ». تقول هذا وتنظر إليّ بعينين مشفقتين. أنظر إلى ساعة يدي.

أسألها: «لماذا؟ لم تبلغ الساعة بعد الثامنة والربع».

«لا أدري. حاولت جعله ينتظركِ، لكنه أصرَ. آسفة».

«هذه ليست غلطتكِ. نعلم أن بوب... هو بوب. اهتمي بمكالماتي ريثما أفرغ منه».

بوب واقف عند النافذة ينظر إلى الخارج. ومع انفتاح الباب، يلتفت إليّ.

«لطيف منك أن تأتي».

«أنت من أتى مبكرًا ربع ساعة». أضع حقيبتي على المكتب وأدور من حوله كي أصل إلى مكاني. أجلس على الكرسي وأبدأ تصنيف أوراقي. أسأله: «ماذا

تريد؟».

«أريد أن نتكلم». يسير إلى الناحية الأخرى من مكتبي ويجلس على كرسي.

أقول له: «ما من كلام بيننا، يا بوب». أضغط على شفتيّ.

«نحن نتكلم الآن. أود أن أعلم ما يجري في قضية زوجكِ».

«هذا ليس من شأنك. ثمة من يهتم بالقضية». أتناول رشفة من فنجان القهوة.

«كيف أستطيع مساعدتكِ؟».

«لست في حاجة إلى مساعدة منك. على أية حال، لماذا تجد نفسك راغبًا في مساعدتي؟».

«لأن الأمر كله ليس في مصلحة الشركة. أريد إغلاق هذه القضية والانتهاء منها».

«إنني أعمل عليها».

«إذًا، لماذا أتلقى مكالمات هاتفية من مراسلين صحفيين؟».

أعيد ترتيب بعض الأوراق على مكتبي. «أنت مسؤول عن العلاقات العامة في الشركة. أعتقد أن هذا هو السبب، يا بوب. أما إذا كنت تريد مساعدتي فعلًا، فأنا في حاجة إلى...». يرن هاتفه فيقاطعني في منتصف جملتي. يرفع إصبعه ويخرج الهاتف من جيبه. ينظر إلى الرقم ثم يومئ برأسه لكنه يبدو حائرًا. يرد على الاتصال.

يقول في الهاتف: «بوب ميلر». ثم يصمت بضع لحظات. «رقم خاطئ». يغلق الهاتف.

أسأله: «أهو مراسل صحفي؟».

«شيء من هذا القبيل...». يصمت لحظة... «والآن، ماذا كنت تقولين؟».

«بما أنك على معرفة بالمراسلين الصحفيين في هذه المنطقة، أريد منك أن تتولى أمر ريبيكا سانفورد».

«كيف أتولى أمرها؟».

«إنها تتدخل في القضية. أريد أن يتوقف هذا. هل تستطيع معالجة الأمر؟».

«هل أستطيع معالجة الأمر؟ هذا أمر ظريف، يا سارة! اعتبري الأمر منتهيًا». يضحك وينهض واقفًا... «أنا موجود هنا إن كنتِ في حاجة إليّ». ويسير خارجًا من مكتبي.

تدخل آن مسرعة بعد انصراف بوب. تسألني: «ماذا يريد؟».

«أوه... إنه بوب المعجب بنفسه دائمًا».

«بالمناسبة، اتصلت شركة الهاتف قبل قليل وأكدت لي أن هاتف بيت البحيرة قد تم فصله».

«ممتاز! انتهينا من أمر كان يثير انزعاجي». أقول لها هذا وأنا أنظر في مجموعة الأوراق أمامي.

تسألني آن: «هل استطعتِ التوصل إلى معرفة بمن كان آدم يتصل؟».

«ما من شيء يستحق القلق... إنني أتابع كل شيء». آمل أن أكون محقة في ما قلته لها، فأنا أعاني بما فيه الكفاية، حتى من غير إضافة أي جديد. تومئ آن برأسها وتخرج من غرفة مكتبي. يرن الهاتف في مكتبها. وبعد لحظات، تكلمني عبر الإنترفون. تقول: «الشريف ستيفنز يتصل بك».

أرفع سماعة الهاتف وأجيبه فيقول لي: «لطيف أن أسمع صوتك من جديد، يا سارة!».

«ما الذي أستطيع فعله من أجلك، أيها الشريف ستيفنز؟».

«أتصل كي أخبرك أن نتائج تحليل الـ DNA الخاصة بجيس قد وصلت. اتضح أنه ليس مطابقًا».

اللعنة! كيف يمكن ألَا يكون هو؟ إن لم يكن هو، فمن يكون؟ لعل هذا النسق الثالث من الـ DNA لا علاقة له بالقضية كلها، أو لعل له علاقة بها! لكني لن أجد راحة قبل أن أعرف.

«هل أنت واثق من هذا؟».

«مئة بالمئة».

«وماذا الآن؟».

«لا أستطيع فعل الكثير لأن القضية صارت مغلقة. لكني سأحاول تسقُّط الأخبار من أجلكِ، وسأُعلمك إن سمعت شيئًا».

أقول، «أشكرك!». أحس نفسي مهزومة.

«إنني آسف، يا سارة. أعلم أن هذا صعب عليكِ... لكن، أرجو أن تتصلي بي إن كنتِ في حاجة إلى أي شيء».

«بالتأكيد. شكرًا، أيها الشريف!». أقول هذا وأنهي المكالمة. أهوي بقبضة يدي على الطاولة. لست أدري ما يجعله يتصرف هكذا. أتراه يحاول مساعدتي أم يحاول مساعدة نفسه؟ لكني لا أستطيع الآن أن أشغل بالي به. يكاد الوقت ينفد ولم أقترب بعد من الحصول على الإجابات التي أنا في أمس الحاجة إليها.

40

آدم مورغان

أمضيت الشطر الأكبر من الليلة الماضية في متابعة اتصالاتي الهاتفية الثملة؛ وكنت ثملًا إلى حد جعلني أتصل مرتين بعدد من تلك الأرقام. ماذا دهاني، بحق الجحيم؟ لا أستطيع حتى أن أساعد نفسي. من المنتظر أن تأتي ريبيكا هذا الصباح أو، على الأقل، هذا ما أتذكر أنها قالته لي الليلة الماضية. لكن، مع ذلك، من الممكن أن أكون مخطئًا. بصرف النظر عن هذا، لا تزال أمامي خمس مكالمات هاتفية ينبغي إجراؤها، من الأفضل أن أفرغ منها قبل وصول ريبيكا.

أستيقظ وأستحم للمرة الأولى منذ أيام. أشذّب لحيتي (قررت الإبقاء عليها)، ثم أرتدي ملابس مقبولة إلى حد ما.

أطلب الرقم الأول فينطق المجيب الآلي بصوت امرأة تقول إن اسمها كريتشن. أشطب ذلك الرقم في قائمتي.

أتصل بالرقم الثاني فتجيبني امرأة، لا تفهم شيئًا مما أقول. فأشطب رقمها في القائمة.

أطلب الرقم الثالث فيجيبني صوت رجل. بدوره، لا فكرة لديه عما أبحث عنه. أجده فظًّا قليلًا. ينهي المكالمة من جانبه.

الرقم الرابع يخص رجلًا عجوزًا يجد صعوبة في الكلام. يبدو لي أنه قد خضع لعملية استئصال الحنجرة. أنهي المكالمة عندما يبدأ سرد قصة حياته. إنه رجل عجوز، وحيد، والظاهر أن حاله مثل حالي؛ لم يعد لدى أي منا زمن كافٍ.

الرقم الخامس، الرقم الأخير. أتلقى إجابة منذ

الرنة الأولى تقريبًا. يجيبني الرجل مسرعًا فلا ألتقط اسمه... لعل اسمه روب! لكني لست واثقًا من هذا. على الفور، أبدأ توضيح ما أريد لأنني لم أستطع التقاط ما قاله لي.

أقول: «مرحبًا! أبحث عن شخص اسمه نيكولاس ميلر. إنه شقيق كريغ ميلر وصهر كيلي سامرز. اسمي آدم مورغان، وأنا في حاجة إلى الكلام مع نيكولاس. إنها مسألة حياة أو موت». هذه مكالمتي الأخيرة. أدعو الله أن يكون هذا الرجل على معرفة به. إن لم يعرفه، فهذا يعني أن ريبيكا لم تعطني الأرقام كلها، أو أنني سهوت عن شيء عندما كنت أشرب وأتصل.

يقول الرجل: «رقم خاطئ»، ثم ينهي المكالمة على الفور.

أرمي السماعة من يدي، «اللعنة!». لماذا يحدث لي هذا؟ آمل أن تكون ريبيكا قد استطاعت التوصل إلى شيء. ينبغي أن تكون قد وجدت شيئًا. أضرب الهاتف، وأهوي بقبضتي على الطاولة الصغيرة. أنهض واقفًا وأصب فنجان قهوة، ثم أعود إلى الأريكة. ليت فنجان القهوة كان كأس ويسكي! أشرب القهوة قبل أن تبرد فتحرق لساني وحلقي، إحساس مختلف عن إحساسي بالويسكي. هذا مؤلم، لكنه يجعلني أحس نفسي حيًا.

عليّ أن أعثر على ريبيكا. أنا في حاجة إلى وجودها هنا. لا أستطيع فعل هذا من غيرها. إنها أملي الأخير. أرفع سماعة الهاتف وأضعها على أذني، لكني لا أسمع طنينًا. الخط مقطوع. أنقر على مفتاح الهاتف عدة مرات عساني أسمع طنينًا. لكن، لا شيء. اللعنة على هذا! لقد أتلفت الهاتف اللعين! أستند إلى ظهر الأريكة وأضع يديّ على وجهي. أقرص جلدي.

لا يمكن أن يحدث لي هذا! لا يمكن أن تكون هذه حياتي!

أحدهم يقرع الباب. أنهض واقفًا وأجري إليه. أفتحه. إنها ريبيكا! ما أسعدني لرؤيتها! أحتضنها. تصرّف غريب، لكني لست أبالي. تدفعني عنها وتتخلص من عناقي.

«ماذا أصابك؟». تبعدني عنها وتتجاوزني وتدخل البيت. تلقي بحقيبتها على الأريكة، وتمد يدها إلى فنجان قهوتي.

«من فضلكِ، قولي لي إنكِ عثرتِ على شيء!».

تجلس وتقول: «ربما».

«ماذا تعنين بقولكِ ربما؟». أذرع غرفة المعيشة منتظرًا إجابتها.

هكذا هو الأمر... وقتي ينفد؛ أنا وسارة، من الواضح أننا غير متفاهمَين. إنها تطارد شخصًا اسمه جيس وترى أن نظريتي خاطئة تمامًا. لقد أتلفت الهاتف. لا أستطيع مغادرة هذا البيت البعيد عن كل شيء. محاكمتي تبدأ بعد تسعة أيام. تتناول ريبيكا بضع رشفات من قهوتي، ثم تضع الفنجان على الطاولة أمامها. تخرج من حقيبتها مجموعة مصنفات. تفرز ثلاث منها عن البقية. تلقي بالمصنفات الباقية على الطاولة.

«هؤلاء الثلاثة هم الأوثق صلة بحياة كيلي في الماضي. جميعهم يعيشون ضمن نطاق مئة وخمسين ميلًا من مقاطعة برنس ويليام. يحتوي كل مصنف على سيرة ذاتية وصورة فوتوغرافية ومعلومات عن خلفية الشخص. لدى اثنان منهم سوابق جنائية. واحد منهم ليست لديه سوابق جنائية. هذا كل ما سمح لي الوقت بإنجازه. لكنها بداية حسنة».

مكتبة ياسمين

آمل أن أهتدي إلى أمر ما من خلال واحد من أولئك الثلاثة، لكني لست واثقًا كيف يمكن أن يحدث هذا ولا إن كان ممكنًا أن يحدث. أنا في حاجة إلى ما هو أكثر من بداية حسنة. أنا في حاجة للوصول إلى خط النهاية.

أفتح واحدًا من المصنفات. امرأة في أواسط العمر اسمها شيريل، تعيش على مسافة ساعة ونصف الساعة. لها طفلان. عدد من مخالفات القيادة السريعة، واتهام بسوء السلوك. امرأة قاسية المظهر لها شفتان رقيقتان وأنف مدبب.

توضح ريبيكا: «هذه شيريل. إنها ابنة عم كريغ».

«ما رأيكِ فيها؟».

«إنها قريبته؛ وهي تعيش قريبًا من هنا، قريبًا بما يكفي لأن تكون قد ارتكبت الجريمة. لكني لا أظن العلاقة كانت وثيقة بينها وبين كريغ. يبدو لي أن لديها ما يكفيها من المشكلات الخاصة بحياتها».

أجد ما قالته ريبيكا معقولًا فأغلق المصنف وألقيه على الطاولة الصغيرة. أفتح المصنف الثاني. صورة رجل في أواسط العمر له عينان داكنتان وشعر أسود ذو تسريحة معتنى بها جيدًا. «يبدو هذا الرجل وغدًا حقيقيًا». هذا أول ما يتبادر إلى ذهني. اسمه نيكولاس روبرت ميلر. ليس له ماضٍ جنائي. وجهه يبدو مألوفًا لي، لكني لا أستطيع تحديده. لقد رأيت هذا الرجل فيما مضى.

«ما قصة هذا الشخص؟».

«إنه شقيق كريغ. يعيش في واشنطن. ليس له ماضٍ جنائي. من الواضح أن العلاقة بينهما كانت وثيقة. هذا احتمال ممكن بالتأكيد، لكن الوقت لم يسنح لي بأن أتحقق من مكان وجوده تلك الليلة.

انطلاقًا من هذا، يمكن أن يكون موضع شبهة».

أقول: «يبدو وجهه مألوفًا».

«ماذا؟».

«نعم. لكني غير قادر على تحديده، لقد رأيت هذا الرجل من قبل».

«إن كانت له أية صلة بالأمر، فلا بد أنه كان يراقبكما أنت وكيلي. لعلك رأيته في المنطقة، في مقهى سيث، مثلًا!».

«هذا أمر محتمل. لكن لديّ إحساسًا يقول لي إنني تكلمت معه».

ترفع ريبيكا حاجبيها وتقول: «لعلك تكلمت معه».

أغمض عينيّ محاولًا البحث في ذاكرتي عن تلك اللحظة. لقد تحدثت مع هذا الرجل فيما مضى، لكن، أين؟ أين ومتى جرى حديث بيني وبينه؟ أحاول تذكر المرات التي ذهبت فيها إلى مقهى سيث، والمرات التي غازلت فيها كيلي ونظرت إليها وجلست منتظرًا انتهاء فترة عملها. حدث أحيانًا أن تبادلت الحديث مع أشخاص آخرين في المقهى. فهل رأيت هذا الرجل هناك؟ هل كان هو من بادرني بالكلام؟ أواصل النظر إلى الصورة بضع لحظات أخرى، لكني لا أستطيع تذكر شيء. أضع المصنف على الطاولة وأتركه مفتوحًا آملًا أن تفلح أي التفاتة إليه في إطلاق شرارة في ذاكرتي.

أستنشق نفسًا عميقًا وأفتح المصنف الثالث. لا أعرف المرأة التي في الصورة. اسمها مادي بريْنز. كانت خطيبة كريغ السابقة. امرأة قصيرة القامة لها شعر بني طويل. تبدو لي غير جذابة على الإطلاق.

أرمي المصنف على الأرض.

تسألني ريبيكا: «ماذا؟ ما الأمر؟».

«هو ليس واحدًا من هؤلاء جميعًا. ظننت أنك تساعدينني». تكاد تقفز من مقعدها. تتسع عيناها فأفقد أعصابي. أذهب إلى البار وأشرب جرعة ويسكي كبيرة.

تقول ريبيكا: «إذًا، قد تكون زوجتك محقة. قد لا يكون القاتل شخصًا من ماضي كيلي».

أشرب جرعة كبيرة أخرى. «لا بد أن يكون شخصًا من ماضيها».

«ليس بالضرورة. ما هذا؟» تسألني ريبيكا وتشير إلى الصندوق الذي على الطاولة الصغيرة.

أجلس إلى جانبها وأقول: «هذه أدلة القضية كلها، أتت بها سارة».

«هل نظرت فيها؟». تنحني فوق الصندوق وتخرج محتوياته.

لقد انتهى أمري. أدفن رأسي بين يديّ.

«أليست هذه هي الصورة مع رسالة التهديد التي كنت تحدثني عنها؟». تحمل ريبيكا الصورة وترفعها، «الصورة التي أتتك قبل أسبوعين من الجريمة».

لم أرَ هذه الصورة منذ يوم عثوري عليها في صندوق بريدي.

تقلب الصورة مرة بعد مرة، وتتفحصها جيدًا. تقول لي: «ينبغي أن يكون هذا دليلًا ذا قيمة. ليس معقولًا أن يكون لا شيء».

أنظر إلى الطاولة فتلتقط عيناي كتابة أخرى بخط اليد. من جديد، أنظر إلى الصورة التي في يد ريبيكا.

أقول لها: «انتظري»، تتوقف عن تقليب الصورة. آخذ الصورة منها وأقلبها على وجهها، على الوجه الذي يحمل الكتابة، ثم أنتزع بطاقة ملصقة على

واحد من مصنفات الأدلة مكتوبًا عليها «للإرسال». أحمل الصورة والبطاقة معًا، أحملهما جنبًا إلى جنب.

مكتوب على البطاقة: «*هذه نسخ من ملفات القضية التي طلبتها مني*».

تسألني ريبيكا: «ما هذه؟».

«ألا ترين الأمر؟». أنظر إليها، ثم أعود فأنظر إلى الكتابة على كل من الصورة والبطاقة.

«أرى ماذا؟».

تتابع عيناي منحنيات الحروف، تتابعانها مرة بعد مرة. أقول: «إنهما بخط اليد نفسها».

41

سارة مورغان

لا أزال غير مرتاحة لأمر ذلك النسق الثالث من الـ DNA، وأنا لا أريد المضي في هذه القضية من غير أن أعرف من يكون صاحبه. لا تلزمني أية مفاجآت جديدة. سهرت الليلة الماضية بطولها أراجع كل صلة من صلات كيلي، كل صلة استطعت العثور عليها، فضلًا عن مراجعة الحديث الذي جرى بين الشريف ستيفنز وجيس هوك. أعلم أنني سهوت قليلًا أثناء تلك المقابلة ففاتني أمر ما. تذكرت توتره في تلك المقابلة، وكيف تحول المزاج من متوتر إلى مسترخٍ، ثم عاد متوترًا. أليس هذا أمرًا غريبًا؟ كان الأمر كأن ثمة صراع قوة بين جيس والشريف ستيفنز. ما سبب ذلك؟ لست أدري! لعلهما يعلمان أمرًا لا أعلمه. مع ذلك، ثمة شيء قاله جيس فجعلني أفكر مرتين، وإذا كانت ظنوني محققة فهو يفسر كيف أن أحدًا لم يرَ كيلي مع الرجل الثالث ويفسر أيضًا سبب لجوء ذلك الرجل الثالث إلى استخدام هاتف مؤقت ذي رقم غير مسجل.

أدعك جبهتي وأتناول جرعة من قهوتي الفاترة على طاولة مكتبي.

أنادي: «آن!».

تدخل آن مرتدية فستانًا طويلًا ضيقًا وقد ربطت شعرها في عقدة واحدة واطئة.

«ماذا، يا سارة؟ أتريدين مزيدًا من القهوة؟».

«الحقيقة أن ذلك سيكون أمرًا رائعًا». أنظر إلى فنجاني نصف الفارغ، «ولكن، هل تستطيعين أن تطلبي الشريف ستيفنز وتصليني به عبر الهاتف؟».

تومئ آن برأسها، ثم تخرج. أنتظر بضع لحظات، ثم

مكتبة ياسمين

أرفع سماعة الهاتف.

أسمعه يقول: «هنا الشريف ستيفنز».

«مرحبًا، أنا سارة».

«ما سبب هذا الاتصال السار؟». في صوته قدر من الغزل.

«لديّ دليل في ما يتصل بنسق الـ DNA الثالث».

يسعل الشريف ستيفنز، وللحظة أظن أن خط الهاتف قد انقطع. «قلت لكِ، يا سارة. أريد مساعدتكِ، لكن القضية قد أُغلقت. لا أستطيع فعل المزيد».

«إذًا، ليس عليّ إلا أن أتحرى عن الأمر بنفسي». أقول هذا وأهم بوضع سماعة الهاتف.

«لا بأس! إلى من تتجه شكوككِ؟».

«راجعت تلك المقابلة التي أجريتها مع جيس فانتبهت إلى قوله إنه كان يرى كيلي أحيانًا مع شرطي...».

يقاطعني: «صحيح، تعلمين أن زوجها، سكوت يعمل شرطيًا».

«صحيح ما تقول، وقد افترضت في بداية الأمر أنه كان يعنيه بكلامه. ولكن، ماذا لو لم يكن يعنيه؟ ماذا لو أن كيلي كانت على علاقة غرامية بشريك سكوت؟ أعني الشرطي ماركوس هدسون».

«هذا اتهام غير بسيط، يا سارة. هل لديك أي برهان على ذلك؟». يبدو عليه الانزعاج، وأظن أن من حقه تمامًا أن ينزعج. فخلال الأسبوع الماضي، اتهم واحد من عناصره بأنه كان يضرب زوجته، وها أنا الآن أتهم شرطيًا آخر بأنه كان على علاقة غرامية بزوجة زميله، وبأن من المحتمل أن يكون هو من قتلها. الحقيقة أن هذا يعطي صورة سيئة عن مركز

مكتبة ياسمين

شرطة في بلدة صغيرة.

«ليس لديّ ما يثبت ذلك. ولكن، لا بد أن كيلي كانت على معرفة جيدة جدًا بالشرطي هدسون. كان أمرًا في غاية السهولة أن ينشأ تقارب بينهما. وهذا يفسر استخدامه هاتفًا مؤقتًا ويفسر أيضًا حقيقة أن أحدًا لم يرهما معًا. لا شك في أن هذا شيء يسعى الرجل إلى إخفائه».

«لن أستدعي الشرطي هدسون لاستجوابه ولا لإخضاعه إلى اختبار الـ DNA من غير أن يكون لديّ دليل. هذا سخف، يا سارة!».

«إذًا، فلنحضر جيس مرة ثانية، ولنطلب منه أن يحدد هوية ذلك الشرطي».

«الأمر منتهِ، يا سارة! لا مجال لقول دعنا نفعل كذا وكذا. هذا التحقيق تحقيقي، وهو الآن مغلق». يقول الشريف ستيفنز هذا ثم ينهي المكالمة.

تدخل آن غرفتي وفي عينيها نظرة ذعر.

أدفن رأسي بين يديّ، وأطلق صيحةً مكتومة.

«هل أنتِ بخير؟».

أنظر إليها وأقول: «لا، لست بخير».

تندفع صوبي، وتجلس أمامي. «ما المشكلة؟».

«كل شيء. زواجي انتهى. يحاكمون زوجي بتهمة القتل. لا أتلقى أي عون من مركز شرطة مقاطعة برنس ويليام. لقد وصلت إلى طريق مسدودة في هذه القضية».

تميل آن برأسها وتضع كلتا يديها على يديّ. وتقول لي: «سوف تصل الأمور إلى حل في نهاية المطاف. تأكدي من هذا». أظن أنها تعني ما تقول، أو أنها، على الأقل، تصدق ما تقول.

أستنشق نفسًا عميقًا قبل أن أتكلم. وأقول: «ذلك

النسق الثالث من الـ DNA... لا بد لي من العثور على صاحبه».

«لماذا لا ينظر الشريف ستيفنز في هذا الأمر؟» تترك يديّ، وتسند كل منا ظهرها إلى كرسيها.

«يقول إن القضية صارت مغلقة».

«ألن تكون حقيقة أننا لا نعرف صاحب ذلك الـ DNA مفيدة عندما تنظر هيئة المحلفين في القضية؟ سيصير الأمر كأنه لغز. من الممكن أن يكون صاحب ذلك النسق هو القاتل. من شأن هذا أن يفسح متسعًا للشك المنطقي في اتهام زوجكِ».

«هذا ممكن، لكنها مخاطرة. إذا عرفنا هوية ذلك الشخص، فمن الممكن أن نبني دفاعنا من حولها بحيث تنتقل الشبهة إليه. أظن أن لديّ شخصًا محتملًا».

«من هو؟».

«إنه زميل سكوت، الشرطي هدسون. ثم... من الممكن أن يكونا قد قتلاها معًا. في نهاية المطاف، كل منهما إثبات لوجود الآخر في غير مكان الجريمة... لأنهما كانا معًا. لكني أظن أنها كانت تضاجع ذلك الشرطي».

تتسع عينا آن دهشة، «لماذا تظنين هذا؟».

«ثمة أمر قاله جيس، فضلًا عن حقيقة أن ما من أحد أبدًا رآها مع رجل ثالث. إن كان الشرطي هدسون هو ذلك الرجل، فمن المنطقي أن يحرصا كثيرًا على إبقاء الأمر سرًا. لدينا أيضًا ذلك الهاتف ذو الرقم غير المسجل».

«إذا كنت غير قادرة على إثبات أن الشرطي هدسون هو صاحب نسق الـ DNA الثالث، وإذا كان الشريف ستيفنز غير مستعد للتعاون، أفلا

مكتبة ياسمين

تستطيعين تحويل الشك صوب سكوت، زوجها؟ الرسائل النصية التي أرسلها تلك الليلة سيئة للغاية». تقول آن هذا وتدعك ذقنها بيدها.

«هذا جزء من دفاعي، لكن الادعاء سيطلبه للشهادة ويحاول إظهاره بمظهر البطل الحزين على زوجته. وأرجح كثيرًا أن تكون هيئة المحلفين ميالة إلى التعاطف معه».

«هل هناك احتمال لأن يكون سكوت هو القاتل؟». تقول آن هذا وترفع حاجبيها.

«على حد علمي، ثمة احتمال لأن يكون أي شخص قد فعلها. اللعنة، يا آن! من الممكن أن تكوني أنتِ التي قتلتِها». أقول هذا من غير تفكير.

تطلق آن ضحكة عصبية. تقول لي: «لم لا؟ مممم... لماذا لا تتحدثين مع المدعي العام بيترز؟ ألا تظنين أنه سيكون راغبًا في معرفة هذا الأمر؟».

«فكرة غير سيئة، يا آن! سوف ألفت انتباهه إلى حدسي في شأن الشرطي هدسون، وسأحرص على وضع اسمه ضمن قائمة الشهود. سوف ينظر بيترز في الأمر معتقدًا أن لديّ شيئًا ضد هدسون، لكنه سيقوم بالعمل من أجلي بنهاية المطاف».

«خطة ذكية».

«أظن أن عليّ أن ألتقيه أولًا، ثم أرى إن كنت قادرة على زرع بذور الشك في ذهنه قبل أن يسألنا عما اكتشفناه. هل تستطيعين رؤية إن كان لديّ وقت كي ألتقيه بعد ظهر هذا اليوم؟».

«بكل تأكيد».

تنهض آن عن كرسيها، تنهض متحمسة مستعدة للمساعدة بأية طريقة ممكنة. إنها الشخص الوحيد الذي أستطيع الاتكال عليه دائمًا، الشخص الوحيد

مكتبة ياسمين

الذي أستطيع أن أثق به دائمًا.

42

آدم مورغان

أذرع غرفة المعيشة جيئة وذهابًا، أشد شعري بيديّ وتبحث عيناي عن أشياء أستطيع تحطيمها كي أنفّس عن غضبي. كيف كان ممكنًا ألَا أعرف هذا؟ كيف كان ممكنًا ألا أنتبه إلى هذا في وقت أبكر؟

تسألني ريبيكا للمرة العاشرة: «هل تعلم من كتب هذا؟».

«أعلم تمام العلم». أود أن أسدد لكمة إلى شيء من الأشياء علّني أحصل على قدر من الراحة.

«لا بأس. إذًا، من هو؟ لقد عثرنا على دليل مهم جدًّا. هذا خبر سارا». تحاول ريبيكا تهدئتي، لكن من غير فائدة. أنا في غاية الغضب. عاهرة كاذبة تعبث بحياتي. إنها تحاول تدميري. لقد هددتني. يا ربي! من الممكن أن تكون هي من قتلت كيلي. لا بد أيضًا أنها تعبث بالأدلة أثناء حديثنا هنا. وجه ريبيكا يتوسل إليّ، وعيناها مفتوحتان على اتساعهما... تنتظر سماع الإجابة.

أقول آخر الأمر: «إنها آن، مساعدة سارة».

«اللعنة!» تنظر ريبيكا إلى الكتابتين. تعود عيناها إليّ، «و... هل أنت واثق من هذا؟».

«انظري إلى الكتابة. بالطبع، أنا واثق مما أقول». أدفع بالبطاقة والصورة صوب وجهها، إنشات قليلة عن أنفها.

تزيحهما بيدها وتقول: «مهلًا! تذكَر أنني في صفك».

أستنشق نفسًا عميقًا وأتراجع مبتعدًا عنها.

تنظر ريبيكا إليّ؛ من رأسي حتى قدمي. تقول: «هي صاحبة التهديد. ولكن، إن كانت قد قتلت كيلي، فما هو دافعها؟».

«كيف لي أن أعلم؟ أنا لست قاتلًا. تذكري هذا!». أرفع يدي في الهواء.

تقول ريبيكا بنبرة إلحاح: «إذًا. فكرا ليس الوقت مناسبًا لأن تفقد صوابك».

أدعك جبيني محاولًا إرغام الإجابات على أن تأتيني. أقول لها: «إنها مهووسة بسارة. ولم أكن أعجبها على الإطلاق. لعلها أرادت أن تستأثر بسارة كلها!».

«إن كانت مهووسة بسارة، فلعل من الممكن أن تفعل أي شيء من أجلها، مثلًا، كأن تقتل عشيقة زوجها». تقول ريبيكا هذا وترفع حاجبيها.

«إياكِ أن تجرئي على قول هذا! لا يمكن أبدًا أن تفعل سارة شيئًا من هذا القبيل». أشير إليها بإصبعي مهددًا ويكفهر وجهي. أستطيع الآن أن أضربها، بكل ما في الكلمة من معنى. أرى كيف بان الضيق على وجهها. ما أسهل أن أنقضّ عليها وألقيها أرضًا! ما أسهل أن أطوّق عنقها بأصابعي وأهشّم حنجرتها بإبهام يدي وأرقب كيف تمتلئ عيناها دمًا! وكيف تغادرها الحياة ببطء. سأكون قادرًا أخيرًا على تقرير أمر من الأمور، على التحكم فيه. أستطيع رؤية الخوف الذي ظهر على وجهها.

يرتعش صوتها عندما تبدأ الكلام: «اسمع، يا آدم! لم أقصد ما فهمته من كلامي. لكن عليّ أحيانًا أن أطرح الأسئلة الصعبة، خاصة إذا أردت أن أكون مفيدة لك».

لا أقابل ابتسامتها بابتسامة، لكني أكف عن النظر إليها غاضبًا. هي ليست عدوي. أحاول تذكير نفسي

مكتبة ياسمين

بهذا. تحاول مساعدتي، لا أكثر. تحاول أن تفهم الوضع. ولكن، لا وقت لديّ كي تفهم. لا وقت لديّ للجلوس هنا. يجب أن أذهب. يجب أن أواجه آن. أريد أن أجعلها تعترف بأنها ارتكبت تلك الجريمة. أريد هذا كله، وأريده الآن.

أحاول منع نفسي من الاندفاع إلى أي فعل متسرِّع. أسألها: «إذًا، ماذا الآن؟». وأقول لنفسي: ركِّز على ريبيكا! أصغِ إليها! ابق هنا، معها! سوف يتضح الأمر كله. لقد ساعدتني كثيرًا، بالفعل. أكف عن الحركة وأقف وسط غرفة المعيشة كأنني تجمدت في الزمن. ريبيكا لم تعد متوترة، لكنها قلقة. تنظر إليّ نظرات سريعة، ثم إلى حقيبتها على الطاولة وإلى مفاتيحها التي وضعتها إلى جانب الحقيبة. أتتبع نظراتها. أتراها تحاول الانصراف؟ أتراها تظن أنني يمكن أن أفعل بها شيئًا؟

تقول وعيناها ممتلئتان أملًا: «أستطيع أن آخذ هذه الأشياء كلها إلى مركز الشرطة. وأنا واثقة من أنهم سيجدون أنفسهم مضطرين إلى إعادة فتح التحقيق». لست أدري إن كان هذا أملًا من أجلها أم من أجلي.

أقول: «لكن القضية أُغلقت».

«صحيح. لكن المحكمة لم تدِنك بعد. الشرطة مسؤولة عن التحقق من كل ما يثير الشبهات».

«ولكن، ماذا لو لم يفعلوا ذلك؟ ماذا لو رفضوا؟ ماذا لو أن الأوان قد فات؟».

«عند ذلك، تظل محاميتك قادرة على استخدام هذه المعلومات في القضية. ومن المؤكد تمامًا أنها معلومات قادرة على إثارة شكوك منطقية لدى هيئة المحلفين».

محاميتي؟! إنها تعني زوجتي. هل تعلم سارة أن

مكتبة ياسمين

ان هي التي أرسلت لي ذلك التهديد؟ هل هي مهتمة بالأمر؟ من جديد، أبدأ السير في الغرفة بخطوات أسرع، أكثر شدة. لا يمكن أن تكن على معرفة بالأمر، أليس كذلك؟ وأنا لا أستطيع فعل هذا. وأنا أسير، تظل عيناي متعلقتين بمجموعة المفاتيح كأنها نقطة أمل لامعة صغيرة؛ وعندما يحدث الأمر، يحدث كأنه شيء جاء من غير تفكير. أفعله فحسب. لا ألتفت كي أنظر خلفي. ألتقط المفاتيح وأجري خارجًا من البيت. أقفز في سيارة ريبيكا.

تجري ريبيكا خلفي. «آدم! بحق الجحيم، ماذا تفعل؟ أنت رهن الاعتقال المنزلي. لا تستطيع الذهاب. انتظر».

أضغط بقوة على دواسة الوقود فتدور عجلات السيارة وتقذف التراب وأوراق الأشجار... ثم، أنطلق مبتعدًا عن البيت. يبدأ سوار الإنذار على كاحلي بإصدار طنين وومضات ضوئية.

مكتبة ياسمين

43

سارة مورغان

أجلس في واحدة من غرف الاجتماعات الكثيرة في شركة ويليامسون ومورغان. لقد رتبت لي أن اجتماعًا مع المدعي العام جوش بيترز؛ وقد أتى ماثيو وانضم إليّ. صناديق الأوراق تغطي جزءًا من الطاولة. إنها اكتشافي أو، في واقع الأمر، عدم اكتشافي أي شيء. إنها موجودة هنا كي توهم المدعي العام وتحمله، كما آمل، على الكشف عن أمور لم أستطع الكشف عنها لأن مركز الشرطة في مقاطعة برنس ويليام لم يعد متعاونًا معي. خضع كل ما في هذه الصناديق إلى مراجعة متأنية قام بها اليوم كل من آن وماثيو، وأنا أيضًا، كي نجعل بيترز يقوم بالعمل القذر نيابة عنا. أتوقع وصوله في أية لحظة. المقصود من هذا الاجتماع أن يُفقد المدعي العام تصميمه. أعلم أنه يعتبر هذه القضية منتهية، وهي منتهية فعلًا، لكني أريد جعله يعتقد أن ثمة إمكانية لأن يخسر الادعاء القضية في المحكمة. أريد إيهامه بأن لديّ مفاجأة أخفيها.

يتخذ ماثيو مقعدًا على رأس طاولات الاجتماعات. «هل أقوم بدور الشرطي السيئ؟». يبتسم لي ابتسامة صغيرة.

«دائمًا».

يرتفع حاجبه وهو يقول لي: «وهل أنت واثقة من أنك قادرة في هذه اللحظة على اللعب مع المدعي العام؟».

«هل عدت إلى التشكيك في استراتيجيتي، يا ماثيو؟».

«لا أريد غير التحقق من سلامة أحكامك!».

ثمة من يقرع الباب. تدخل آن تحمل صينية عليها مأكولات خفيفة وصودا وماء. تقول للمدعي العام بيترز الساتر خلفها: «تفضل! في هذا الاتجاه!». يشير بيترز إلى ماثيو ويسألني: «من هذا؟ لا يجوز لك الإفصاح عما اكتشفته إلا أمام محامين».

«إنه ماثيو، وهو يساعدني في هذه القضية».

ينهض ماثيو واقفًا ويمد له يده. يقول له: «إنني أقوم بما هو أكثر من مساعدتها».

يسألني المدعي العام بيترز كأن ماثيو غير موجود معنا في الغرفة: «هل يحمل شهادة في القانون؟».

«بالطبع! كنا معًا في جامعة ييل».

يبتسم ماثيو ابتسامة ساخرة ويقول وهو يعود إلى الجلوس على كرسيه: «لهذا، أعمل الآن في ميدان حشد الآراء وتكوين جماعات الضغط، وليس في منصب مدعي عام الولاية الذي ذهب إلى جامعة جورج واشنطن الليلية».

لا يرد المدعي العام بيترز على سخرية ماثيو. يجلس ويوجه انتباهه إليّ وحدي.

أقول له: «على أية حال، أشكرك على مجيئك بهذه السرعة».

يومئ برأسه. «بالطبع! ما الذي تريدين أن نتكلم فيه؟ لعل عليّ تذكيركِ بأن الصفقة التي عرضتها عليك لم تعد الآن مطروحة».

تخرج آن من الغرفة وتغلق الباب خلفها بكل هدوء.

يرمقه ماثيو بنظرة صارمة. «لن نقبل ذلك العرض حتى لو كان لا يزال مطروحًا».

«لا بأس! إذًا، ماذا تريدان الان؟». يضم المدعي العام بيترز كفيه معًا.

أشير إلى صناديق الأوراق، ثم أدفع في اتجاهه

بضعة مصنفات أخرى. أقول له: «هذا ما اكتشفناه الآن. وسوف يكون لدينا المزيد».

يلقي على الصناديق نظرة سريعة، ثم يقرّب المصنفات منه. يتفحصها سريعًا. يغلقها وينظر إليّ.

يتدخل ماثيو، «لعل من الأفضل أن تلقي عليها نظرة أكثر تمعنًا. لا أدري إن كانوا قد علموك هذا الأمر في الجامعة الليلية، لكن الأدلة هي الجزء الأكثر أهمية في أية قضية منظورة أمام المحكمة».

يقول لي المدعي العام بيترز من غير اكتراث بما قاله ماثيو: «كان في وسعكِ أن ترسلي هذه الملفات إلى مكتبي. لم أكن مضطرًا إلى المجيء إلى مكتبكِ».

أبتسم وأقول: «أعلم هذا. كل ما في الأمر أنني أردت إعطاءك الأولوية».

«أية أولوية؟ هذه القضية منتهية».

«هل هي منتهية فعلًا؟ استنادًا إلى ما عثرت عليه، أرى أنها غير منتهية. هذا ما عنيته عندما قلت لك إنني أردت إعطاءك الأولوية. بما أنك كنت طيبًا معي، فأنا لا أريد إحراجك أمام المحكمة. لهذا السبب، أقدم إليك منذ الآن معظم ما توصلنا إليه».

ينظر إلى الصناديق من جديد وإلى المصنّفات الموضوعة أمامه. تتسلل إلى عينيه نظرة شك ويميل برأسه حائرًا أو غير مصدق، لست أدري أيهما. لكني توقعت ردة فعله هذه، فلو كنت مكانه لكانت لدي ردة الفعل نفسها. أسارع إلى مواصلة كلامي، «أوه! كدت أنسى!». أدفع مصنفًا آخر باتجاهه. يحتوي هذا المصنف على نص الحديث الذي جرى بين جيس والشريف ستيفنز. لقد وضعت خطوطًا تحت ما أريد أن ينتبه إليه المدعي العام بيترز. أريد جعله راغبًا في الاستماع إلى هذا الشاهد. أريده أن

مكتبة ياسمين

يستخرج من هذا الشاهد معلومات إضافية.

يفتح المصنف وينظر فيه. يسألني: «من هو جيس هوك؟».

يقول ماثيو: «تمامًا! هذا يعني أن القضية غير منتهية، أليس كذلك؟».

أقول: «جيس هوك هو...». أسمع صرخة آتية من خارج غرفة الاجتماعات.

44

آدم مورغان

قبل ساعة من الآن، صعدت إلى السيارة، ثم لم أتوقف. كنت لا أرى إلا الطريق أمامي. وكنت ممتلئًا غضبًا. كان العالم الخارجي يتتالى أمامي لكني لا أراه إلا قرمزي اللون أو بنفسجيًا كأن الدم الذي يغلي في عروقي قد صبغ بلونه كل ما أراه أمامي. كنت مدركًا أن مغادرتي البيت ستكون لها عواقبها، لكني لم أبالِ بهذا، ولا أزال غير مبالٍ به. لا بد لي من المضي في هذا الأمر إلى آخره. لا بد لي من اكتشاف هذا الأمر وفهمه إلى آخره. الزمن الباقي لي موشك على النفاد، وهذه هي فرصتي الأخيرة، فرصتي الأخيرة للتوصل إلى معرفة ما جرى فعلًا في تلك الليلة في بيت البحيرة، أو اكتشاف من كان مسؤولًا عن مقتل كيلي، كي أخلّص نفسي من هذا الكابوس.

لا تفصلني إلا خطوات معدودة عن ذلك الباب الذي سأفتحه كي أصير وجهًا لوجه مع آن، مع تلك المرأة التي أعرفها منذ سنين. تلك المرأة التي هددتني، تلك المرأة التي أرجّح أنها قتلت كيلي، تلك المرأة التي تحاول جعلهم يدينونني في هذه القضية. كيف لها أن تفعل هذا؟ كيف استطاعت الاقتراب إلى هذا الحد من غير أن أنتبه؟ لماذا ذهبت إلى بيت البحيرة؟ أعلم أن سارة سمحت لها في الماضي بأن تقيم هناك في أثناء عطلتها؛ لكن... لماذا كانت هناك في ذلك الوقت؟

لم تكن أن يومًا من الأيام شخصًا يلفت نظري. لقد كانت هناك، وكانت تبدو بريئة، لكني أراها الآن على حقيقتها، أرى من هي فعلًا؛ أرى أنها وحش يسعى

إلى الانتقام. هدوؤها ليس إلا تربُصًا واحتيالًا. تهذيبها ليس إلا خبثًا. مظهرها كله ليس إلا واجهة تخفي حقيقتها؛ عاهرة من طراز رفيع.

الصورة والبطاقة في يدي. أفتح الباب وأجيل نظري في المكتب. يرفع شخصان رأسيهما وينظران إليّ، يبدو الخوف على بعض الحاضرين، ولا يهتم غيرهم بمظهري المضطرب. أخطو داخلًا المكتب. إنني أبحث عن شخص واحد، عن شخص واحد فقط. أعرف أين ستكون. ستكون حيث تكون دائمًا. ستكون جالسة تتآمر وتنتظر. أنعطف عند الزاوية فأرى أن غرفتها خالية.

ثم أراها آتية في اتجاهي تتحدث مع رجل يسير إلى جانبها، وفي يدها رزمة مصنّفات. لا تلاحظ وجودي أول الأمر.

الرجل السائر معها شكله ليس غريبًا عني. لقد رأيته من قبل. نعم، من الواضح أنني قد رأيته من قبل، لكني أحس أن هذه الـ«من قبل» كانت منذ فترة قصيرة جدًا. ترفع رأسها فتلاحظ وجودي، تراني على مسافة عشرة أقدام منها. تتسع عيناها مثلما تتسع عينا غزال يرى سيارة مسرعة موشكة على دهسه. يلاحظ الرجل السائر إلى جانبها أنها توقفت في مكانها فينظر إلى حيث تنظر عيناها. يراني. تضيق عيناه. يتعرف عليّ، وخلال لحظة عابرة، أتعرف عليه بدوري، لكني أضيّع تلك اللحظة عندما يعود انتباهي إلى الشيطانة الواقفة أمامي، إلى المرأة التي تحاول أن تسرق حياتي، المرأة التي قتلت كيلي.

تقول ان متلعثمة: «ادم... هل أنت...، هل بك شيء؟».

«أنت!»... أشير إليها بإصبعي وأنا أقترب منها

متأهبًا للانقضاض عليها، متأهبًا لضربها، متأهبًا لـ... لست أدري حتى ما أنا متأهب لفعله. تصرخ آن. تمزق صرختها هواء المكتب الراكد.

«لقد قتلت كيلي. لقد أوقعت بي. أعلم كل شيء، أيتها العاهرة الشريرة!». أتلقى ضربة تسقطني أرضًا لحظة وصولي إليها. لكمة على وجهي تشلني تمامًا. أرى آن تبكي، وتقف خلف الرجل الذي سدد إليّ تلك الضربة.

تأتي سارة راكضة مع ماثيو ومن خلفهما رجل آخر. «بحق الجحيم، ماذا يحدث هنا؟». أتعرَف على ذلك الرجل. لقد كان في جلسة المحكمة. إنه بيترز، المدعي العام في الولاية.

تسأل سارة عندما تراني على الأرض أتلوى ألمًا: «بوب، ماذا فعلت؟».

يشير بوب إليّ ويقول: «لقد هاجم آن». إنه بوب! أوه، صحيح. أعرف بوب. إنه ذلك الشخص الذي كان يضايق سارة كثيرًا خلال السنتين الماضيتين ويحاول اقتناص أية فرصة كي يحل محلها. إنه وغد. لم يكن يعجبني حتى قبل أن تبدأ مشكلاته مع سارة. في كل حفلة من حفلات الشركة التي كانت سارة تجرني إليها، كان هناك كي يذكّر الجميع بمقدار عظمته.

«ماذا، يا آدم؟ ما الذي تحاول فعله؟». تكلمني سارة عبر أسنانها المطبقة. لا تكاد شفتاها تتحركان. تواصل آن بكاءها... تلك العاهرة الخبيثة. يحاول بوب وماثيو تهدئتها. لا يزال المدعي العام جوش بيترز يحاول فهم الموقف، لكني قادر على رؤية بسمة انتصار على وجهه لأن هذا كله يبدو مفيدًا له في القضية... إلا، بالطبع، إذا استطعت إثبات أن ان تقف خلف هذا كله.

أقول مشيرًا إلى آن: «هي...». ينظر الجميع إليها. تنظر آن من حولها كأنها تقول: «من؟ أنا!». «هي التي التقطت تلك الصورة. هي التي كتبت ذلك التهديد. هي التي قتلت كيلي». أرمي بالصورة والبطاقة عند قدمي سارة. تنحني سارة وترفعهما أمام عينيها. ينفتح فمها، وتتسع عيناها دهشة. اتهاماتي فاجأت الجميع. تمر لحظة قبل أن ينطق أي منهم. تتململ آن في مكانها قلقة، وتحك ذراعها. تتحول عينا سارة إلى آن.

ترفع الصورة والبطاقة وتقول: «هل هذا صحيح؟».

تتلعثم آن. تطرق برأسها وتنظر إلى الأرض. تتململ في وقفتها. تقول: «صحيح. ذهبت كي ألتقط بعض الصور، مثل تلك الصور التي أريتكِ إياها. لكني ذهبت فرأيتهما، كيلي وآدم؛ رأيتهما معًا».

تقول سارة بصوت هامس: «يا ربي!».

« لكني لم أقتل كيلي. لا يمكن أن أقتلها. وقد أردت أن أخبركِ، لكني لم أستطع إخباركِ. لذا، اكتفيت... بإرسال ذلك التهديد. أردته أن يتوقف عن ذلك». تهز آن رأسها محاولة إقناعنا جميعًا، محاولة إقناع سارة خاصة، بأنها تقول الحقيقة. لست أصدقها ولو ثانية واحدة.

أقول: «إنها خطيرة، يا سارة. هددتني بالقتل، وهددت كيلي. ألا ترين هذا؟ لا بد أنها خلف ذلك كله».

تنظر آن إلى سارة. «لا، لم يكن ذلك تهديدًا بالقتل. أردت أن أقول لهما: سوف أخبر سارة إذا لم تتوقفا!».

«لكنك لم تقولي لي شيئًا، يا ان!». صوت سارة يقطر سمًا. إنها غاضبة. تحس بأن ان قد خانتها. أستطيع رؤية هذا في وجهها. صار واضحًا لي أنها

مكتبة ياسمين

لم تكن تعرف أن آن تعلم بالعلاقة بيني وبين كيلي. تطأطئ آن رأسها ويشتد بكاؤها.

«كيف استطعت ألّا تخبريني، يا آن؟ أنت مساعدتي، أنت صديقتي.، أنت كواحدة من أفراد أسرتي». يرتجف صوت سارة.

تتأتئ آن: «أنا... أنا... أنا...».

«إياكم أن يتحرك أحد منكم». الشريف ستيفنز يشهر مسدسه. الشرطي هدسون والشرطي سكوت سامرز واقفان إلى يمينه ويساره. مسدس كل منهما في يده.

أرفع يديّ. تبدو سارة غاضبة، ومثلها بوب. يا ربي! أين رأيت هذا الرجل؟ أحاول إجبار دماغي على التذكّر. منذ زمن بعيد، لم تأخذني سارة إلى واحدة من حفلات المكتب. لعله كان في المحكمة! لعله واحد ممن جرى الاستماع إلى شهاداتهم في هذه القضية فرأيته في صحيفة أو في التلفزيون!

«آدم مورغان، أنت رهن الاعتقال لأنك خالفت شروط الكفالة». يقول الشريف ستيفنز في حين ينهضني الشرطيان هدسون وسامرز عن الأرض ويضعان الأصفاد في يديّ.

«انتظروا! آن، آن هي التي أرسلت ذلك التهديد. آن قتلت كيلي. اعتقلوها». أحرر إحدى يديّ وأشير بها إليها.

يتبادل الشريف ستيفنز نظرات سريعة مع سارة وسكوت سامرز. على الفور، يحمرّ وجه سكوت ويمسك بآن من غير أن يطرح أي سؤال. تصرخ آن حين يحاول سكوت تقييد يديها.

يصرخ بوب: «انتظروا لحظة! ماذا تظنون أنفسكم فاعلين؟».

يجيبه سكوت: «لقد سمعته. إن لها علاقة بقتل زوجتي. سوف تأتي معنا».

تتدخل سارة: «لا تستطيع اعتقالها هكذا». يؤيدها كل من ماثيو والمدعي العام بيترز.

أنظر إليها غير مصدق ما أسمعه منها. «يا سارة! لقد كذبث عليك».

يقول الشريف ستيفنز: «سوف أتبين حقيقة الأمر كله. لكن لها حقوقها».

تهز سارة رأسها رافضة كلامه. تشكرها آن.

تحذّرها سارة: «لا تتكلمي معي!».

تنكمش آن على نفسها وتخفض رأسها.

الشرطي هدسون يثبتني في مكاني ممسكًا بقيودي. يقول: «ماذا تريد أن نفعل، يا سيدي؟».

يقول الشريف ستيفنز: «هذا كابوس. سوف نأخذها لاستجوابها. إذا كانت غير راغبة في الذهاب معنا، فسوف نستصدر مذكرة اعتقال».

ترفع آن رأسها وتقول: «سأذهب. ليس لديّ ما أخفيه».

أقول بصوت منخفض لكنه عالٍ بما يكفي لأن يسمع الجميع كلماتي: «نعم، صحيح، أيتها العاهرة الكاذبة!».

يتدخل بوب: «هذا كافٍ!».

في تلك اللحظة، أتذكر أين رأيت بوب منذ فترة وجيزة. التعبير الذي ظهر على وجهه هو ما استدعى تلك الصورة إلى ذاكرتي. ينفتح فمي دهشة: «إنه أنت!». أشير إلى وجه بوب الصفيق.

يسألني: «أنا... ماذا؟».

«أنت. أنت نيكولاس روبرت ميلر. أنت شقيق زوج كيلي السابق».

مكتبة ياسمين

غضب سكوت لم يهدأ أبدًا. لا يزال في اشتداد مع كل لحظة يمضيها هنا.

يقول بوب كمن يقرر حقيقة واقعة: «لن أترك أحدًا يجرني إلى هذا الأمر».

«لقد قتلتها، أليس كذلك؟».

يتوتر وجه بوب، «لا أقبل سماع مزيد من هذا الكلام الفارغ».

تسأله سارة: «هل هذا صحيح؟ هل أنت شقيق زوج كيلي السابق؟».

يطرق بوب برأسه، ثم يجيبها: «هذا صحيح. لكن، لا علاقة لي بأي شيء من هذا كله».

تطلق سارة شهقة مسموعة.

يقول الشريف ستيفنز بضيق واضح: «يا إلهي! كنت أظن أن هذه القضية قد أغلقت». تزداد أنفاس سكوت تثاقلًا، ثم، في لحظة واحدة، ينقض على بوب وينهال عليه ضربًا. يصيح به كل من الشريف ستيفنز والشرطي هدسون طالبين منه التوقف ويحاولان إبعاده عن بوب. وبعد هرج ومرج وصياح وتجاذب شديد، يهدأ ذلك كله ويمتلئ المكان كله بلهاث ثقيل.

يصيح بوب بالشرطي سامرز: «سوف أجعلهم يطردونك من الشرطة، أنت، أيها القذر، القرد، الخنزير!». الدم يسيل من أنفه. لا يبدو بوب قادرًا على مواجهة ذلك الشرطي جسديًا، رجلًا لرجل؛ لكن نظراته وحدها قادرة على القتل، نظرات كفيلة بأن تضعه إلى جوار زوجته العزيزة التي ماتت.

يلتفت المدعي العام بيترز إلى سارة. يقول لها: «لن أنظر الان في أمر الأدلة التي أعطيتني إياها، فمن الواضح أن لديك المزيد. ما عليك إلا أن تتصلي

بمكتبي، وسوف أرسل أحدًا كي يجلب كل شيء عندما تكونين مستعدة لذلك». ينصرف مسرعًا. أظنه لا يريد التورط في هذه الفوضى كلها.

تومئ سارة برأسها في أثناء سيره مبتعدًا. يربت ماثيو على كتف سارة محاولًا تهدئتها. ينبغي أن أكون أنا من يربت على كتفها، لا ماثيو.

يقول الشريف ستيفنز معلنًا: «لا بأس! هيا بنا الآن! نحن ذاهبون إلى مركز الشرطة».

أظنني عائدًا إلى مكاني المعهود!

45

آدم مورغان

قبل بدء هذا كله، كنت مدركًا أن النهاية لن تكون حسنة بالنسبة إليّ. أنا أبله! وأنا واثق من أن سارة لن تتأخر عن استغلال كل فرصة كي تذكّرني بهذا. على الرغم من ذلك، اهتمامي الأول منصبّ الآن على الألم الشديد الذي تسببه لي القيود عندما يضغط عليها الشريف ستيفنز ويشدها بقوة فيتقشر جلد معصمي مثلما يتقشر قلم رصاص عند بزيه.

أقول له متوسلًا: «لا حاجة إلى هذا الضغط الشديد كله».

«بكل احترام، يا سيد مورغان، لا أظنك في وضع يسمح لك بتقرير ما ينبغي، أو ما لا ينبغي، فعله. لذا، أرجو أن تتفضل بإطباق فمك وتأتي معي إلى مركز الشرطة، وسوف أكون ممتنًا لك بكل تأكيد». إن في نبرة صوت الشريف ستيفنز قدرًا من التعالي كافيًا لإسكات أي شخص.

أود أن أرد عليه بشيء ذكي، لكن حسن تقديري يقول لي إن هذا لن يكون حسنًا لي. أكتفي بفعل ما طُلب مني فعله. على الأقل، أنا الآن في وضع أفضل من وضع بوب. هذه الفكرة وحدها تجعل ابتسامة صغيرة ترتسم على وجهي.

يقول الشريف ستيفنز: «ينبغي أن يكون هذا الأمر قد صار مألوفًا لديك، يا سيد مورغان. وعلى أية حال، وخلافًا لما جرى في المرة الماضية، لن نستعجل محاولة إخراجك من هذا المكان بحيث تصير قادرًا بعد ليلة أو اثنتين على فعل ما يحلو لك فعله. ثمة ما يقول لي إنك ستظل عندنا حينًا من الزمن. ولكن... ما أدراني؟ عملي مقتصر على جلب

مكتبة ياسمين

الأشرار إلى مركز الشرطة. أنا لا أصنع القوانين».

لسبب لا أدركه، أحسّ أن في مخاطبته لي بـ«السيد مورغان» إهانة أشد مما لو أنه خاطبني باسمي، آدم. كأن ما ينطوي عليه استخدام الاسم الأول من ألفة ليس مما يريده عند تعامله مع «حثالة» مثلي.

أجيبه: «للأسف. صار هذا كله مألوفًا!». أحاول ضبط رغبتي في السخرية لأنني لم أعد أريد شيئًا من هذه الليلة غير أن تنتهي.

«آمل أن تكون هذه المرة، بطريقة أو بأخرى، آخر مرة لك عندنا!». يمكن اعتبار هذا الكلام لطيفًا، أو شريرًا، لست واثقًا مما أستطيع فهمه منه. أحس أنني موشك على السقوط في نوبة ذعر، لكني أتنفس عميقًا وأركز على حقيقة أنني غير قادر على حل أي شيء، لا الآن، ولا في هذا المكان. أعود إلى أرض الواقع.

يومئ الشريف ستيفنز برأسه مشيرًا إلى اثنين من رجال الشرطة يرتديان بدلتين رسميتين زرقاوين ولوجهيهما تعبير لا يسر العين أبدًا. ويقول لي: «سوف أتركك دقيقة مع هذين الرجلين. لكن، مع ذلك، عليّ أن أسألك... لماذا؟ لماذا فعلت هذا؟ تعلم أن في كاحلك سوار إنذار. تعلم أننا سنعثر عليك. تعلم أن هذا سيزيد الأمور سوءًا. إذًا... لماذا؟».

«لأنني لم أفعلها، ولأن ما من أحد يصغي إلى ما أقول».

«فهمت». يظل الشريف ستيفنز لحظة ساكنًا مكانه ينظر إلى الأرض كأنه سيعثر على الإجابة خبيئة في خطوط الطلاء الرمادي المتقشر عن الأرضية الإسمنتية الخشنة. يرفع رأسه بعد ذلك وينظر إليّ. يفتح فمه كي يتكلم، لكنه لا يقول شيئًا. لا يخرج

مكتبة ياسمين

من فمه شيء غير أنفاسه. يطبق فمه، ويهز رأسه، ويعود أدراجه صوب مدخل مركز الشرطة.

يسألني واحد من الشرطيين: «أنت السيد آدم مورغان، أليس هذا صحيحًا؟».

«هذا صحيح، هذا هو اسمي».

«هل سنفعل هذا بالأسلوب السهل أم سأجد نفسي مضطرًا إلى جرّك من هذه القيود التي في يديك حتى تظل متعاونًا معي؟ أقول هذا لأنني أتقن الأسلوبين معًا. لكن شكلك يوحي لي بأنك قد تحاول الفرار». يقول الشرطي هذا مبتسمًا ابتسامة كبيرة جدًا، بينما يربّت على مسدسه بقوة كي يشدد على كلماته.

«لن أثير أية مشكلة هذا المساء، يا سيدي». أنا أشد إرهاقًا من أن أستطيع مواصلة القتال.

«قرار ذكي».

لا أدري ما رأي سارة في هذا كله. أعني أنني أعلم ما كان ظاهرًا عليها؛ غضبها، وخيبتها، وصدمتها لشدة غبائي. ولكن، ماذا عما كنت أقوله لها؟ لا بد أن تدرك في أعماقها أنني ما كنت لأنطلق في تلك الرحلة المجنونة من غير سبب، فأنا على علم تام بأن من شأنها أن تسبب لي أذى كبيرًا. لا آمل شيئًا غير أن يبدأ أحد أخيرًا... أي إنسان... في الإصغاء إليّ.

ولكن، ما أسوأ حالي الآن!

لست واثقًا حتى من أنني راغب في معرفة ذلك.

46

سارة مورغان

الحيز الخاص بالزائرين يكاد يكون خاليًا عندما أصل مركز الشرطة مع ماثيو. يرمقني ماثيو بنظرة تشجيع ويومئ برأسه وهو يفتح الباب كي أدخل.

يقول لي: «تفضلي!».

«أشكرك!». تتقلص شفتاي راسمتَين ابتسامة صغيرة متوترة.

أدخل غرفة الانتظار ناصبة قامتي، رافعة رأسي عاليًا. سأكون في حاجة إلى استجماع قواي كلها وثقتي كلها كي أستطيع تجاوز هذه الأمسية.

تسألني مارغي الجالسة خلف حاجز زجاجي واقٍ من الرصاص: «كيف أستطيع مساعدتكِ؟».

«إنني أنتظر فحسب».

تقول لي: «أريد منكما تسجيل دخولكما»، ثم تدفع لوحة إلكترونية من تحت الحاجز الزجاجي.

نسجل الدخول، ثم نجلس في غرفة الانتظار إلى أن يصل بوب وآن. سوف أرى آدم بعد أن أسمع أقوال هذين الاثنين.

يسألني ماثيو: «أتظنين أنهما سيأتيان؟».

أقول: «إن كانا بريئين، فسوف يأتيان». أقول هذا على الرغم من أن لا علاقة لقدومهما بكونهما بريئين أو غير بريئين. لكن، الأبرياء لا يفرّون... هكذا يقول الناس.

يصل بوب وآن، بعد أقل من عشرين دقيقة. يجلسان في الناحية المقابلة من غرفة الانتظار. ينظر بوب في البعيد ويدلك صدغيه. ولا تزال ان تبكي من وقت إلى اخر. على وجهي تكشيرة تعبّر

تعبيرًا واضحًا عن تقززي. السؤال الوحيد الذي يتكرر في ذهني مرة بعد مرة كلما نظرت إلى بوب وآن هو: «من يكون هذان الشخصان؟».

ينصهر الزمن ويسيل بطيئًا في أثناء انتظارنا الممضّ. عذاب كل منا متمثل في أن يكون موجودًا هنا مع الآخر. غرابة الوضع، وخزي آن، وغضب بوب امتزجت كلها فجعلت، جريان الزمن أشد بطئًا.

لحظة أقول في نفسي إن الأمور لا يمكن أن تصل إلى ما هو أسوأ من هذا، ينفتح باب مركز الشرطة وتدخل إليانور مرتدية ملابس سوداء كلها. تبدو كأنها ملاك الموت. أنهض واقفة، متأهبة لأن أبلغها بكل ما جرى خلال فترة غيابها. ولكن، قبل أن أستطيع حتى أن أرحّب بها ترحيبًا شكليًا، أراها تقف أمامي مباشرة وتشد على شفتيها شدًّا عنيفًا أحسب معه أن المادة التي حقنتهما بها موشكة على التسرب لشدة ذلك الضغط.

تقول كأنها تبصق في وجهي: «كيف لكِ أن تتركي هذا الأمر يحدث؟».

«إليانور! ابنكِ في السادسة والثلاثين. إنه رجل بالغ مسؤول عن أفعاله. لا أستطيع مراقبته على مدار الساعة».

تشمخ برأسها وتقول: «لا، واضح أنك لا تستطيعين. أظن أن هذا سبب عدم وفائه لك».

أكاد أعجز عن التنفس. لا تضربيها! لا تضربيها! لا تضربيها! «هذا غير منصف أبدًا. إنني أفعل كل ما أستطيعه من أجل قضيته». أشد قامتي محاولة جعل نفسي أطول منها.

«ما كان ينبغي أن تكون هناك قضية أصلًا. إنه بريء. لكنه سيواجه الآن اتهامات بالاعتداء وبمخالفة شروط الكفالة لأنك عجزت عن البقاء

مكتبة ياسمين

ساهرة عليه».

أهز رأسي وأقول: «يا إليانور! كفي عن هذا! تصرفاتك سخيفة».

«هل هذا صحيح؟ لم تستطيعي حتى أن تسهري على أمك... انظري ماذا جرى لها». تعوجّ نهايتا فمها راسمتين ابتسامة وكأنها مسرورة بما قالته.

تطلق آن شهقة مسموعة. يتململ بوب قلقًا في مقعده. يهم ماثيو بالنهوض. أتمنى أن أضرب رأسها بالأرض مرة بعد مرة إلى أن أرى دماغها، إن كان لها دماغ. لكني في غنى عن الدفاع عن نفسي في قضية قتل أخرى. لا بد لي من وضع حد لتدخل إليانور في هذه القضية وفي حياتي. وأنا أعلم ما ينبغي أن أقول. أستنشق نفسًا عميقًا. «ابنكِ كاذب، خائن، وقد يكون قاتلًا. دلالكِ وهيمنتكِ المفرطة هما ما أوقع آدم في هذه المشكلة. بما أنكِ أمه، فإن أفضل ما تستطيعين فعله هو أن تقبلي نصيحتي وتقتلي نفسكِ».

تزداد عينا إليانور اتساعًا، وتفتح فمها. ترفع يدها وتصفعني على وجهي. «أنتِ لا تعرفين شيئًا عن حب الأم، أيتها العاهرة!».

تؤلمني الصفعة. أضع يدي على خدي. ثم أنظر إلى أصابعي فأرى عليها بقعة دم. لقد جرح خاتمها خدي.

تتراجع إليانور إلى الخلف خطوة. تشد على أسنانها. لا تزال النار في عينيها مشتعلة، مستعرة.

يطوقني ماثيو بذراعه ويتفحص وجهي. يلتفت إلى إليانور ويقول لها بصوت هادئ: «عليك أن تنصرفي. على أية حال، لن تستطيعي الليلة أن تري آدم».

يصدر طنين عن البوابة الأمنية المجاورة لمكتب

الاستقبال، ثم يعبر العتبة جسد ضخم. ينظر الشريف ستيفنز إليّ وإلى إليانور ويقول: «ماذا يحدث هنا؟». تشد قامتها، وتميل برأسها، ثم تستدير على عقبيها، وتخرج من مركز الشرطة مسرعة، عائدة إلى ذلك الجحر ذي النجوم الخمس الذي تنزل فيه.

أرفع يدي عن وجهي وأجيب: «لا شيء. دعنا ننجز ما أتينا من أجله».

«هل أنتِ واثقة من هذا؟ يا له من أثر كبير ظاهر على خدكِ!».

أومئ برأسي.

يتوجه الشريف ستيفنز بالكلام إلى موظفة الاستقبال: «هل تحققتِ منهم جميعًا، يا مارغي؟».

تجيبه مارغي من غير حتى أن ترفع رأسها عن أوراقها: «تحققت منهم».

يشير الشريف ستيفنز بيده ويقول: «لا بأس. تستطيعون أن تأتوا معي».

نتبعه في الممر ذي الأرض الإسمنتية المطلية. أسير مع ماثيو جنبًا إلى جنب، ومن خلفنا يسير بوب وآن. الجدران بيضاء في أعلاها، حمراء في أسفلها. تضادّ لونيّ يزعج العين. هذا هو الأثر المراد تركه في نفوس الناس الذين يقادون إلى غرف التحقيق المتعددة هنا.

يُدخلنا الشريف جميعًا إلى غرفة واحدة ويبدأ كلامه معنا من غير أن يعرض علينا الجلوس ومن غير أن يجلس: «أولًا، أود أن أشكركم جميعًا باسم مركز شرطة ولاية برنس ويليام لأنكم تطوعتم بقسط من وقتكم كي تقدموا لنا المساعدة في هذا التحقيق الجاري الآن. لا بد لي من تذكيركم،

مكتبة ياسمين

ثلاثتكم، بأن ما من أحد منكم رهن الاعتقال وما من أحد منكم ملزم بأن يتكلم معنا. بعد قول هذا، وإذا تطوعتم بإعطائنا معلومات، فسوف يكون ذلك مسجّلًا وقد يُستخدم خلال مجرى التحقيق. إن كان هذا واضحًا ومقبولًا لديكم جميعًا، فهل لا تزالون راغبين في المتابعة؟».

يومئ الجميع برؤوسهم بالموافقة إجابة عن سؤاله.

«هذا جيد! والآن، مثلما قلت لكم، أشكركم جزيل الشكر. يا سيد ميلر، لقد لحقت بك اليوم إصابات واضحة نتيجة التصرف الفظيع الذي بدر عن الشرطي سامرز. أنا واثق من قدرتك على تصور مقدار ما به من توتر نتيجة المشاعر الجياشة التي يعيشها. إلا أن سلوكه كان غير مقبول على الإطلاق، ولا سبيل إلى التماس عذر له. إنه الآن في فترة إيقاف عن العمل من غير أجر، فضلًا عن خضوعه لتحقيق داخلي. أقول لك هذا لأنني حريص على إبلاغك بأننا نأخذ الأمر على محمل الجد إلى أقصى حد». ينظر الشريف ستيفنز مباشرة إلى بوب ويسأله: «سيد ميلر، هل تريد الاستفادة من حقك في تقديم اتهام في حق الشرطي سامرز؟».

يجيبه بوب واثقًا: «لا! لا أود تقديم اتهام. أعلم أنه الآن أسير معاناة كبيرة، ولا بد أن الاتهامات التي وجّهها إليّ السيد مورغان قد أثارت غضبه».

«لا أستطيع القول إنني لست مسرورًا لسماعك تقول هذا يا سيد ميلر. قد يفقد سكوت أحيانًا سيطرته على سلوكه، لكنه شرطي جيد في جوهره».

يومئ بوب برأسه. من الواضح أنه راغب في الانتهاء من هذا الأمر.

مكتبة ياسمين

«إذًا، لا بأس! سوف نفصل الآن بينكما». يقول هذا مشيرًا إلى بوب وآن، «سأجعل شرطيًا يرافق كلًا منكما إلى غرفة مستقلة». يدخل الغرفة اثنان من عناصر الشرطة، «اتبعوهما، من فضلكما!». يفتح الشريف ستيفنز ذراعيه كأنه يمثل دور المسيح جالسًا إلى طاولة العشاء الأخير.

تلتفت آن صوبي التفاتة سريعة. أضغط على شفتي ممتنعة عن إعطائها أي توجيه، بل حتى رافضة أي تواصل معها. ويسير بوب خارجًا من الغرفة شامخًا برأسه قليلًا.

بعد خروج الجميع، أظل مع ماثيو في مواجهة الشريف ستيفنز.

يبدأ الشريف ستيفنز حديثه: «هكذا، كان لدينا اليوم استعراض بائس إلى أقصى حد!».

أجيبه: «نعم».

يقول ماثيو: «فقط لو أن بعض رجال الشرطة العاملين في خدمة القانون أبدى استجابة أسرع عندما انطلق الإنذار معلنًا أن متهمًا بجريمة قتل قد غادر الحيز المقرر له منطلقًا بسرعة مئة ميل في الساعة، فلعل تجنب هذا كله كان ممكنًا. لكن سماع جرس الإنذار أمر صعب عندما يعلو ضجيج التهام الدوناتس».

يسأله الشريف ستيفنز: «من أنت؟».

«أنا ماثيو لاتشو». يمد ماثيو يده لمصافحة الشريف تأكيدًا على سيطرته على الموقف كله.

يعقد الشريف ستيفنز ذراعيه على صدره ويقول: «لقد تقيّد عناصرنا بأصول العمل إلى أقصى حد ممكن، ولحقوا بالسيد مورغان في غضون دقائق فقط. ينبغي أن تكونوا ممتنين لسرعة استجابتهم.

مكتبة ياسمين

كان من الممكن أن يحدث في المكتب ما هو أسوأ كثيرًا». ظهرت في صوته نبرة جادة.

أقول له: «قد يكون الأمر هكذا. ولكن، لو لم يكن سكوت سامرز موجودًا هناك لما أصاب بوب أي سوء هذا المساء».

«لقد كان سلوك الشرطي سامرز... مؤسفًا، مثلما قلت قبل قليل. لن يمر هذا السلوك من غير محاسبة».

أسأله راغبة في الانتقال إلى أمر آخر: «ما الخطة؟». إحساس حارق في خدي. أنا في حاجة إلى شراب قوي.

«سوف نستجوب كلًا من آن وبوب. بكل صراحة، أحاول الاهتمام بالأمر من كل جوانبه لأن هذه القضية صارت مغلقة بالنسبة إلينا».

أقول بنبرة صارمة: «عليك الإقرار بأن ثمة صلة غريبة هنا. لدى بوب دافع إلى ارتكاب الجريمة؛ وقد هددت آن آدم. من هنا، أكون شاكرة لك كثيرًا إذا قمت بما هو أكثر من الاهتمام بجوانب الأمر كلها. إضافة إلى هذا، أريد مقارنة خط آن بالخط الذي كُتبت به رسالة التهديد».

يحاول مضاهاة مقدار الجدية الظاهر في صوتي، «أنتِ محققة. الأمر مريب من غير شك. إن كان لأي منهما علاقة بالجريمة، فسوف نكتشف ذلك. لا حاجة إلى مقارنة الخطوط لأن آن اعترفت بأنها هي التي كتبت رسالة التهديد».

«هل سمعت يومًا بشيء اسمه اعتراف كاذب؟ أنا في حاجة إلى مقارنة الخطين». عمل مركز الشرطة هذا متهاون في أحسن الأحوال، ولست أدري إن كان هذا مقصودًا أو ناتجًا عن جهل.

 مكتبة ياسمين

يشد الشريف على شفتيه ويومئ برأسه.

أسأله: «هل أستطيع مراقبة استجواب الشخصين المعنيين؟ ستكون لشهادتهما أهمية كبيرة في ما يتصل بقضيتي».

«بكل تأكيد، لا أرى أي مانع».

لا أعلم إن كان يظن نفسه يسدي إليّ جميلًا أو أنه في مزاج طيّب الآن. «ألا تبدأ الاستجواب الآن، كي نستطيع متابعة ما يقولان؟».

يرتفع حاجبا الشريف ستيفنز عند سماعه سؤالي. يجيبني: «أظن أن هذا ممكن». يعلو صوته كثيرًا مع انتهائه من كلامه، «لكن، هل تدركان أن هذا سوف يزيد كثيرًا زمن بقائكما هنا هذه الليلة؟».

ينظر إليه ماثيو كأنه في دهشة من كلامه. «هذا واضح».

أقول: «أفهم هذا». في صوتي ثقة غير خفية.

«إذًا، هيا بنا! سوف أخبر الشرطيين بهذا. بأي واحد منهما تفضلين البدء؟».

«فلنبدأ بآن».

47
آدم مورغان

لماذا يستغرق الأمر هذا الزمن كله؟ وأين هي أمي؟

اتصلت بها فور انتهائهم من إجراءات احتجازي. أخطو جيئة وذهابًا داخل غرفة الاستجواب، داخل هذا المكان الذي صار مألوفًا لديّ خلال الأسبوعين الماضيين. من الأفضل أن يعثروا على شيء ضد آن وبوب. هذا أملي الأخير؛ وأنا في حاجة إلى أن يصدقني كل من سارة والشريف ستيفنز. ينبغي أن يصدقا أنني لم أفعلها، أن يصدقا هذا إلى حد يجعلهما ينظران جديًا في أمر كل من بوب وآن.

ينفتح الباب بقوة شديدة فيصطدم بالجدار الإسمنتي ويرتد فيضرب سكوت سامرز. يئنّ متألمًا ثم يدخل الغرفة. يبدو أشبه بحيوان بري، محمر، ثقيل الأنفاس، عيناه محمرتان وشفتاه مضغوطتان. يقول لي بنبرة صارمة: «ينبغي أن نتكلم».

أرفع يديّ مبينًا أنني لا أريد قتالًا.

«اهدأ! لم آتِ كي أضربك».

أعقد ذراعيّ على صدري منتظرًا سماع ما يريد قوله.

«ليس لديّ وقت طويل. لا يجوز لي أن أكون هنا. أخبرني بكل ما تعرفه عن بوب وآن». يرمقني بنظرة سريعة.

أبدأ القول: «لا أظنك فعلت ذلك، وأعلم أنني لم أفعله».

«لا تهمني نظرياتك على الإطلاق. فقط، أعطني معلومات!». يتقدم مني خطوتين ويشد على أسنانه.

«لا بأس! لا بأس!». أقول له كل شيء. أقول له كل

ما أعرفه عن بوب وآن، وعن كيلي، كل شيء.

«كيف توصلت إلى هذه المعلومات؟».

أقول: «لا أستطيع الإفصاح عن مصدر معلوماتي».

«لست مهتمًا بحمايتك مصدر معلوماتك. نتيجة لما أقدمت اليوم على فعله، ستظل محتجزًا إلى أن تبدأ محاكمتك. أنا الآن كل ما لديك إن أردت الخروج من هذه الورطة كلها. أخبرني!». لقد نفد صبره. يتصبب عرقًا ويلقي نظرات سريعة متوترة على الباب وعلى النافذة التي تسمح بالرؤية من جهة واحدة. أنا واثق من أن ليس من حقه أن يكون هنا. لا يستطيعون السماح له بدخول هذا المكان. لقد اعتدى على محامٍ، على واحد من أفضل المحامين في منطقة واشنطن. لا يمكن للمرء أن يفعل هذا ثم يفلت به، حتى إن كانت زوجته قد قُتلت.

«لا بأس! اسمها ريبيكا سانفورد. وهي مراسلة لدى صحيفة برنس ويليام تايمز». آمل أن يكون سكوت صادقًا في زعمه أن لا علاقة له بمقتل زوجته. وإن لم يكن صادقًا في ذلك الزعم، فأكون قد أعطيته الآن ما يضمن إدانتي بارتكاب هذه الجريمة. من غير ريبيكا، ليست أمامي أية فرصة في الخلاص من هذا الأمر، إلا إذا كانت سارة تعمل بطريقة أخرى من أجل قضيتي.

يومئ لي برأسه ويقول: «سنظل على اتصال». لست أدري إن كنت أصدّق هذا الأمر، لكني آمل أن يكون صحيحًا. حتى عندما لا يبقى للمرء شيء في الحياة، يظل الأمل هو الأمر الوحيد الذي لا يمكن سلبه إياه. يخرج سكوت من غير أن يقول أية كلمة أخرى. أجلس إلى الطاولة وأنتظر. لقد صرت بارعًا في الانتظار.

مكتبة ياسمين

48

سارة مورغان

ذهبت إلى الحمام كي أنظف وجهي ثم عدت إلى غرفة المراقبة المطلّة على التحقيق مع آن. أراها جالسة وحدها، خائفة، متوترة... وربما مذنبة. تنقر على الطاولة بأصابعها، ثم تعبث بحاشية قميصها، ثم تعبث بشعرها. لا تعرف ما تفعله بنفسها. ماثيو واقف خلفي، مستند إلى الجدار، يراقب آن ويراقبني. قلت له إن في وسعه الذهاب. لا شأن له بهذه الفوضى كلها، والمشكلة ليست مشكلته، لكنه أصر على البقاء هنا، أصر على مساعدتي في هذه القضية.

يقول لي: «ما حدث بينكِ وبين إليانور أمر سيئ جدًا».

«صحيح، كان سيئًا».

«لا أستطيع تصديق ما قلتِه لها من أن أفضل ما تستطيع فعله، باعتبارها أمًا، هو أن تقتل نفسها. كان ذلك قاسيًا جدًا».

استدرت في اتجاهه ونظرت إليه، «كان عليّ أن أقول لها ما يجعلها تتجاوز الحدود، ما يكون كافيًا لأن تضربني. كان لا بد لهذه المشاجرة المستمرة بيننا أن تصل إلى نهايتها لأنها مرهقة كثيرًا ولأنها لا تساعدنا في هذه القضية».

يضع ساقًا فوق ساق ويقول: «هل يعني هذا أنك تخلصت من واحد من الأمور التي تزعجك؟».

عدت إلى النظر إلى غرفة التحقيق عبر النافذة. «في وسعك أن تقول هذا».

لقد أمضيت أكثر من عشر سنين أتحمل ملاحظات إليانور الجارحة، وإهاناتها، وعباراتها المتعالية

مكتبة ياسمين

المتكبرة، وهراءها كله. سرني أن أراها تفقد أعصابها وتعود إلى الواقع أخيرًا، ولو مرة واحدة. وكانت تلك الصفعة ثمنًا مقبولًا لذلك كله.

يدخل الشريف ستيفنز غرفة التحقيق ويجلس على كرسي قبالة آن. يقدم لها كأس ماء، لكنها ترفض أن تشرب. يقرأ عليها حقوقها. تومئ برأسها. يقول لها إن الحديث بينهما سيكون مسجلًا، وإن من الممكن أن يُستخدم دليلًا ضدها. تحدق فيه ولا تقول شيئًا فيبدأ الاستجواب.

«أين كنتِ ليلة الخامس عشر من أكتوبر؟».

«خرجت وتناولت شرابًا مع رئيستي في العمل، سارة مورغان».

«هل من المعتاد أن يحدث هذا؟».

«إنه أمر معتاد فأنا وسارة صديقتان، أو، على الأقل، كنا صديقتين». تقول هذا محرجة، خجلى.

هي محقة في هذا الأمر. لو كانت صديقتي لقالت لي إن زوجي يخونني.

يستند الشريف ستيفنز إلى ظهر مقعده. يسألها: «كيف تعرفين كيلي سامرز؟».

«لا أعرفها».

«لكنكِ علمتِ بأمرها قبل مقتلها، أليس هذا صحيحًا؟» ينقر الشريف ستيفنز على الطاولة بأصابعه.

تبتلع أن ريقها بصعوبة، ثم تومئ برأسها. وتقول: «نعم... لم أعرف اسمها ولم أعرف عنها أي شيء. رأيتها مع أدم فحسب».

يميل برأسه ويسألها: «ماذا كنت تفعلين في مقاطعة برنس ويليام؟».

«ذهبت إلى ذلك البيت في الصيف لقضاء إجازتي.

أعجبتني مشاهد الطبيعة هناك ووجدتها مناسبة لالتقاط الصور. قلت في نفسي إن المكان سيكون أكثر جمالًا في الخريف. لم أتوقع أن أرى ما رأيت. كنت ألتقط بعض الصور، لا أكثر. كان ذلك أمرًا بريئًا تمامًا».

«أمرًا بريئًا؟!».

تقول آن: «نعم، كان بريئًا».

«لكنكِ قررتِ أن تستخدمي تلك المعلومات كي تهددي آدم بها».

يتجهم وجهها. «لم يكن هذا تصرفًا صائبًا من جانبي. لكني لم أشأ أن أكون الشخص الذي يخبر سارة بالأمر. لم أشأ أن أجرحها». تقول هذا وهي تعبث بأظافرها.

«تبدو لي عبارة 'أنهيا هذا الأمر، وإلا أنهيته بنفسي' أشبه بتهديد بالقتل. هل أنتِ موافقة على هذا؟».

تطأطئ رأسها وتقول: «الآن، أستطيع رؤية ذلك. لكني أردت شيئًا آخر. اعتزمت إخبار سارة إن لم ينهِ آدم الأمر، أو إن لم يخبرها بنفسه».

يسألها الشريف ستيفنز: «هل حدث يومًا أن رأيتِ كيلي مع أي شخص آخر؟».

تجول عينا آن في أرجاء الغرفة.

يقول ماثيو من خلفي: «يا له من سؤال غريب!».

«فعلًا. سؤال غريب». ألتفت وأنظر إليه ثم يعود انتباهي إلى آن والشريف ستيفنز. ما الذي يرمي إليه؟ ما الاتجاه الذي يمضي فيه؟

يتغضن جبين آن. تقول: «لا».

«وأين كنت مساء يوم الأحد الخامس عشر من أكتوبر؟».

مكتبة ياسمين

«مثلما قلت لك، كنت أتناول شرابًا مع سارة مورغان حتى منتصف الليل تقريبًا».

ألتفت إلى ماثيو لحظة وأقول له: «كانت على علم بأمر آدم خلال الأسابيع التي سبقت وقوع الجريمة، لكنها لم تقل أي شيء. لعل هذا كله ما كان ليحدث لو أنها أخبرتني. كان ممكنًا أن تظل كيلي حية. لو قالت لي لواجهت آدم بالأمر. وبعد ذلك، إما أن يعمل من أجل إعادة الأمور بيننا إلى مجراها، أو أن أكون منهمكة بإعداد أوراق الطلاق. ولكن، في الحالتين، لن يكون قيد المحاكمة بجريمة قتل».

يومئ ماثيو برأسه ويقول: «ما حصل قد حصل!».

أتنهَد وأعيد توجيه انتباهي إلى آن. أحدق فيها غاضبة عبر زجاج النافذة. لا أستطيع تصديق أنها لم تخبرني بالأمر. يقول لي جزء من عقلي أن أنقضّ على آن؛ وقبل أن أستطيع تهدئة ذلك الصوت في رأسي، أندفع عبر باب غرفة التحقيق.

«سارة، أرجوكِ...». لكن كلمات آن تتجمد في فمها عندما أندفع من فوق الطاولة وأقذف بها أرضًا. أنهال على وجهها ضربًا كأنها تجسيد لكل من أساء إليّ في حياتي كلها. قبضتا يديّ وخواتمي تمزق جلدها. يحاول الشريف ستيفنز إبعادي عنها، لكنني أضربه بمرفقي فأصيبه في أنفه. يتراجع مترنحًا. ومع نهوض آن بحركة بطيئة واقفة على قدميها، تحاول أن تصرخ طالبة النجدة، لكن فمها ممتلئ دمًا. لا يصدر عنها صوت غير خرخرة واهية ورذاذ وردي اللون. أجري إليها وأمسك بشعرها وأبدأ إدارتها من حولي، ثم أفلتها فتندفع مصطدمة بالنافذة. تتساقط شظايا الزجاج وتنتشر في كل مكان. ألتقط قطعة منها، قطعة حادة مسننة، وانقضّ على آن من جديد...

أرفرف بعينيّ مرات كثيرة كي أجعل عقلي يعود إلى الواقع. أرى أن والشريف ستيفنز جالسين في غرفة التحقيق. لا بد لي من التخلص من هذا الهراء كله. يغيم كل شيء في رأسي. أدرك الآن أنني غير قادرة على الثقة بأي شخص ممن ظننت أنني قادرة على الثقة بهم. لا أعرف حتى كيف هي مشاعري. أقرر أن أفضل ما أستطيع فعله الآن هو الخروج كي أستنشق هواء نقيًا.

يسألني ماثيو إن كنت على ما يرام. أومئ برأسي وأسير في الممر فأجد مارغي لا تزال منكبّة على أوراقها.

«عذرًا، يا مارغي! اسمكِ مارغي، أليس كذلك؟ سأخرج قليلًا كي أستنشق هواء نقيًا... إن لم تكن هناك مشكلة في ذلك».

تجيبني مارغي من غير أن ترفع رأسها عن عملها: «هذه ليست حضانة أطفال، يا سيدتي. لستِ في حاجة إلى إذن مني كي تخرجي من المبنى».

«ظننت أنكِ... لا مشكلة!». أخرج من الباب.

في الخارج، يجعلني الهواء الصقيعي أحسن حالًا كأنني قفزت في بركة ماء بارد. أستنشق نفسًا عميقًا، ثم أزفر الهواء بقوة وأغمض عينيّ محاولة أن أجعل ذهني يصفو. أحاول التفكير في بياض نقي، في ملف وورد فارغ ليس فيه حتى سطر واحد من كلمات قانونية. أحاول التفكير بالتماثيل في واشنطن، عقب تنظيفها مباشرة. يحاول عقلي استحضار ذلك اللون النقي، يحاول تنظيف نفسه. لكن، بدلًا من ذلك التنظيف، أجد نفسي وجهًا لوجه أمام مجموعة تساؤلات قاتمة. تتسارع نبضات قلبي. هروبي من ذلك السيرك لم يفدني بشيء. أرفع رأسي فأرى نقاطًا كثيرة مرسومة على سماء

الليل الخالية الممتدة من خلفها. أحسدها على عزلتها. «على الأقل، ما من أحد يزعجكم». أقول هذا وتتدحرج دمعة من طرف عيني. لكن لا! السد الذي أقمته كي أحبس مشاعري من أجل هذه القضية، من أجل مساري المهني، من أجل زواجي، ينبغي أن يظل متماسكًا... على الأقل، ينبغي أن يظل متماسكًا فترة من الزمن، فترة قصيرة.

أجفف عينيّ وأستدير كي أعود إلى الداخل.

أرى ماثيو واقفًا بالعتبة. يقول لي: «لم أعرف أين ذهبتِ!».

«كنت في حاجة إلى دقيقة فقط كي...» يقترب مني ويحيط كتفي بذراعه.

أهز راسي وأقول: «يظن الإنسان أنه يعرف الناس...».

«انظري، إن أردتِ الحقيقة، فرأيي أن آن كانت حسنة النية».

أقاطعه محذرة إياه: «لا تقل هذا!». لست راغبة أبدًا في سماع شيء عن نوايا آن. لقد تعرضت للخذلان من قبل الجميع في حياتي، تقريبًا.

يتنهد ماثيو، لكنه ليس شخصًا أستطيع جعله يسكت عما يريد قوله. يواصل كلامه: «مثلما كنت أقول لكِ. آن ليست... كيف يمكن قول هذا؟ ليست ذات شخصية قوية. إنها تابعة. ليست قائدة. يا سارة، أنت لا تعلمين أبدًا كم تعتبرك تلك الفتاة مثالًا لها. لذا، لا معنى لتفكيرك في أنها شخص يستطيع أن يقلب حياتك رأسًا على عقب. إنها ليست... ليست قادرة على فعل ذلك. كانت في ذعر شديد من أن يجعلك إقدامها على نقل تلك الرسالة إليك تتركينها ولا تلتفتين إليها بعد ذلك. يفعل الناس أمورًا غبية كثيرة جدًا عندما يكونون تحت ضغط شديد؛ لكني

مكتبة ياسمين

أقول لك الآن إنني أعرف متى يكون الشخص كاذبًا. تلك المرأة الجالسة هناك لا يمكن أبدًا أن تتعمد إيقاع الأذى بك».

أعلم أن ماثيو محق. آن مثل أختي الصغيرة، الأخت التي لم تكن لي أبدًا. العلاقة بيني وبينها أكثر من علاقة رئيس ومرؤوس. علاقتنا أكثر من الذهاب إلى المطعم، أكثر من فم ينبغي إطعامه، أكثر من درجة من درجات سلم ينبغي تسلقه ومن شابة ذات طموح.

أقول متحاملة عليها: «أعلم أنها تريد إيذائي».

«ها أنتما هنا!». يفتح الشريف ستيفنز الباب. «أنهيت الأمر مع آن. سوف نجري تحليلًا للخط بناء على اقتراحكِ، لكنني أظنها بريئة. استنادًا إلى التحقيق الأولّي».

يرفع ماثيو ذراعه عن كتفي. نصعد درجات المدخل في اتجاه الشريف ستيفنز.

أقول له: «لا بد لي من الموافقة على ما تقول على الرغم من شدة غضبي منها». أريد أن أكون غاضبة منها. لا أزال أريد أن أكون غاضبة منها. لكن ماثيو والشريف ستيفنز محقَين. لا يمكن أبدًا أن تكون لها علاقة بهذا الأمر.

«ألا ننتقل الآن إلى بوب؟».

نومئ برأسينا، أنا وماثيو، ثم نسير خلف الشريف ستيفنز عائدين إلى مركز الشرطة.

مكتبة ياسمين

49

آدم مورغان

سكوت يريد مساعدتي. جزء مني لا يفاجئه هذا. إن كان لا يصدق أنني قتلتها -ينبغي ألَا يصدق ذلك لأنني لم أقتلها- فمن الطبيعي ألَا يتردد في فعل أي شيء من شأنه أن يجعل القاتل الحقيقي يمثل أمام العدالة لأنه رجل فقد شخصًا يحبه.

ولكن، من ناحية أخرى، من المعروف عن سكوت أنه شخص يترك غضبه يستولي عليه؛ وهو وغد أيضًا. فهل يكون مفاجئًا أن يتظاهر شخص حقير مثله بأنه يصدَقني لمجرد أن يستعيد شيئًا من مصداقيته في مركز الشرطة مع متابعته محاولة الإيقاع بي أكثر فأكثر؟ لكن الواقع يقول إن المتسوِل لا يستطيع أن يكون شخصًا انتقائيًا. والآن، لم يبقَ لديّ أحد غير سكوت!

لكن، هل يجوز أن أفعل هذا بنفسي؟ يكاد عقلي يبلغ حالة صفاء تام لأنني أجد نفسي قادرًا على التأمل في فكرتين متعارضتين، التأمل فيهما في الوقت ذاته.

فمن ناحية، أعلم أن ذلك الأمل هو الأمر الوحيد الذي أستطيع التعلق به، الأمر الوحيد الذي لا يستطيع أحد أن يأخذه مني. بالتالي، لا بد لي من التمسك بالأمل من أجل حياتي، حياتي الغالية عليّ، أليس هذا صحيحًا؟ وأما من ناحية أخرى، فأنا لست شخصًا ساذجًا. أعلم أن فرصتي ضئيلة، أعلم أنها شبه معدومة.

تتبادر إلى ذهني إمكانية أخرى. ماذا لو كان سكوت هو القاتل؟ هذا السلوك المنفلت كله، وعدم القدرة على السيطرة على الذات، ليس إلا تظاهرًا

بمشاعر رجل فقد زوجته، ليس إلا ستارًا يحجب الحقيقة، ليس إلا طريقة ينفّس بها عن خوفه وعن مشاعر «الحيوان المحاصر» المستولية عليه. إن كان الأمر هكذا، فهو يعني أنني أقدّم إليه أسلحة إضافية يستطيع استخدامها ضدي. ليس هذا فحسب، فقد أرشدته مباشرة إلى الشخص الوحيد الذي كان مستعدًا لمساعدتي في اكتشاف الحقيقة. أنا محبوس هنا؛ وما من أحد يحرس ريبيكا. سكوت قادر على الإيقاع بها والتخلص منها بكل سهولة. تمامًا مثلما فعل مع كيلي. بالنتيجة، عند هذه النقطة، أنا خاسر في الحالتين، إلا إذا وقعت معجزة. فلماذا أشغل بالي بما يحدث في الخارج؟ لا أستطيع فعل شيء غير أن أجلس هنا وأنتظر، أو لعلي أستطيع شيئًا آخر!

مكتبة ياسمين

50

سارة مورغان

ندخل مركز الشرطة مع الشريف ستيفنز. لم يتبدد غضبي كله بعد، لكني أحاول استيعاب كل شيء. صحيح أنني غاضبة من آن لأنها حجبت المعلومات عني، لكنها ليست من جعل آدم يضاجع كيلي؛ وبالتأكيد، هي ليست السبب الذي جعل واحدًا من الناس يقتلها. صحيح أن دوافعها كانت معوجّة بعض الشيء، لكنها لم تكن سيئة. هذه بداية كافية لأن تجعل ضغط دمي يعود إلى سويته البشرية الطبيعية. لكني لست ساذجة. لا أزال في حاجة إلى أن أكون متأهبة لقنبلة محتملة أخرى. جاء الآن دور بوب في الكلام.

تتغير هيئة مارغي عند مرور الشريف ستيفنز أمامها فهو ليس «إزعاجًا جديدًا» على هيئة محامٍ يدخل مركز الشرطة.

«مرحبًا من جديد، يا سيدي. هل أنت عائد إلى الزنزانات؟ أتريد أن أفتح لك الباب كي تدخل؟». تقول هذا مبتسمة. من الواضح أنها معجبة بكلماتها وأنها مسرورة بأن تسنح لها فرصة مساعدة الشريف الطيب بأية طريقة تستطيعها.

«لا، يا مارغي! لا مشكلة. أستطيع تدبر أمر الباب بنفسي. ومن فضلك، كم مرة طلبت منك ألا تستخدمي تلك الكلمة؟ خاصة أمام زائرين!». يقول هذا بنبرة تتظاهر بالصرامة لكنها توحي أيضًا بأنها ليست دليلًا على غضب حقيقي بل على تظاهر منه بأنه يلومها.

«آسفة، يا سيدي. سأحاول تذكر هذا في المستقبل». كأني أرى في وجهها ابتسامة ساخرة.

مكتبة ياسمين

يغمز لها الشريف ستيفنز بعينه غمزة لا تكاد تُرى، أم أنني أتخيل هذا؟

يستخدم بطاقته كي يفتح البوابة، ثم يعود بنا إلى غرف التحقيق. نمر بتلك الجدران العارية نفسها ونسير متقاربين على تلك الأرضية الرخيصة. لكننا نتعطف يسارًا هذه المرة.

أرى بوب جالسًا خلف نافذة المراقبة. من الواضح أن الانتظار قد أثار أعصابه. ينظر من حوله كأنه يبحث عن شخص أو عن شيء ينفَس به عن ضيقه. يتململ في جلسته وتهتز ساقاه. بدأ ظهور حبات عرق على جبهته. لم يعتد الجلوس إلى تلك الناحية من الطاولة.

يتوقف الشريف ستيفنز لحظة قبل أن يتركنا. «هل أنتما مستعدان لأن أبدأ هذا الأمر؟ إن لم تكونا مستعدين، ففي وسعنا أن ننتظر قليلًا وأن نجعله يزداد تعرقًا». يبتسم لي. أنا واثقة من أنه لا يريد أن يترك لي حجة.

أجيبه: «لا مشكلة. أنا في أحسن حال. لا أريد إلا أن ننتهي من هذا الأمر». أنا مستنفدة، تواقة إلى الانصراف. شخصية المحامية الواثقة من نفسها قد اختفت هذه الليلة، اختفت كلها؛ وأنا في حاجة للعودة إلى البيت كي أستطيع استعادتها. أحس نفسي ضعيفة من غير درعي. والشريف ستيفنز ليس بالشخص الذي أريده الآن معي. يسرني أن ماثيو هنا.

يومئ الشريف برأسه قبل أن يدخل غرفة التحقيق: «إذًا، لا بأس!».

على الفور، يستدير رأس بوب في اتجاه الباب. تضيق عيناه وتكف ساقاه المتململتان عن الحركة. قد يكون بوب شخصًا مدعيًا، شخصًا شديد الإزعاج

مكتبة ياسمين

أحيانًا، لكنه محامٍ جيد؛ وهو أيضًا شخص يعرف كيف يتفحص كل شيء تفحصًا دقيقًا. يبدو كأنه غير راغب في ترك هذا المكان من غير أن يخوض معركة.

«مساء الخير، يا سيد ميلر. آسف لتركك تنتظر هذه المدة الطويلة كلها. هل تحب أن آتيك بشيء تشربه؟ ماء؟ قهوة؟». يدرك الشريف ستيفنز أن دور الرجل القوي الذي جعل آن تنهار على الفور لا يمكن أن يجدي فتيلًا مع بوب. لعله يبدأ بدور الشخص اللطيف كي يظل كل شيء في مظهر متمدن.

«وفِّر اعتذاراتك وملاطفاتك. لست في حاجة إلى شرب شيء. هذه ليست أول مباراة أخوضها. لذا، دعنا نتجاوز هذا الهراء كله».

ليس راغبًا في مجاراة ما يريده الشريف ستيفنز.

يبتسم الشريف ستيفنز لنفسه وهو يتخذ مقعده، فقد أعجبه ما أظهره بوب من جراة. «حسن جدًا! فلنبدأ بما تعرفه عن كيلي سامرز».

«ما الذي تريد معرفته بالضبط، أيها الشريف ستيفنز؟». يعلم بوب ما تستطيع الشرطة استخدامه في المحكمة وما لا تستطيع استخدامه. يعلم أيضًا ما يمكن أن يبدو تخمينًا أو خبط عشواء مقارنة بما يمكن اعتباره أدلة حقيقية. ينبغي أن تكون أسئلة الشريف ستيفنز محكَمة تمامًا وإلا فسوف يكون هذا كله من غير طائل.

«إنني أعتذر! نسيت لحظة أنني أتحدث مع محامٍ. لذا، لا حاجة إلى أية أسئلة غير محددة. هل كنت على معرفة بالضحية كيلي سامرز بأية طريقة من الطرق قبل بداية هذه القضية؟».

«نعم، كنت على معرفة بها».

لن يكون ممكنًا العثور على أية إطالة في إجابات بوب.

ينفتح باب الغرفة ويدخل الشرطي ماركوس هدسون، يدخل متعجرفًا كشأنه دائمًا. قامته مشدودة، وعلى وجهه ابتسامة خبيثة.

أسأله: «ماذا تفعل هنا؟».

«أتابع هذا التحقيق لأن من حقي متابعته». يقف خلفنا. هو أطول مني قامة، ومن ماثيو أيضًا.

يجيبه ماثيو: «لك الحق في أن تكون هنا، لكن ما من سبب لأن... سلوكك مريب جدًا».

يضحك الشرطي هدسون ويقول: «فليكن الأمر كذلك. أنا من يمثل القانون هنا».

أقول حتى من غير أن ألتفت كي أنظر إليه: «أبق فمك مطبقًا واتركني أقوم بعملي، ومن الأفضل أن تكون مستعدًا لأن تمثل القانون عندما أستدعيك إلى الشهادة في المحكمة».

يتنهد الشرطي هدسون وأسمعه يتململ في وقفته. يصير الهواء من حولي أقل اختناقًا. يعود انتباهي إلى غرفة التحقيق.

يسأل الشريف ستيفنز: «ألا تشرح لي كيف عرفت كيلي سامرز، أو من الأفضل أن نقول جينا واي؟».

يجيبه بوب: «كانت زوجة أخي».

«زوجة أخيك في ويسكنسن».

«هذا صحيح».

«الزوج الذي أقدمت كيلي على قتله».

«أنا لم أقل هذا. لم تتم إدانتها بتلك الجريمة. وبالتالي، فإن أية جملة تخلص إلى تلك النتيجة لن تكون أكثر من تخمين». يقول بوب هذا وتظهر في نبرة صوته مسحة من ازدراء. الظاهر أن الشريف

مكتبة ياسمين

ستيفنز عرف كيف يضغط على المفتاح الصحيح.

«إنني آسف! دعني أعيد صياغة الجملة. شقيقك الذي كانت كيلي متزوجة منه، ثم غثر عليه مقتولًا، وبعد ذلك فرّت كيلي من الولاية واختفت». يتابع إصبع الشريف ستيفنز ضغطه على ذلك المفتاح الأحمر الكبير المكتوب عليه «الشقيق الميت»، المفتاح القابع تحت جلد بوب.

«نعم، كانت متزوجة منه. نعم، لقد قُتل. وأما إن كانت قد فرّت من الولاية مثلما تقول أو غادرتها فحسب في ظل ظروف عادية، فهذا ليس إلا تخمينًا، من جديد». صار واضحًا أن بوب في ضيق متزايد.

«فهمتك. فهمتك. فهمتك. هل تم اتهام أي شخص آخر في ما يتصل بواقعة أن شقيقك قد...». يمر الشريف ستيفنز بأصابعه على حنجرته مشيرًا إلى أن شقيق بوب قد مات مقتولًا.

«لا. لم يتم اتهام شخص آخر في قضية شقيقي...» يكرر بوب حركة الشريف ستيفنز ويظهر لعابه عبر أسنانه أثناء إجابته.

«لا بد أن هذا أمر مزعج جدًا، أليس كذلك؟ أعني أن حياة شقيقك قد أنهيت و... من فعل به ذلك لا يزال حرًا طليقًا. أعني أن هذا ينبغي أن يكون أمرًا يقض مضجعك خاصة لأنك شخص على دراية بأنظمة العدالة. ولكن مهلًا! من طبيعة عملك أن تجد نفسك مدافعًا عن ذلك النمط من الناس. أعني أنك ساعدت ذلك الشخص نفسه على الخلاص من المأزق. أعني... يمكن أن يكون أي شخص، أليس هذا صحيحًا؟ هذا أمر ممكن من الناحية الإحصائية، أليس كذلك أيها المحامي؟». تصير نبرة صوت الشريف ستيفنز حادة قليلًا مع كلماته الأخيرة. يميل

برأسه جانبًا منتظرًا سماع الإجابة.

وجه بوب الآن محمر قليلًا؛ حمرة من ذلك النوع الذي لا نراه إلا في لون سيارات الإطفاء، أو، ربما، داخل فوهة بركان. يظل صامتًا فترة طويلة في حين تبدأ ساقاه اهتزازهما من جديد. تصير الغرفة ثقيلة، صغيرة مثلما يصير هواء الليل قبل بدء تساقط الثلوج. أخيرًا، يزفر بوب زفرة طويلة وتتدحرج دمعة وحيدة من عينه اليسرى، تتدحرج على مبعدة سنتيمترات من ذلك العرق الذي في جبهته الذي يبدو موشكًا على الانفجار.

«أيها الشريف... أنا هنا بغية استجوابي طوعًا، تحت إشرافك. أنا لست رهن الاعتقال، ولم يُوجَّه إليّ الاتهام في أية جريمة. وبما أن الأمر هكذا، فمن حقي الدستوري أن أمتنع عن الإجابة عن أية أسئلة وأن أغادر هذا المكان عندما أشاء من غير احتجازي أو استبقائي هنا ضد إرادتي. بطبيعة الحال، يسرني أن أتعاون مع الشرطة بأية طريقة حيثما أستطيع أن أكون مفيدًا في البحث عن العدالة وفق القانون. لهذا، فأنا على أتم استعداد للإجابة عن أية أسئلة أخرى كتابةً عندما تُحال إلى مكتبي». ينهض بوب واقفًا ويخرج من الغرفة من غير أن ينظر إلى الشريف ستيفنز.

يصيح به الشريف ستيفنز: «عذرًا، يا سيدي. لكننا لم ننته بعد من...»؛ لكن الباب صار مغلقًا. تعجز الكلمات عن بلوغ هدفها كأنها تجمدت في الهواء ثم سقطت على الأرض وتكسرت. أنهض سريعًا وأفتح الباب المفضي إلى الممر. يمر بي بوب. يراني، لكنه يتابع سيره من غير أية كلمة مدركًا تمام الإدراك أنني رأيت كل شيء. يرشقني بنظرة ازدراء عميق تجعلني أحس بألم حقيقي، ألم الجرح الذي لا شك

عندي في أنه أراد لنظرته أن تُحدثه.

يخرج الشريف ستيفنز ناظرًا إلى الأرض. يتوقف لحظة ثم يلتفت إليّ. أقول له: «ما هذا، بحق الجحيم؟».

«لم يكن متعاونًا».

«بل كان متعاونًا! كان متعاونًا بمجرد وجوده هنا. ليس لك الحق في فعل ما فعلت لمجرد أنه لم يكن خائفًا منك أو ضعيفًا أمامك». أحاول إبقاء صوتي منخفضًا كي لا يسمعني بوب، لكني أحاول أيضًا أن أجعله عاليًا بما يتيح للشريف ستيفنز إدراك أنني غاضبة.

«ظننت أنني أستطيع أن أحصل منه على شيء. كنت أحاول العثور على منفذ لتقديم شيء من العون». يقول الشريف ستيفنز هذا وفي نبرة صوته شيء من التوسل.

«لكنك لم تستطع. وبدلًا من ذلك، أوشكت أن تعذّب رجلًا في شأن شقيقه الذي مات. عثرت على جرح فغرست فيه سكينًا، ثم استمتعت بأن رحت تدير السكين في ذلك الجرح. هو لا يمثل هنا أمام المحكمة بتهمة القتل. كان يحاول التعاون بأفضل ما يستطيع. ولكن، هل تظن الآن أنه سيظل متعاونًا؟».

«يا سارة، لم أكن أحاول إلا...».

«كف عن هذا! عساك الآن ترى نفسك شخصًا عظيمًا! ولكن، ما رأيك في أن تستخدم شيئًا من قوتك الكبيرة هذه كي تكتشف ما حدث حقًّا؟». أدور على أعقابي وأسير في الممر. ماثيو يسير خلفي متأخرًا عني بضع خطوات. لا يقول الشريف ستيفنز شيئًا، لكني أصممت أذنيّ عنه تمامًا. لست قادرة على تخمين ما يقول... إن قال شيئًا.

في ردهة المدخل، أجد آن جالسة على كرسي تبكي، وبوب يذرع المكان جيئة وذهابًا. ينظر الاثنان إليّ لحظة أفتح الباب فأفكر لحظة في أن أعرض عليهما أن أوصلهما بسيارتي، لكني لست واثقة بأي منهما. لم يستطع الشريف ستيفنز التوصل إلى شيء في ما يتصل ببوب. ولا تزال آن مُدانة في نظري.

تصيح بنا مارغي عبر شقوق فوهة التكلم ذات اللون الفضي في الزجاج الواقي من الرصاص الذي يفصلها عنا: «عليكم أن تضعوا توقيعاتكم في السجل قبل انصرافكم».

أنظر لحظة في اتجاه بوب وآن، ثم تحيد عنهما عيناي. لا أستطيع الآن أن أنظر إلى أي منهما. نخرج إلى هواء الليل البارد، وأسير مع ماثيو صوب سيارتي. نسير صامتين. نظل صامتين طيلة رحلتنا حتى البيت.

51

سارة مورغان

بدأ تراجع الألم في وجنتي بعد كأسين مزدوجتين من كوكتيل الفودكا تناولتهما خلال أقل من ثلاثين دقيقة في أثناء مراجعتي وثائق القضية. لقد سددت إليّ تلك العاهرة التي هي حماتي لكمة شديدة زادت من أثرها تلك الخواتم التي تزين أصابعها.

ثم إنها جرحتني جرحًا عميقًا بما قالته عن أمي؛ خاصة وأنها لم تكن مخطئة. لم أعرف الحب من أمي... على الأقل، لم أعرفه بعد وفاة أبي. كان أبي هو الغراء اللاصق الذي يجمعنا معًا، وكان هو الذي يشجعني في الحياة ويزرع الفرحة في قلب أمي. كان رجل البيت بكل ما في ذلك التعبير التقليدي من معنى، كأنه رجل خارج من واحدة من لوحات نورمان روكويل. كانت معيشة الأسرة معتمدة عليه وحده، وكان هو العنصر الوحيد الذي يحافظ على جريان حياة أسرتنا الصغيرة جريانًا مستقرًا. لكن ذلك كله انتهى على نحو مفاجئ. خسرنا كل شيء نتيجة حادثة ظالمة واحدة: أب، وزوج، ومعيل، وحامٍ... كان هو الشخص الوحيد الذي يدفعني إلى التقدم ويحافظ على صلتي العميقة بالحياة؛ وكان الشخص الوحيد الذي يحول دون سقوط أمي من قمة السعادة والغرق في بحر الاكتئاب.

لم يبق لنا شيء بعد رحيله: لا مال، ولا دخل، ولا نور في الحياة. كانت أمي غير قادرة على الثبات في عمل لشدة اكتئابها الذي جعلها تنام طيلة النهار ولا تأكل ولا تتكلم إلا في ما ندر. في نظري، لم تعد أمي أكثر من خيال للمرأة التي كانتها. فبعد أن كنت مصدر فرحتها وفرحة أبي معًا، لم أعد

مكتبة ياسمين

الآن إلا رمزًا للألم والخسارة. ونتيجة هذا، كرهتها. لكن ذلك لم يكن كرهًا فحسب. صحيح... نأت عني من الناحية العاطفية عندما كنت في أمس حاجة إليها، لكن ضعفها تبدّى بطرق صرت معها غير قادرة على الإحساس بأي تعاطف، بل بغضب وحرج. كلما تكلمت أمي تطور الأمر إلى مشاجرة بيننا.

«اخرجي من بيتي! لا أطيق النظر إليك».

«بيتكِ؟! بيتكِ؟! هذا ليس بيتكِ، إنه بيت أبي. لم تعملي يومًا واحدًا في حياتك كلها. أنت ضعيفة إلى حد يثير الشفقة؛ وأنت غير قادرة حتى على إعالتنا نحن الاثنتين. أنتِ من يُنتظر منكِ أن تكوني الشخص الكبير في البيت، لا أنا».

«كيف تجروئين على قول هذا؟ أنتِ لا تدركين أبدًا كيف هو...».

كانت هذه المشاهد تتكرر مرة بعد مرة، لكن تواترها راح يتناقص مع تحول أمي إلى مخلوق ليلي ومع تراجع مرات خروجها من كهف أحزانها. أدركت أن أمرًا خطيرًا يحدث عندما بدأ ظهور النقص في محتويات برادنا وعندما بدأت إشعارات التأخر عن الدفع تأتي عبر البريد.

وعلى غرار أكثر المدمنين، كانت شديدة البراعة في إخفاء سلوكها أول الأمر، لكن المال الذي حصلنا عليه من شركة التأمين نفد في آخر المطاف، وصارت نقود المعونة الاجتماعية غير كافية حتى لتغطية نفقات إدمانها المتزايد. بدأت موجودات البيت تختفي، وبدأ زائرون مختلفون يترددون على البيت وقت المساء؛ رجال لم أر وجوههم أبدًا، لكني صرت على معرفة جيدة بنبرات أصواتهم وطرقهم البدائية في التعبير عن الغضب وعن النشوة.

ومع بلوغي الخامسة عشرة، كنا قد فقدنا بيتنا

مكتبة ياسمين

وصرنا نتردد على ملاجئ النساء وغرف الفنادق. عملت نادلة في الصباح، قبل المدرسة، وفي أمسيات أيام عطلة نهاية الأسبوع كي أستطيع تأمين الضروريات، كالطعام والملبس والمأوى في حين ظلت أمي تمارس الدعارة كي تنفق على إدمانها المتزايد. لم تصادفني مشكلات في المدرسة لأنني استطعت البقاء بعيدة عنها من خلال محافظتي على معدل درجات مرتفع. فضّلت تدبر أموري بنفسي بدلًا من العيش في واحد من الملاجئ.

في يوم عيد ميلادي السادس عشر، وجدت جثة أمي في غرفة الفندق الصغيرة العامرة بالصراصير التي بتنا ليلتنا فيها. بعد الآن، لن أجد نفسي مضطرة إلى رعايتها، ولا إلى العمل أربعين ساعة كي أعيلها وأعيل نفسي، ولا إلى القتال كي أبعد عني الرجال الذين ظنوا أنني سأكون لقمة سائغة بعد رحيلها.

ظللت أكثر من ساعة أنظر إلى جسدها النحيل الشاحب، جسدها الذي صار هيكلًا فارغًا لا حياة فيه. أربع حقنات فارغة مغروسة في ذراعها. جمعت حوائجنا وسرت إلى أقرب هاتف مدفوع كي أتصل برقم الطوارئ. كانت تلك آخر مرة أرى فيها أمي. وقد أقسمت على ألا أكون مثلها أبدًا.

لكن ما فعلته بي أمي لم يبلغ ما فعلته إليانور بآدم. لقد جعلتني أمي حكيمة، جعلتني مستقلة، جعلتني أتعلم كيف أقاتل من أجل نفسي.

إليانور جعلت آدم ضعيفًا، أودى حبها بقدرته على العيش معتمدًا على نفسه. أمي وإليانور ليستا مختلفتين كثيرًا. المدمنون، في أكثرهم، ليسوا مختلفين كثيرًا! الاختلاف الوحيد هو أن إليانور لا

تزال مستمرة في تغذية إدمانها، أما إدمان أمي فقد قتلها منذ أمد بعيد.

52
آدم مورغان

بعد لحظات من خروج سكوت سامرز من غرفة التحقيق، ألاحظ أن الباب بقي غير مغلق تمامًا. أنهض واقفًا وأسير إليه. أصيخ السمع كي أتيقن من خلو الممر. أنقر على النافذة الكبيرة لأرى إن كان من خلفها أحد يراقبني.

وبعد مضي بضع دقائق، أستجمع شجاعتي كي أفعل شيئًا لا شك عندي في أنني سوف أندم عليه. أفتح الباب ببطء وأسترق نظرة إلى الممر. لا شيء غير الصمت. أتسلل خارجًا من غرفة التحقيق وأمضي صوب الجزء الأمامي من المبنى مجتازًا ممرات خالية.

قبل وصولي إلى ردهة الاستقبال، أرى مارغي تتمتم لنفسها بشيء وتزيح أوراقها جانبًا. تحمل فنجان قهوتها وتختفي في غرفة جانبية.

هذه هي اللحظة المناسبة. أتحرك سريعًا. لكن من غير صوت. لا ألتفت خلفي إلا مرة واحدة عندما أقفز من فوق الحاجز. أجتاز ردهة الاستقبال عبر الباب الأمامي. سيارة سارة لا تزال في موقف السيارات. أنعطف يمينًا وأسير في الشارع مبتعدًا. لست واثقًا من وجهتي ولا مما أفعله، لكنني غير قادر على البقاء هنا. لا بد لي من العثور على ريبيكا. إنها الشخص الوحيد القادر على مساعدتي.

مكتبة ياسمين

53

سارة مورغان

لم أهتم بضبط المنبه بعد كل ما جرى خلال الليلة الماضية. بدلًا من ذلك، تركت نفسي أنام إلى أن أستيقظ استيقاظًا طبيعيًا. كانت تلك أول ليلة أحظى فيها بقدر طيب من النوم منذ أن بدأت العمل على هذه القضية. بعد حمام طويل لطيف وفنجان قهوة فرنسية ووجبة إفطار كبيرة لذيذة، أحس من جديد أنني قادرة على التعامل مع كل شيء.

بوب وآن على رأس قائمة مهماتي هذا اليوم. لكن لديّ أيضًا مسألة آدم وثورة أعصابه السخيفة. ثم يأتي أمر نسق الـ DNA الثالث. عليّ أيضًا أن أصلح الأمر مع المدعي العام بيترز قبل المحاكمة. يا إلهي! حتى هذه اللحظة، ليست لديّ أية استراتيجية دفاع واضحة. لكن، إن كان هناك شخص قادر على فعل هذا، فهو أنا. أعني... ينبغي أن يكون ذلك الشخص أنا.

أقود سيارتي متجهة إلى المكتب. لست أدري إن كان بوب وآن سيأتيان اليوم. لكن احتمال قدومهما إلى المكتب كبير، فأنا أعرفهما. سوف تكون آن راغبة في قضاء اليوم كله متوسلة عند قدميّ إلى أن أصفح عنها. ولن يكون بوب راغبًا في الظهور أمام من هم أقل منه شأنًا في المكتب بمظهر الشخص المهزوم أو المحطم.

لا شك عندي في أنني سأتلقى توبيخًا من كنت... في وقت من الأوقات. من حسن حظي أن كنت لم يكن في المكتب يوم أمس. لكن الأنباء ستبلغه سريعًا.

بعد دخولي غرفة مكتبي بأقل من ثلاثين ثانية،

مكتبة ياسمين

أسمع نقرًا خفيفًا على الباب. تمد آن رأسها وتنظر في الغرفة. النصف الأسفل من جسدها لا يزال مختفيًا خلف الباب تحسبًا لأن تجد نفسها في حاجة إلى الانسحاب سريعًا كي تتفادى غضبي.

تسألني: «هل أستطيع الدخول، يا سارة؟». في صوتها خجل وارتجاف واضح. هذه هي الضبع عندما تقترب من حيوان قتيل لا يزال الأسد يأكله. قد يقرر الأسد أن يقبل مشاركة الضبع! أو، لعله يقرر تناول وجبتين معًا هذا الصباح.

أقول لها: «تستطيعين الدخول، يا آن». أستخدم نبرة صوت محايدة لا مشاعر فيها كي أجعلها تدرك تحفظي وبقائي حذرة إزاءها.

«انظري! أردت فقط أن أقول مرة أخرى إنني آسفة. آسفة لأنني لم أخبركِ بأمر كيلي وآدم. آسفة لأنني خنت ثقتكِ. إنني آسفة جدًا؛ وإذا أردتِ أن أنصرف فسوف أتفهم هذا. أستطيع إخلاء مكتبي نهاية هذا اليوم».

لا أقول لها شيئًا. أتركها منتظرة، تتعرق.

تخفض رأسها وتتحرك كي تخرج من غرفة مكتبي، كي تخرج مهزومة تمامًا.

أناديها: «توقفي، يا آن». ترفع رأسها فأرى في عينيها أملًا. عليّ أن أتركها تذهب، عليّ أن أتركها تتخلى عن عملها هنا من تلقاء نفسها. سوف أوفر أموال الشركة، سوف أوفر عليّ الصداع. لكني مدركة أن نيتها كانت حسنة. وفي نهاية المطاف، أعلم أنها مخلصة لي. ثم إنني لا أزال محتاجة إليها، أعجبني هذا أم لم يعجبني. في خضم هذه القضية، ليس لديّ وقت للبحث عن مساعدة جديدة.

«هل أتى بوب هذا الصباح؟».

«لقد أتى. هل تريدين أن أتصل به؟».

«لا. ليس بعد، يا آن. لكني أريد منك أن ترتبي لي موعدًا مع المدعي العام بيترز في وقت لاحق من بعد ظهر هذا اليوم». تبتسم آن وتومئ برأسها، ثم تستدير كي تخرج من الغرفة. لكني أتابع كلامي: «وأيضًا، يا آن...».

«ماذا، يا سارة؟». تسألني وفي صوتها ترقب مستثار كما يكون لدى جرو ينتظر أمرًا.

«من هذه اللحظة فصاعدًا، وإلى أن أكون مستعدة من جديد، سوف تكونين مساعدتي فحسب». أترك الكلمات معلقة وأدور بالكرسي مبتعدة عنها.

تتمتم وهي تخرج من غرفتي: «نعم، يا سيدة مورغان».

يهتز هاتفي فأتناوله. رسالة نصية من إليانور:

لا يزال علينا أن نعمل معًا من أجل ابني، لكني لست تواقة إلى رؤيتكِ في أي وقت قريب. كانت كلماتك شريرة، لكني أعتذر لأنني سمحت لها بأن تخرجني عن طوري.

ألقي بالهاتف على طاولة المكتب من غير أن أجيبها بشيء.

مكتبة ياسمين

54

آدم مورغان

ألم قدميّ يكاد يقتلني. فبعد خروجي من مركز الشرطة ليلة أمس، بدأت السير مدركًا أن عليّ الابتعاد إلى أقصى حد أستطيعه. سيكون أمرًا مهمًا أن تفصلني مسافة كبيرة عن مركز الشرطة؛ لكن من المهم أيضًا أن أتخلص من هذه الملابس البرتقالية وأعثر على مكان يؤويني؛ وذلك كله مع تفادي السير في الشوارع الرئيسية.

بدأ المطر بعد ساعات معدودة من فراري. بالطبع، بدأ المطر. ظننت أن مركز الشرطة ليس بعيدًا هذا البعد كله. لا يزال عليّ، بعد سَيري مسافة أظنها لا تقل عن خمسة أميال، أن أدخل بيتًا أو متجرًا أو سيارة... أن أدخل مكانًا أرتاح فيه قليلًا.

ثم تذكرت أن ريبيكا قالت لي إنها تعيش في هذه المنطقة. أعني، ريبيكا تكتب لصالح صحيفة محلية! إذا استطعت العثور على خريطة -هكذا تخيلت- فقد أتمكن من معرفة مكاني الآن.

مع بلوغ تلك الليلة السوداء الماطرة التي لا نجوم فيها أشد ساعات ظلمتها، أدرك أن لا فكرة عندي أبدًا عن وجهة سيري لأن ما من مصابيح في هذه الشوارع. أترك الطريق وأدخل الغابة كي أحاول العثور على مأوى. لكني أكتشف صعوبة الأمر لأنني غير قادر على أن أرى أمامي مسافة تتجاوز ثلاثة أقدام. وبعد نحو خمس عشرة دقيقة من المضي في مسار أظنه كان دائرة كبيرة، أصل إلى شجرة سقطت وحال دون بلوغها الأرض وقوعها بين جذعي شجرتين ضخمتين. تبدو لي الشجرة ثابتة في مكانها ويبدو أنها قد تحميني من المطر فأقرر

مكتبة ياسمين

أن أستريح تحتها. لا أتوهم في نفسي أية قدرة على العثور على أغصان أو على أوراق أشجار كبيرة أحسّن بها مخبئي... في آخر المطاف، أنا لست «رجل الأدغال»!

أجلس تحت الشجرة الساقطة ولا أستطيع منع نفسي من التفكير في أنني لن ألبث أن أغفو وأستسلم أخيرًا للجاذبية التي ستضيفني إلى الأرض كي أتحلل وأصير سمادًا. أعتقد أن هذه لن تكون أسوأ نهاية لي. لا أشك أبدًا في أن النائب العام سيكون مسرورًا بهذا. أستطيع تخيل مؤتمره الصحفي. «نعم، هذا صحيح. فرّ السيد مورغان تلك الليلة من مكان احتجازه. إلا أنه لم يستطع الابتعاد كثيرًا. ففي نهاية المطاف، قررت الطبيعة أن تُخضعه للعدالة التي كانت الولاية تحاول إخضاعه لها».

بدأ برد عظيم يزحف في جسدي. أحاول أن أجرف طينًا وترابًا فأقيم جدارَين واقيَين إلى جانبي كي أحجز الماء عني، لكنني أقلع عن المحاولة آخر الأمر بعد أن تبين لي عقمها. كنت وحيدًا، مرتعدًا، ولم يبقَ لي شيء غير التأمل في ما أوصلني إلى هذه الحال.

ثمة عناصر واضحة تمامًا. نعم، لقد كنت أخون زوجتي في سرير الزوجية نفسه. من هنا، أظن أنني وصلت إلى كل ما يوصِل إليه ذلك من نتائج سيئة. لكن، لا! هذا أمر يتجاوز ذلك. بشر كثيرون يخونون أزواجهم وزوجاتهم... لا بأس... من الناس منْ يخونون أزواجهم وزوجاتهم، لكنني أظن أن الخاتمة الأكثر شيوعًا هي الطلاق، لا جرائم القتل.

من ارتكب هذه الجريمة، كائن من يكون، ينبغي أن يكون على معرفة بكلينا، بل على معرفة جيدة جدًا بي وبها. كان يعرف بأمر بيت البحيرة. كان يعرف

مكتبة ياسمين

أنني أمضي هناك فترات طويلة وأنه لا يزورني أحد غيرها. كان يعرف أن كيلي تأتي كي تراني وأنها تمضي الليل أحيانًا. كان يعرف كيف يدخل البيت، وكيف لا يصدر عنه أي صوت، وأين نكون. خلاصة الأمر أنه كان يعرف كل شيء. هذا الشخص لا بد أن يكون صبورًا، حذرًا، شديد الثقة بنفسه. لم يكن ذلك خطة موضوعة على عجل... لقد استغرق إعدادها زمنًا.

إن لدى سكوت مهارة ومعرفة كافيتين لذلك كله. هكذا هو عمله. بل إنني أستطيع الآن تخيّله. متسع كبير من الوقت للتجول في المنطقة ولاستطلاع مكان عملها وبيتي، وها أنا أحاول مساعدته! لكن، هل يمكن أن يكون الأمر بسيطًا إلى هذه الدرجة؟ زوج تزدريه زوجته؟ إذًا، أين يكون موضع بوب في هذا كله؟ ألم تكن آن تعلم بأمرنا؟ ألا يعملان معًا؟ لا يمكن أن يكون هذا كله مصادفة، أليس كذلك؟ أحاول التفكير في هذا كله علّني أتوصل إلى فهم كيف يكون ممكنًا أن يكون لهؤلاء الثلاثة معًا مكان في هذه القصة كلها.

لعل آن هي التي أخبرت الشرطي سامرز! نعم، هذا معقول. لعلها أرادت أن يكون الشرطي سامرز هو من يواجه كيلي لأن آن غير قادرة على إخبار سارة بنفسها، وغير قادرة على مواجهتي. لعلها لم تتوقع ردة فعل سكوت! ولكن، ماذا عن بوب؟ من الطبيعي أن يتمنى موت كيلي أكثر مما يتمناه أي شخص آخر. أولم تقتل شقيقه؟

يفارقني لحظة ذلك الخدر الذي كان مطبقًا عليّ فأنتبه إلى كثرة الحشرات المجتمعة على يديّ وعلى ساقيّ. ردة فعلي الأولى هي أن أنفض الحشرات عني، أن أبعدها؛ لكنني أتذكر أين أنا.

هذا المكان بيتها، لا بيتي. وهي تبحث عن الدفء والمأوى مثلما أبحث عنهما. لذا، كيف لي أن ألومها؟ ليتني كنت حشرة من هذه الحشرات. سيكون لي هدف عند كل صباح. أمضي في الغابة باحثًا عن طعام وعن مواد بناء كي أعود بها إلى المستعمرة. سيكون لديّ أصدقاء، فريق، إحساس واضح بالتوجه. سيكون آدم النملة قد وُلد من جديد. في الليل، أصير قادرًا على الهجوع عارفًا أنني أمضيت نهاري في عمل شريف. أملأ بطني. ومن وقت إلى آخر، أزرع بذرتي في الملكة. حقًا إنها حياة غير مختلفة كثيرًا عن حياتي نفسها، لكنها ليست حياة من غير هدف. ثم إنها حياة منصفة أيضًا.

أصحو من نومي فأجد نفسي مبتلًا إلى آخري وأشد بردًا من أي وقت مضى. عضلاتي غير راغبة في الاستجابة إليّ. عضلاتي متجمدة، تنتظر وصول الدفء إليها. يؤكد لها عقلي أن الدفء لن يأتيها فتنصاع آخر الأمر وتسترخي. أسير في وجهة أظن أنها تفضي إلى الطريق. يتبين لي أن تخميني صائب وأنني لم أمضِ في الغابة عميقًا قدر ما تخيلت.

ومع مواصلة السير، ألاحظ أن يديّ مكتسيتان طينًا جافًا. يبدأ الطين الجاف تكسرّه ويتساقط عن يديّ قِطعًا صغيرة متتالية. أقول في نفسي إنني أترك خلفي أثرًا يفضحني. ثم أنظر خلفي فأدرك أن ترابًا يسقط فوق تراب لا يمكن أن يترك أثرًا.

ومن وقت إلى آخر، أجفل كلما سقطت على نقرتي قطرة ماء كبيرة مما تجمع في أوراق الأشجار فوقي. هذا التذكير اللطيف بما عشته في الليل لا يسمح لي بنسيان مقدار ضعفي ووحدتي وشدة بردي. أنظر في أجمة قريبة باحثًا عن شيء من نور ومن دفء، لكن أوراق الأشجار الباكية فوقي تحول

دون ذلك. إنها تنكر عليّ أية فرصة للراحة وتواصل الإشارة بأذرعها تأمرني بالابتعاد عنها، تستحثني على أن أتركها وشأنها.

بعد مسيرة طويلة من البؤس والوحدة لم أعرف مثلها في حياتي، أبدأ سماع هدير السيارات المتزايد. بدلًا من سيارة واحدة كل عشرين دقيقة، أسمع الآن سيارة كل عشر دقائق. لا بد أنني صرت قريبًا من شيء ما. جسدي يصرخ مطالبًا إيايّ بأن أجري إلى الطريق، بأن أصرخ طالبًا المساعدة. لكن عليّ أيضًا أن أظل حذرًا. لا أزال هاربًا، ولا أزال مرتديًا ملابس السجن.

أتابع سيزي فأدرك سريعًا أنني صرت على مقربة من تقاطع طريقين سريعين ومن كل ما يرافق ذلك من منشآت معتادة؛ محطة وقود، وموقف لاستراحة السيارات الشاحنة، ومجموعة مطاعم تقدّم مأكولات سريعة. أدرس موقفي وأقرر أن موقف السيارات الشاحنة ينبغي أن يكون أفضل خياراتي. إذا أسعفني الحظ، فقد يكون واحدًا من السائقين قد ترك سيارته مفتوحة. من الممكن أن أدخلها وأستعير بعض الملابس، ثم أتسلل إلى الحمامات كي أغتسل سريعًا. بعد ذلك، أصير قادرًا على التحرك في المنطقة من غير قيد. أنتظر خلو الطريق من السيارات، ثم أعبره قاصدًا موقف الشاحنات. أحاول التسلل خفية إلى أقصى حد أستطيعه، لكنني أسير في ضوء النهار، لا بد أنني أشبه بنموذج مصغر لإنسان بدائي.

أقترب من الشاحنة الأولى بعد أن تجول عيناي في المكان باحثتين عن أي شخص يمكن أن يراني. أجرّب الباب، فأجده مقفلًا. أنتقل إلى الشاحنة التالية، ثم إلى التي بعدها، لكن من غير نجاح.

مكتبة ياسمين

أخيرًا، في المحاولة الرابعة، أجد الباب مقفلًا لكن النافذة مفتوحة كلها. أمد يدي من النافذة وأفك قفل الباب، ثم أدخل مقصورة الشاحنة. أعبر المقعد الأمامي فأصير عند مقصورة النوم التي خلفه. يفاجئني أول الأمر أنني لا أشم شيئًا غير نفحات بسيطة من روائح السجائر والبول والعرق وبقايا الطعام، لكني أدرك بعد ذلك أن الرائحة المنبعثة مني قد غطت كل رائحة غيرها.

أجد تحت المقعد حقيبة صغيرة فأفتحها. أخرج منها ملابس داخلية وبنطلون جينز وقميصًا خفيفًا أخضر اللون. أهمس لنفسي: «هذا وافٍ بالغرض».

أخرج من السيارة وأغلق الباب بهدوء، ثم أعيد إقفاله. بعد ذلك، ألتفت وأنظر إلى الحمامات لكني أتجمد في مكاني عندما أرى رجلين آتيين في اتجاهي. أراهما يدخنان ويتحدثان. لم ينتبها إليّ حتى الآن. لكن الأمر لن يطول. ثمة منطقة مفروشة بالحصى عند حافة موقف السيارات ومن بعدها حقل فيه نباتات عشبية طويلة، وعلى صفحة السماء من خلفها، ترتسم حواف الغابة بألوانها القاتمة. وعندما أنظر إلى الرجلين من جديد، تقابلني عيون مستطلعة وخطوات بطيئة ثابتة. أرى الرجلين يقتربان مني حذرين، وقد خفضا أكتافهما ومالا برأسيهما.

يصيح واحد منهما: «أنت!».

يصيح الثاني: «ماذا تفعل؟».

يستبد بي الذعر. لا يمكن أن تكون لديّ إجابة تقنعهما، خاصة مع مظهري هذا. أقوم بالأمر الوحيد الذي أستطيعه وأنطلق جاريًا صوب الحقل.

يصيح بي السائق الأول: «أنت، يا ولد! إننا نكلمك!». يجري الاثنان من خلفي.

مكتبة ياسمين

يواصلان صياحهما في أثناء مطاردتي، لكن عقلي يصير غارقًا في ضباب من ذعر. لا ألتقط إلا نتفًا صغيرة مما يقولان: «يا وغد»، «توقف...»، «سوف أقتلك».

أبلغ منطقة الأعشاب العالية، لكني لا أتوقف. لا تستطيع يداي الممسكتان بالملابس التي سرقتها حماية وجهي من سوق النباتات التي تصطدم بخديّ فتخدشهما وتجرحهما في أثناء جزيي. تجعل تلك الضربات المتتالية عيناي تفيضان دمعًا، ثم تتورمان. لا أتوقف عن الجري حتى أتعمق في الغابة من جديد، حتى أغدو غير قادر على سماع الأصوات من خلفي.

أخلع ملابس السجن، وأرتدي ملابس السائق المسروقة. تسقط قطرة ماء جديدة على ظهري العاري فتسري رعشة في عمودي الفقري. أرفع رأسي وأنظر إلى الأغصان المتراقصة في النسيم الخفيف. أراها تلوّح لي، تخاطبني. أذرع تشير إليّ بأن أنصرف، بأن أعود من حيث أتيت.

أرفع رأسي ناظرًا إلى السماء. أقول: «نعم... وأنا أيضًا لا أريد أن أكون هنا».

أفرغ من ارتداء الملابس الجديدة. أعود إلى موقف الشاحنات كي أرى إن كان السائقان قد انصرفا. لا أزال في حاجة إلى خريطة، أو إلى الوصول إلى هاتف. من أجل ذلك، قد يكون عليّ الانتظار حتى يحل الليل.

55

سارة مورغان

أصل قبل الموعد إلى المقهى الصغير الذي وافق المدعي العام جوش بيترز على لقائي فيه. في الأحوال العادية، أتعمد الوصول بعد دقائق قليلة من وصوله كي أجعله يرى أن وقتي أهم من وقته. لكن، ليس في هذه المرة. أنا محتاجة إليه. كانت الأمور تسير من غير مشكلات إلى أن أفسد آدم كل شيء عندما أتى إلى مكتبي وهاجم بوب وآن. كان جوش مستعد لتقبّل ما أشير به عليه. كان موشكًا على أن يقوم بالعمل بدلًا مني، موشكًا على اكتشاف صاحب نسق الـ DNA الثالث. أما الآن، فقد صار عليّ إنجاز مزيد من العمل، ولم أعد صاحبة اليد العليا.

تنقر أصابعي على طاولة المقهى الخشبية المربعة. أحاديث الناس من حولي، والصوت الصادر عن آلة القهوة، وقعقعة الصحون... استراحة لطيفة من الضجيج والقلق اللذين يتزاحمان في رأسي منذ بداية هذه القضية. أحرك كأس السموذي بالدراق والمانغو. لو حاولت الآن تناول طعام صلب لما استطعت. معدتي متشنجة. وأنا في قلق شديد جدًا. ما عادت لديّ قدرة على الصبر.

أرى المدعي العام بيترز لحظة دخوله. لا ينظر من حوله كي يعثر عليّ بل يتوجه إلى طاولة البيع مباشرة كي يطلب لنفسه شيئًا. إنه متأخر، وهو يدرك هذا، لكن الأمر لا يهمه. يدرك أنه في الموقع الأقوى. لا تفصلنا عن موعد بداية المحاكمة إلا أيام قليلة. في حياتي كلها، لم أكن أبدًا أقل استعدادًا لأية قضية. ألقي باللائمة على ادم وأفعاله، ألقي باللائمة على ان وأكاذيبها. ربما كان عليّ ألا أتولى

هذه القضية بنفسي. إنني محامية الدفاع الأفضل في القضايا الجنائية، لكني قد لا أكون أفضل المحامين في هذه القضية. ظننت أنني قادرة على مساعدة آدم.

بعد أن يبتسم بيترز ابتسامة عريضة لعاملة الصندوق، يراني جالسة إلى طاولة منزوية جانبًا. يختفي قسم من ابتسامته، لكن الباقي منها يظل كافيًا من أجلي، يظل كافيًا، على ما أظن، لإقناعه بأن يساعدني. على الأقل، هذا ما أتمناه. يشير إلى قائمة الطعام ويسألني إن كنت راغبة في تناول شيء. أهز رأسي وأرفع كأس السموذي كي يراها. يومئ برأسه ويجلس إلى الطاولة.

يفك أزرار سترته ويقول: «سيدة مورغان، بماذا أستطيع أن أخدمكِ؟».

أتمهل قليلًا قبل أن أتكلم لأنني لا أريد أن أبدو في لهفة شديدة، ينبغي أن يبدو كلامي عاديًّا. أتناول رشفة من كأسي: «أردت معرفة إن كنت مستعدًا للمحاكمة».

يرميني بنظرة مستفهمة. لا يقنعه كلامي. «أنا مستعد. لكن هذا ليس السبب الحقيقي لوجودنا هنا، أليس كذلك يا سارة؟». يرفع حاجبه.

أستند إلى مقعدي. تقاطعنا النادلة وتضع على الطاولة، أمام جوش، سلة صغيرة من رقائق البطاطس وسندويتشًا وفنجان قهوة. تحمر وجنتاها عندما تبتسم له. من الواضح أن له ذلك الأثر على الفتيات... ولماذا لا يكون له ذلك الأثر؟ إنه رجل وسيم، حسن المظهر. قد أستطيع الاستفادة من هذا. يشكر جوش النادلة. تتمهل لحظة قبل انصرافها، ثم تخطو مبتعدة، لكن ليس قبل أن تلتفت مرتين وتنظر إليه.

مكتبة ياسمين

يشير إلى طعامه ويسألني: «هل أنت واثقة من أنك لا تريدين شيئًا؟».

«أوه... هناك أشياء كثيرة أريدها». أقول هذا بأقصى ما أستطيعه من نبرة صوت لعوب.

لعله لم يلتقط إشارتي! أو لعله يتجاهلها!

يحذرني قائلًا بين لقمتين: «عندما أنتهي من طعامي، يكون هذا الحديث بيننا قد انتهى. لذا، قد يكون عليكِ أن تقولي ما تريدين».

أتنهد وأقول: «عظيم! ماذا تعلم عن النسق الثالث من الـ DNA؟».

«لا شيء».

«ألا يقلقك هذا الأمر؟».

«لست في حاجة إلى ذلك النسق الثالث كي أحصل على إدانة المتهم». يقول هذا من غير كبير اهتمام.

«ولكن...».

يقاطعني: «ولكن، أنتِ في حاجة إليه».

«قد لا أكون في حاجة إليه».

«تعلمين جيدًا، مثلما أعلم، أن هيئة المحلفين ستعتبر ذلك النسق الثالث من الـ DNA دليلًا ظرفيًا، أعني أنه نسق من ثلاثة أنساق. يُستنتج من هذا أن الضحية ضاجعت عدة أشخاص. هذا كل ما في الأمر. لو كنت تعلمين هوية صاحب النسق الثالث، لبنيت دفاعك على ذلك ولاستطعت إثبات وجود قدر معقول من الشك، ولاستطعت إثبات أن هناك شخصًا آخر لديه دافع أقوى مما لدى آدم. أعلم كيف يجري الأمر، يا سارة. أنت في موقف عصيب. وقد يكون عليك أن تحاولي تقبُّل حقيقة أنك لن تكسبي هذه القضية». يقول هذا كله بنبرة باردة.

«لدينا سكوت أيضًا».

«لدينا سكوت». ولا يضيف أية كلمة أخرى.

أسأله: «أتظن أنه القاتل؟».

«من تعنين؟».

«سكوت».

«إذا أردت الصدق، سأقول لك إنني لا أعلم من قتلها. سكوت، أم آدم، أم ذلك الشخص المجهول صاحب النسق الثالث. كل ما أعلمه هو أن الأدلة الموجودة تدين آدم».

«ألا تبالي بحقيقة أن من المحتمل أن يودي هذا بحياة شخص بريء؟».

«هذا أمر تقرره هيئة المحلفين». يمسح وجهه بالمنديل، ثم ينهض واقفًا ويغلق أزرار معطفه.

أسأله: «وماذا عن الصلة بين بوب والضحية؟».

«دليل ظرفي».

أشد على أسناني وأقول: «يعني هذا أن القضية كلها ظرفية».

«تم العثور على جثة الضحية في سرير زوجك... أو، قد يكون عليّ القول إن الجثة قد وُجدت في السرير الذي تتشاركينه مع زوجكِ. أراكِ في المحكمة، يا سارة». يشمخ برأسه ويسير خارجًا من المقهى.

يا له من وغد! لم يسر الأمر مثلما أردت. لقد توقعت أن أحصل من جوش على ما هو أكثر من هذا. لا أظنه يعرف هوية صاحب ذلك النسق الثالث من الـ DNA. وحتى إذا عرفها، فلن يدرجها ضمن ملف القضية لأن هذه المعلومة مفيدة لي فقط. أخرج ورقة وأكتب عليها بضعة أسماء، كل ما أعرفه من أسماء الرجال الذين كانت لهم صلة بكيلي،

مكتبة ياسمين

الرجال الذين من المحتمل أن يكونوا قد ضاجعوها. أصور الورقة بهاتفي، ثم أضع الورقة في جيبي. عادة ما أطلب من آن أن تفعل هذا، لكني غير قادرة على الثقة بها، على الأقل، ليس بعد.

أخرج من المقهى وأتصل بماثيو. يجيبني من الرنة الأولى: «مرحبًا، يا حبيبتي!».

«مرحبًا، يا ماثيو. أريد منك خدمة».

«اطلبي ما تشائين».

أقول بصوت منخفض في أثناء سيري على الرصيف بين بشر غرباء: «هذا ليس أمرًا قانونيًا تمامًا».

«أووووه! أنتِ الآن تبدين مثل واحد من عملائي». في صوته تصميم، لكنه لطيف، خفيف على السمع؛ شيء لا يستطيع غيره تحقيقه، «مع هذا، اطلبي ما تشائين».

«سوف أرسل إليك قائمة أسماء. أريد الحصول على عينة DNA من كل واحد من أولئك الرجال؛ شعر، أو لعاب، أو جلد. لا يهمني كيف تحصل عليها. أريدك أن تحصل عليها».

يضحك ويقول: «الحصول على DNA من رجال. هذا هو اختصاصي».

«وبعد ذلك، أرسل تلك العينات كلها إلى المختبر بغية مقارنتها بالـ DNA المجهول الذي عثروا عليه في كيلي. لقد أضفت اسمك بصفتك محاميًا مساعدًا، يعني هذا أنك لن تواجه أية مشكلة». أضغط الهاتف على أذني وأهمس: «احرص على السرية، وعلى إنجاز الأمر سريعًا».

«تعلمين يا سارة أن هذا لن يكون مقبولًا في المحكمة». تصير نبرة صوته جادة.

«سوف أجعله مقبولًا».

«هل أنت جادة في هذا؟ ماذا تفعلين؟».

ها هو يشكك في أحكامي من جديد. كان عليّ أن أطلب من آن أن تهتم بهذا الأمر، لكني لا أستطيع الثقة بها، ولست متأكدة من أنني أستطيع الثقة بماثيو أيضًا.

أقول: «أريد أن أعلم. هذا كل ما في الأمر».

يقول بنبرة راجية: «لكن، لن يفيدكِ هذا بشيء».

«ماذا بك، يا ماثيو؟ هل تعتزم مساعدتي، أم لا؟».

«تعلمين أنني سأساعدكِ. آمل فقط أن تكوني مدركة ما تفعلين».

«أدرك ما أفعل. نتكلم عما قريب». أنهي المكالمة مع وصولي إلى مقر شركة ويليامسون ومورغان.

56

آدم مورغان

تبين لي أن العودة إلى موقف الشاحنات ليلًا أكثر سهولة. تريثث قليلًا وراقبت الموقع كي أتأكد من أن ما شهده من إثارة في وقت سابق قد هدأ الآن. لم أر السائقين، ولم أر عناصر شرطة. أظن أن السائقين كانت لهما أسبابهما الخاصة التي جعلتهما غير راغبين في تدخل السلطات في أمر سرقة ملابس قد لا يتجاوز ثمنها أربعين دولارًا.

تمكنت أخيرًا من الاغتسال في الحمامات ومن العثور على بقايا طعام في سلة القمامة هناك. أعلم أن هذا فظيع، لكن بنطلون الجينز الذي سرقته من الشاحنة لم تكن في جيبه الخلفي محفظة سحرية محشوة أوراقًا نقدية.

رفع الموظف رأسه عن هاتفه لحظة قصيرة ونظر إليّ مع هزة رأس خفيفة، ثم عاد إلى تسليته السخيفة.

سرت في اتجاه الحمام آملًا أن ألمح هاتفًا مدفوعًا مع علمي أن تلك الهواتف صارت نادرة في أيامنا. بالفعل، لم أجد هاتفًا. اتجهت صوب الرفوف التي تحمل نشرات دعائية محلية، وبطاقات بريدية، وتقاويم عليها صور لمناظر طبيعية... وأهم من كل شيء، خرائط الطرق. أخرجت خريطة من غلافها فاستطعت معرفة المكان الذي كنت فيه. حاولت أيضًا أن أتذكر اسم المكان الذي قالت ريبيكا إنها تعيش فيه. استخدمت بيت البحيرة نقطة انطلاق كي أتتبع الطريق إلى مكان سكنها. واتاني الحظ أخيرًا: تعيش على مسافة لا تتجاوز ثلاثة أميال، غير بعيد عن الطريق السريعة.

أدسّ الخريطة تحت حزامي وأرخي القميص من فوقها. ليس لديّ خيار آخر مع أنني لا أريد أن أسرق هذا الرجل. من لا يزال يستخدم خرائط ورقية على أية حال... غير مجرم فارٍ من غير هاتف، وربما بعض كبار السن؟

فكرت في أن من الأفضل أن أتصل بريبيكا كي أبلغها بقدومي. ففي أفضل الأحوال، ستأتي وتأخذني من هذا المكان وتوفر عليّ ساعات من السير. أتوجه صوب الموظف. يقول من غير أن يرفع رأسه: «كيف أستطيع خدمتك؟».

«لقد أضعت هاتفي. وأنا الآن في حاجة إلى إجراء مكالمة هاتفية. هل أستطيع استعارة هاتفك لحظة؟».

يجيبني الموظف من غير أن يتوقف عن التحديق في الشاشة: «خمسة دولارات».

«ماذا؟».

«خمسة دولارات. تريد استخدام هاتفي. يكلفك هذا خمسة دولارات».

«لكني لا أحمل مالًا».

يجيب: «إذًا، لا هاتف. إن لم يكن لديك هاتف، ولا مال، فما الذي تفعله هنا؟».

«الحقيقة أنني ضعت قليلًا. توقعت أن أجد هنا هاتفًا مدفوعًا».

تظهر ابتسامة على وجهه ثم يضحك ويقول: «هاتف مدفوع؟! يا رجل! من أين أنت قادم؟ هل أتيت من سنة 1997؟».

أظل واقفًا في مكاني غير عارف ما أفعله بعد ذلك. لكن الرجل يكف عن الضحك، ويضغط على تطبيق الاتصال في هاتفه، ثم يناولني الهاتف.

تسيل دمعة على خده لشدة ضحكه. يقول: «لم أضحك هكذا منذ أمد بعيد. فلتكن مكالمتك سريعة؛ ولا تتحرك من مكانك».

«أشكرك».

أبحث في ذاكرتي عن رقم هاتف ريبيكا. يرن هاتفها أربع مرات، ثم ينتقل إلى البريد الصوتي. مع ذلك، كان أمرًا حسنًا أن أسمع صوتها فهذا يعني أنني تذكرت الرقم الصحيح. أتجاوز البريد الصوتي كي أحاول مرة أخرى. من جديد، لا إجابة. أجرب رقمًا آخر وأسترق نظرة إلى الموظف أثناء رنين الهاتف. إنه منشغل بقراءة مجلة.

«مرحبًا!».

أضغط بالهاتف على أذني. «دانييل، أنا آدم».

«آدم، يا عزيزي! لا تزال الطلبات تتوارد إلينا. ينتهي الأمر الأسبوع القادم. ستكون لدينا عروض جيدة كثيرة. انتظر! سمعت أنهم وضعوك في السجن من جديد لأنك خالفت شروط الكفالة. سوف يكون هذا الكتاب مثيرًا جدًا».

«لقد فررت».

«أوه، ماذا تقول؟ لا يجوز أن تتصل بي».

«أنا في حاجة إلى مساعدة».

«آدم، لا أستطيع مساعدتك. سوف أكون متواطئًا معك. لن أقول لك شيئًا غير أن تسجل ملاحظات من أجل كتابك».

ينهي المكالمة بطريقة مفاجئة.

أطلب رقمًا آخر. تجيبني من الرنة الأولى.

أقول: «ماما! لقد فررت».

«أوه، يا إلهي! أين أنت الان؟». الذعر واضح في صوتها.

مكتبة ياسمين

«لا أهمية لهذا. سوف أراك في فندقك في وقت لاحق من هذه الليلة. أنا في حاجة إلى نقود».

«بالطبع، يا حبيبي! على أية حال، مكانك ليس في السجن».

«لا تقولي شيئًا لسارة».

«لست مهتمة أبدًا بالحديث مع سارة. وأنا راغبة قليلًا في أن أصفعها مرة ثانية».

«مرة ثانية؟! ماما، لا تقولي لي إنكِ...».

يسألني الموظف: «لماذا طالت مكالمتك كثيرًا، يا رجل؟».

أقول لها: «عليّ إنهاء المكالمة». أقطع الاتصال، وأحذف الرقم من سجل المكالمات، ثم أناوله هاتفه.

أقول له: «آسف للإطالة! أشكرك لأنك ساعدتني».

«الفتاة لا ترد على اتصالاتك. لهذا تريد هاتفًا آخر». تظهر ابتسامة على وجهه.

«شيء من هذا القبيل». أخرج وأبدأ رحلتي. أسير على مقربة من الطريق كي لا أضيّع الاتجاه. أصل بعد بضع ساعات إلى المكان. أنا واثق تمامًا من أنه الحي الذي تقيم فيه ريبيكا. لكني من غير هاتف، ولا أستطيع الاتصال بها لسؤالها عن عنوانها. أقرر أن من الأفضل أن أحاول البحث عن سيارتها في الشارع.

الظاهر أن الحظ مبتسم لي هذا اليوم. أعثر على سيارة ريبيكا متوقفة أمام بيت يشبه بيوت المزارع. لا بد أن الشرطة قد أعادت السيارة إليها سريعًا بعد أن سرقتُها منها. آمل أن يكون هذا حقيقيًا وألا تكون الهستيريا قد استولت عليّ. أسير إلى البيت وأدق الباب بقوة. أتوقع أن يكون نبأ فراري قد صار الآن شائعًا. لكن، من معرفتي بالشريف ستيفنز، أظنه

سيحاول إبقاء الأمر بعيدًا عن التداول إلى أن يعثر عليّ. لقد رأيت في رحلتي الجهنمية هذه ملصقات كثيرة تقول: «انتخبوا الشريف ستيفنز»، يبدو أنه يحاول الفوز في الانتخابات مرة أخرى. آخر ما يريده الآن هو أن يعلم الناس في المقاطعة أنه قد ترك قاتلًا يفر تحت أنفه.

تفتح ريبيكا الباب. الضيق ظاهر على وجهها. لم أنتبه إلى أنني واصلت دق الباب قرابة دقيقة كاملة. جسدها ملتف بمنشفة كبيرة، وشعرها مبتل كله. تتسع عيناها عندما تراني: «ماذا تفعل هنا، بحق الجحيم؟». تلتفت يمينًا ويسارًا، ثم تشدني إلى داخل البيت.

«أنا في حاجة إلى مساعدتكِ». تغلق الباب من خلفي، ثم تقفله وتلقي نظرة عبر النافذة المجاورة له. إنها متوترة، متوترة حتى أكثر مني، إنها مذعورة. أستطيع رؤية هذا في عينيها، في هيئتها، في التحبحب الظاهر على جلدها.

«لا يجوز أن تكون هنا».

أقول راجيًا: «أعلم هذا، لكنكِ أملي الأخير».

«هل أخبرت أحدًا عني؟».

«لا، الحقيقة، نعم».

تدعك ذراعها بيدها، تتململ في مكانها، يحمر وجهها. «ماذا تقول، يا آدم؟».

«آسف، أصابني الذعر».

«من هو؟».

أطأطئ رأسي وأقول: «إنه سكوت، زوج كيلي».

«متى كان ذلك؟».

«يوم أمس».

«كان هناك من يراقبني، من يتعقبني».

مكتبة ياسمين

«كيف علمت هذا؟».

«كان في بيتي. تأتيني اتصالات هاتفية كثيرة».

«سوف أساعدك». أقترب منها وأهم باحتضانها.

تدفعني عنها. تسيل دموع من عينيها. تصيح بي: «أنت لا تستطيع حتى مساعدة نفسك».

«سوف أصلح هذا كله».

«ما كان عليّ أن أتورط في هذا. ينبغي أن أرحل. ينبغي أن أختفي».

«لا بأس عليكِ!». أمسكها من معصميها فتحاول التفلَت مني، لكني لا أتركها. أشدها إليّ وأحتضنها بقوة. تكف عن المقاومة.

«سنذهب إلى الشرطة معًا. سنخبرهم بكل ما عثرنا عليه. لن أسمح بأن يصيبكِ أي شيء». أنظر في عينيها محاولًا أن أطمئنها. أميل صوبها وأقبلها. أقبلها كي تهدأ، هذا ما أظنه، على الأقل آمل أن تدرك هذا. أقبلها مرة ثانية، ثم مرة ثالثة. أقبلها من جديد، ثم أقبلها مرة أخرى إلى أن يتوقف بكاؤها.

تهدأ آخر الأمر، فأظن أنني نجحت. لكن الغضب يظهر على وجهها من جديد.

تدفعني دفعة شديدة. أتراجع متعثرًا ولا أكاد أتمالك نفسي من السقوط على الأرض. «اخرج! عليك أن تخرج الآن».

«أرجوكِ، يا ريبيكا! دعيني أساعدك».

«أنت لا تستطيع مساعدتي. اخرج من بيتي!».

هذا الذي في وجهها ليس غضبًا، إنه خوف. إنها مذعورة. لست أدري إن كانت خائفة مني أم من أحد آخر. إنها محقة. أنا لا أستطيع مساعدتها. أنا لا أستطيع حتى أن أساعد نفسي.

حتى قبل أن أصل إلى باب البيت، أرى عبر النافذة

مكتبة ياسمين

أضواء سيارة الشرطة الحمراء والزرقاء. أسألها: «هل اتصلت بالشرطة؟».

«إنني آسفة. لم أدر أنك أنت من بالباب». تسيل دموعها على وجهها.

«من الذي ظننته...». لكن ضربات قوية على الباب تقاطعني قبل أن أنهي سؤالي.

«مركز الشرطة! فليخرج كل من في البيت رافعًا يديه!».

أفتح الباب بحركة بطيئة، يد مرفوعة في الهواء ويد تدير مقبض الباب. قبل أن أفلح في رفع يدي الأخرى، تقبض يد على ياقة قميصي وترمي بي على الأرض في الخارج. ركبة تضغط على رقبتي، ويدان قويتان تقبضان على معصمي وتقيدانني. لحظة إنهاضي على قدمي ودفعي صوب سيارة الشرطة، تلتقط عيناي لمحة سريعة من ظل يتحرك بين الأشجار خلف بيت ريبيكا. أحاول النظر جيدًا، لكن الظل قد اختفى. أنوار السيارة تومض أمام عيني، وأنا لم أشرب ماء منذ يومين، لا أستطيع أن أكون واثقًا من أي شيء أراه.

أستسلم من غير مقاومة، وأتخذ مكاني في مقعد السيارة الخلفي مستعدًا للعودة إلى مركز الشرطة.

مكتبة ياسمين

57

سارة مورغان

إذا لم يتمكن ماثيو من مساعدتي، فقد انتهى أمري.

وصلتني منه ليلة أمس رسالة نصية تقول: «أُنجز الأمر». لم أطلب أية معلومات أخرى. ما طلبت منه فعله ليس قانونيًا؛ ومن الأفضل ألا أترك أثرًا يؤدي إليّ. لا بد لي من الانتظار. لا بد لي من الصبر. لا بد لي من الأمل في أن يكون واحدًا من تلك الأسماء التي كتبتها مطابقًا لنسق الـ DNA المجهول. أنا جالسة على الأريكة في مكتبي، أنظر إلى المدينة عبر النافذة، أمر لم أفعله من قبل. وأما في هذه اللحظة، فلديّ وقت له.

نقرة على الباب. قبل أن أستطيع تبيُّن هوية القادم، ينفتح الباب ويدخل بوب. يحمل مجموعة مصنفات ينقلها من يد إلى يد عندما يغلق الباب من خلفه.

أطلق تنهيدة.

«قولي لي إن هذا كله صار على وشك الانتهاء». يقول هذا ويجلس إلى جانبي من غير أن أدعوه إلى الجلوس. لكن إرهاقي الشديد لا يترك لي القدرة على المشاجرة معه.

«هذا ما أتوقعه، ستبدأ المحاكمة يوم الاثنين. طلبت من ماثيو الاهتمام بأمر يمكن أن يكون مفيدًا».

يومئ برأسه ويضع المصنفات على الطاولة الصغيرة أمامنا. «تبادر إلى ذهني أن علي إخبارك بأن الشريف ستيفنز قد أخلى ساحتي».

«هذا نبأ جيد». ألقي نظرة سريعة في اتجاهه

مكتبة ياسمين

ثم تعود عيناي إلى التحديق في الأفق البعيد عبر النافذة.

«كنت في ويسكنسن. تحقق الشريف ستيفنز من رحلة الطائرة. ولديّ أكثر من عشرين شاهدًا يستطيعون إثبات مكان وجودي».

«أنت لست مضطرًا إلى إقناعي، يا بوب!».

«ظننت أن من الأفضل أن تعرفي، من أجل القضية».

نظل صامتين بضع لحظات.

أسأله أخيرًا: «وماذا عن آن؟».

يقول: «يبدو أنهم قد أخلوا ساحتها أيضًا».

«يبدو؟!».

«نعم».

لا أطرح عليه أية أسئلة أخرى. لا يمكن أبدًا أن تكون آن قد فعلت هذا. إنها غير قادرة على فعله. لم تستطع حتى أن تقول لي إن آدم كان يخونني مع امرأة أخرى. كيف يكون ممكنًا أن ترتكب جريمة قتل؟

«تحققت الشرطة أيضًا من حساباتي المصرفية بغية استبعاد احتمال أنني دفعت لأحدهم مالًا كي يتخلص من كيلي».

أومئ برأسي.

«تبين لهم أن شيئًا من ذلك لم يحدث».

«لا بأس! لماذا تقول لي هذا كله، يا بوب؟».

«أريد التأكد من أننا على موجة واحدة. في نهاية المطاف، نحن فريق واحد، يا سارة! أنت تعلمين هذا، أليس كذلك؟». ترق تعابير وجهه. لا ترق تعابير وجهه أبدًا عندما يكون في المكتب. وجهه صارم دائمًا. متطلب دائمًا مختفٍ دائمًا خلف قناع من

الغضب أو من السخط.

«نعم، أعرف هذا، يا بوب».

«وقد تكلمت مع كنت بشأن تلك الحادثة. يدرك كنت أنك لست ملومة في ما حدث في المكتب مع آن».

«أشكرك. لم تكن مضطرًا إلى فعل هذا».

ينهض واقفًا، ثم ينحني ويضع يديه على يديّ. يربت عليهما قليلًا. أكاد أسحب يدي. أحس الأمر غريبًا، لكنه مريح على نحو غير مألوف.

يقول: «سوف ينتهي هذا كله عما قريب». يستدير متجهًا صوب الباب.

«بوب!». أناديه فيتوقف قبل خروجه، ويقول: «ماذا؟».

«أنا آسفة».

«لماذا؟».

«الشريف ستيفنز، اتجاه أسئلته في تلك الليلة. لم أتوقع أبدًا أن يتطرق إلى ذلك الأمر. كان ذلك غير لائق على الإطلاق». يرن هاتفي فيقطع حديثنا.

«لا بأس! عليكِ أن تردي على الهاتف».

أتناول الهاتف عن الطاولة الصغيرة أمامي. أقول: «سارة مورغان».

«أنا الشريف ستيفنز. أريد إخبارك أن موكلك قد فرّ من مركز الشرطة يوم أمس. نظن أننا استطعنا تحديد مكانه. أطلب منك القدوم إلى مركز الشرطة». ينقطع الاتصال.

«ابن الحرام!». أرمي بالهاتف من يدي، أرفع فنجان القهوة عن مكتبي وأقذف به صوب الجدار. يتحطم ويصير مليون قطعة.

58

آدم مورغان

نعود إلى مركز الشرطة. المشهد المألوف نفسه يجري أمام عينيَ؛ الصياح والإشارة بالأصابع. رذاذ لعاب عدد كبير من عناصر الشرطة الذين يمطرونني بالأوامر. إن قلت إنهم كانوا لطيفين في تعاملهم معي فسوف يكون ذلك غير صحيح أبدًا. لكني أظن أن هذه هي المعاملة التي يستحقها شخص مشتبه في ارتكابه جريمة قتل يفر من مركز الشرطة. لذا، لا أتذمر أبدًا.

فيما مضى، كان لديّ شيء من المكانة هنا: يداي مقيدتان أمامي أثناء نقلي فقط. لكن ذلك قد انتهى. الآن صارت يداي وقدماي مقيدة كلها وسلسلة تربط بينها. لا يتركوني أبدًا من غير مراقبة، ولا أكاد أتكلم من غير أن يواجهني سيل من الصياح.

من الأمور التي صاحوا بها منذ عودتي، وظلت عالقة في ذاكرتي: «نقل إلى مكان احتجاز مشدّد»، «مخالفات كثيرة جدًا»، «ستكون محاميتك هنا قبل نقلك بوقت قصير». العبارة الأخيرة مثيرة للقنوط أكثر من غيرها لأنني سأجد نفسي من جديد في وضعية المهزوم أمام سارة.

بعد ما بدا لي زمنًا طويلًا جدًا من تحمَل الإساءات اللفظية، مع أنها مستحقة، يقولون لي إن محاميتي قد وصلت. ينقلونني إلى واحدة من غرف التحقيق ويقيدونني إلى الطاولة.

بعد وقت قصير من ذلك، يدخل الغرفة كل من سارة والشريف ستيفنز.

الكلمات الأولى التي تخرج من فم سارة هي: «هل هذا ضروري حقًا؟» تشير إلى يديّ المقيدتين إلى

الطاولة.

يقول الشريف ستيفنز: «إياك أن تحاولي هذا معي!».

الغضب ظاهر في كل تعبير من تعابير وجهه.

تتنهد سارة وتقول: «لا بأس».

«انظري! السبب الوحيد لوجودك هنا هو أنني أريد تجنب أية مشكلات في المحكمة في ما يتصل بحقوق موكلكِ وكيفية تعاملنا معه. سوف يُنقل إلى مركز احتجاز ذي تدابير أمان مشددة إلى أن تبدأ محاكمته. وسوف توجَّه إليه اتهامات إضافية في ما يتصل بفراره».

«أفهم هذا. لقد كان سلوك موكلي غير مقبول أبدًا. صحيح أننا مصرون على براءته في ما يتصل بجريمة قتل كيلي سامرز، لكننا لا ننكر أن سلوكه خلال الساعات الثماني والأربعين الماضية كان غير مقبول».

يتكلمان كأنني غير موجود معهما في الغرفة! لكن، بالنظر إلى الوضع، قد يكون هذا أفضل شيء.

يقول الشريف ستيفنز: «عظيم! فهمت هذا. أتركك الآن مع موكلكِ. لديكِ عشر دقائق فقط. بعد ذلك، سننقله إلى سجن ساذكس التابع للولاية. تستطيعين أن ترتبي معهم أمر أية زيارات لاحقة». يخرج الشريف ستيفنز، لكن ليس قبل أن يرشقني بنظرة تقول: لقد انتهى أمرك، أيها الحقير!

تنظر سارة إليَ لحظة إغلاق الباب: «ماذا كنت تظن نفسك فاعلًا؟».

«سارة... في وسعي أن أشرح لك...».

ترفع إصبعها كي تسكتني. تبدأ دعك صدغيها بأصابعها وقد أغمضت عينيها وطأطأت رأسها. لا

أستطيع تخمين ما يدور في ذهنها.

«هل تدرك كم أساء سلوكك إلى كل شيء؟ نتيجة فعلتك، وحتى إذا حدثت معجزة واستطعت تبرئتك من تهمة القتل، فسوف تمضي زمنًا في السجن لأنك فررت من مركز الشرطة وحاولت خداع السلطات. يعني هذا بضع سنين في السجن. هل تدرك ما أقول؟».

«سارة، أنتِ لا تفهمين...».

«لا، يا آدم! أنت الذي لا يفهم! دعنا ننظر إلى الحقائق مرة أخرى. حقيقة: فررت من السجن. حقيقة: أنت خاضع للمحاكمة بجريمة قتل. حقيقة: ذهبت إلى بيت تلك المراسلة الصحفية التي لا تعرفها أصلًا».

أقول مجادلًا: «بل أعرفها. إنها تساعدني».

تضع سارة حقيبتها على الطاولة وتُخرج منها مصنفًا. تدفع بالمصنف صوبي. تقول: «لا، أنت لا تعرفها».

أنظر إلى المصنف، لكن يديّ مقيدتان إلى الطاولة. محاولتي أن أفتح المصنف مثيرة للضحك. ترى سارة ما أواجهه من صعوبة فتنحني وتفتح المصنف من أجلي. أرى صورة لريبيكا مثبتة إلى الناحية اليسرى، وإلى الناحية اليمنى أرى نوعًا من تقرير.

«ما هذا؟».

«هذه هي ريبيكا سانفورد. لكنها ليست مراسلة صحفية. إنها محققة خاصة. وقد استأجرها سكوت سامرز».

«ماذا؟ هذا غير معقول! لماذا يفعل ذلك؟». أحاول رفع يدي تعبيرًا عن دهشتي وأنسى أنهما مقيدتان إلى الطاولة.

تضرب سارة الطاولة بقبضة يدها. «اصغ إليّ، يا آدم! لم تكن تريد مساعدتك أبدًا. سكوت لم يكن واثقًا بشيء من تلك القصة كلها. ما الذي لا تستطيع فهمه في هذا؟».

«لا أدري، ظننتها تقف في صفي». أطأطئ رأسي.

«الشخص الوحيد الواقف في صفك هو أنا».

«أعرف هذا».

«محاولاتك كلها منحت المدعي العام موقعًا أكثر قوة. جعلت نفسك تبدو غبيًا، كأنك حيوان بري يمكن أن يفعل أي شيء، حتى القتل، كي يحصل على ما يريد». تهز سارة رأسها.

تمتلئ عيناي دموعًا، «ما الذي أستطيع فعله كي أصحح هذا؟». كيف استطعت أن أكون غبيًا إلى هذه الدرجة؟

«تستطيع الذهاب إلى السجن والبقاء ساكنًا إلى أن تنتهي محاكمتك». تحمل حقيبتها وتعلقها على كتفها.

لا أقول شيئًا، أكتفي بأن أومئ برأسي. تسير إلى الباب، وقبل خروجها، تلتفت إليّ وتقول: «آدم!».

أنظر إلى سارة آملًا أن تكون كلماتها لطيفة، آملًا أن تسامحني وتفهم سبب تصرفاتي مهما تكن تلك التصرفات غبية.

«أظن أن أحدًا غيري كان يمكن أن ينصحك بالصلاة والدعاء في هذا الوضع لأنك في حاجة إلى معجزة حتى تنقذك، لكنك تعلم أنني لست من هذا النوع. لذا، ستكون وحدك خلال الفترة القادمة».

تغادر الغرفة وتغلق الباب من خلفها.

59

سارة مورغان

أغلق باب السيارة وأدخل بناء المكتب ذي الإنارة الخافتة. الوقت متأخر. لكن أن قالت لي إن ماثيو قد أرسل رزمة في وقت سابق من هذا اليوم: نتائج اختبارات الـ DNA في انتظاري على مكتبي. أستطيع سماع صوت مكنسة كهربائية. ما من أحد هنا في هذا الوقت المتأخر غير عمال التنظيف. تجاوزت الساعة التاسعة ليلًا. تبدأ المحاكمة يوم الاثنين. أستقل المصعد إلى الطابق الرابع عشر. تومض حساسات الحركة مع سيري في الممر.

يرن هاتفي قبل وصولي إلى المكتب. أبحث عن الهاتف في حقيبة يدي؛ ومن غير أن أنظر إلى شاشته، أرد على المكالمة سريعًا كي أسكت الرنين.

يأتيني صوت إليانور الغاضب: «ما معنى هذا الأمر؟ كيف لا تستطيع الأم زيارة ابنها في السجن؟».

أندم لأنني لم أنظر إلى الشاشة قبل الرد على المكالمة. «حُرم من حق الزيارة نتيجة هربه».

«هذا سخف. متى أستطيع رؤيته؟».

«تستطيعين رؤيته أثناء جلسات المحكمة. لكنك لن تستطيعي الحديث معه».

«لقد أسأت التصرف في هذا الأمر كله، يا سارة. لا أفهم كيف وصلنا إلى ما نحن فيه. لقد ظللت تخطئين طيلة الوقت. أكاد أكون راغبة في تقديم شكوى إلى نقابة المحامين، وسوف يفعلون...». أغلق الهاتف. أفتح صفحة معلومات الاتصال الخاصة بها وأحظر تلقي أية مكالمات منها. أتنهّد وألقي بالهاتف في حقيبة يدي.

مكتبة ياسمين

أرى على مكتبي مغلفًا ورقيًا كبيرًا مختومًا أصفر اللون. قد ينقذني ما في هذا المغلف وقد يحطمني. أتردد قليلًا قبل ترك حقيبتي تسقط على الأرض. أرغم ساقي على الحركة. أسير إلى طاولة مكتبي. أحمل المغلف وأقلّبه لحظة بين يديّ. صار الأمر كله متوقفًا على هذا المغلف.

أنزع المشبك المعدني، وأفتح المغلف، ثم أخرج منه كدسًا من الأوراق. أقلّب الأوراق وأنظر فيها سريعًا، أقلّبها وأنظر فيها، أقلَبها وأنظر فيها. تتقطع أنفاسي. أطلق شهقة صغيرة. ترتسم على وجهي ابتسامة عريضة.

أقول: «كنت واثقة من هذا. إنه مطابق!».

60
آدم مورغان

يقودني حارس إلى قاعة المحكمة. أنا أرتدي بدلة أنيقة. ذقني حليقة، لكن زوجًا من الأصفاد يفسد مظهري. هذا كله كي أحاول ترك انطباع حسن لدى هيئة المحلفين... كي أبدو لهم شخصًا بريئًا. أنا بريء، لكني أريدهم أن يقتنعوا بهذا.

سارة واقفة عند الطاولة. إنها تبتسم. منذ زمن بعيد، لم أرَها مبتسمة. آمل أن يكون لديها شيء جديد، شيء يستطيع إنقاذي. إن كان لديها شيء، فهي لم تخبرني به. الحقيقة أنني لا أستطيع لومها. لقد خنت ثقتها مرات كثيرة جدًا.

ظل سكوت مختفيًا طيلة عطلة نهاية الأسبوع. ولم تتمكن السلطات من تحديد مكانه. لعل هذه هي النقطة التي ستستند إليها سارة. ما كان عليّ أن أضع ثقتي في سكوت، ولا في ريبيكا. لم أسمع منها شيئًا منذ لحظة اعتقالي.

ماثيو هنا أيضًا. إنه جالس في الصف الأمامي خلف سارة تمامًا. أمي جالسة في الصف الثاني تنظر إليّ نظرة كلها حب واعتزاز. أبتسم لها. وقبل وأن أستدير وأجلس في مقعدي، ألاحظ أيضًا وجود الشرطي ماركوس هدسون جالسًا في الخلف. يبدو شديد الأناقة في ملابسه الزرقاء. ما سبب وجوده هنا؟ لا بد أن سارة تعتزم استدعائه إلى منصة الشهود أو، على الأقل، لا بد أنها جعلته يعتقد ذلك. قد تكون هذه هي الورقة التي تخفيها.

أن وبوب جالسان في الصف الأخير. تعتريني لحظة غضب، لكني أهدئ غضبي متذكرًا أن الشرطة دققت في أمر كل منهما فلم تجد شيئًا. مع هذا، لا

مكتبة ياسمين

أزال أظن أن واحدًا منهما، على الأقل، له صلة بهذا الأمر. المدعي العام جوش بيترز يقف عند طاولة في مقدمة القاعة لا يفصله عن سارة غير الممر الذي يتوسط المكان. يبدو معتدًا بنفسه كعادته. تقلقني هيئته لكني واثق من أن سارة سوف تهزمه.

ينزع الحارس القيود من يديّ. أجلس، وتجلس سارة، لكننا لا نجلس إلا لحظات قليلة.

يقول حاجب المحكمة: «فلينهض الجميع. تنعقد الآن جلسة الغرفة الأولى في المحكمة العليا. يرأس المحكمة القاضي ديون. اجلسوا من فضلكم!».

يقول القاضي ديون: «صباح الخير، سيداتي وسادتي. ننظر الآن في قضية شعب كومنولث فيرجينيا ضد آدم مورغان. هل الجانبان حاضران ومستعدان؟».

يقول المدعي العام جوش بيترز: «حاضر عن شعب فيرجينيا، سعادة القاضي».

تقول سارة: «حاضرة عن المتهم، سعادة القاضي».

«أرجو من كاتب المحكمة أن يطلب من أعضاء هيئة المحلفين أداء اليمين».

هكذا هو الأمر. حياتي كلها متعلقة بهذا. حياتي بين يديْ سارة، بين يدَيْ القاضي، بين أيدي أعضاء هيئة المحلفين، بين أيدي الجميع، إلا يديّ. الآن، صار الأمر متوقفًا عليهم. سارة، سارتي الحلوة، لها كلمتها في العالم، بينما لا أزال أجد صعوبة في العيش فيه، بل أكثر من ذلك، أجد صعوبة في أن أظل حيًا فيه.

الآن، حان وقت تقديم سارة مرافعتها الافتتاحية. على مر السنين، تمرنت معي على هذا مرات كثيرة في بيتنا. أعرف مقدار مهارتها في هذا الأمر، وأعرف

أهمية المرافعة الافتتاحية في تقرير مجريات المحاكمة. أمل الان أن تستطيع تقديم أفضل أداء لديها لأنني في حاجة ماسة إلى ذلك.

«صباح الخير سيداتي وسادتي أعضاء هيئة المحلفين. اسمي سارة مورغان، ويشرفني اليوم أن أقف أمامكم ممثلة آدم مورغان. نعم، لم تخطئوا السمع... مورغان». تستدير سارة صوبي بجسدها كله وتشير إليّ باسطة كف يدها. تنظر إلى هيئة المحلفين من جديد. «آدم ليس موكلي فحسب. إنه زوجي».

تظهر الدهشة على نصف المحلَفين إزاء هذه المعلومات التي يسمعونها الآن. لست واثقًا إن كان هذا أمرًا حسنًا أم غلطة قاتلة من جانبنا.

«لقد سمعتم كيف أوضح ممثل الادعاء ما يأمل أن يستطيع إثباته خلال مجريات هذه المحاكمة. لكن ممثل الادعاء لم يقل لكم شيئًا عن المعلومات التي نعرفها الآن. أستطيع اليوم، من غير صعوبة، أن أقف أمامكم مطالبة إياكم بتبرئة موكلي. فلماذا أقول هذا؟ لأن لديّ معلومات تؤكد أن آدم مورغان لم يقتل كيلي سامرز». تضرب سارة الحاجز الذي أمام هيئة المحلفين بقبضة يدها كي تؤكد على ما قالته وكي تستقطب انتباه الجالسين أمامها.

«هل كانت لآدم مورغان علاقة غرامية مع كيلي سامرز؟ نعم. نعم، كانت له علاقة بها. هل أحبها؟ لقد قال هذا بنفسه. وبما أنني زوجته، فكل من هذين الأمرين يجرحني كثيرًا، بل كثيرًا جدًا. كل منهما يجعلني غاضبة إلى أقصى حد». تلتفت وتنظر إليّ فأرى في عينيها مزيجًا من الغضب وانكسار القلب.

«بيني وبينكم، أريد أن أراه يعاني عواقب ما جنته يداه... نعم، عواقب ما جنته يداه بالفعل، لا عواقب

مكتبة ياسمين

ما لم تجنياه. هل كانت له علاقة غرامية؟ نعم. هل أحب امرأة أخرى غير زوجته؟ نعم. ولكن، هل قتل تلك المرأة؟ لا. لم يقتل تلك المرأة». انخفض صوت سارة حتى صار همسًا. لقد رأيتها تفعل هذا من قبل، رأيت كيف تتقن ضبط إيقاع كلامها قبل وصولها لحظة الذروة. رأيت كيف تجعل المحلفين يصغون إليها جيدًا.

«لقد كانت لموكلي، لزوجي، علاقة غرامية بامرأة أخرى. لكن المرء لا يصير قاتلًا إذا أحب امرأة غير زوجته. سوف تحاول النيابة العامة...»، تشير سارة إلى النائب العام جوش بيترز، «إظهار آدم بمظهر الخائن. لكني زوجته، وأنا أعلم جيدًا أنه قد خانني. لن نحاول حتى أن ندحض تلك النقطة؛ لكن هناك حقائق أخرى تتجاوز هذا الأمر، وهي حقائق سوف يحاول النائب العام التعمية عليها».

تسير سارة حتى آخر منصة جلوس أعضاء هيئة المحلفين، ثم تتوقف أمام المحلف الأول. ترفع قبضة يدها في الهواء أمام المحلفين وتبدأ فزد أصابعها، إصبعًا تلو إصبع، وهي تعدد المعلومات التي تعلم أنها صحيحة.

«أولًا، أعلم تمام العلم أن سكوت، زوج كيلي، قد هدد بأن يقتلها. كان ذلك ليلة مقتلها. ثانيًا، أعلم تمام العلم أن اسم كيلي الحقيقي كان جينا واي. وقد كان في حياة جينا واي ما يلفت النظر حقًا. لقد اتهمت جينا بقتل زوجها الأول الذي كان اسمه كريغ ميلر، وذلك قبل أن تختفي اختفاء غامضًا من ولاية ويسكنسن ثم تظهر مرة أخرى في ولاية فيرجينيا ولها اسم جديد ولون شعر جديد، وكل شيء جديد».

تسري همسات بين أعضاء هيئة المحلفين. أنظر

مكتبة ياسمين

إلى المدعي العام بيترز. أراه ينظر مستنكرًا، لكن هيئته تفضح أمره. ليس هذا ما توقعه في هذه القضية التي يعتبرها محسومة لصالحه.

«ثالثًا، أعلم تمام العلم أن أشخاصًا كثيرين سيقفون أمام المحكمة خلال مجرى هذه القضية، أشخاص من ماضي كيلي... لعل عليّ أن أقول إنهم من ماضي جينا! أشخاص لديهم دافع لقتلها انتقامًا لزوجها السابق كريغ. رابعًا، أعلم تمام العلم أن كيلي كانت تضاجع ما لا يقل عن ثلاثة رجال مختلفين، وذلك خلال فترة زمنية قصيرة جدًا. قد تتساءلون، كيف أعلم هذا؟ أعلم هذا لأن الفحص الطبي اكتشف فيها ثلاثة أنساق مختلفة من الـ DNA».

يبدو التقزز واضحًا على وجهَي امرأتين من أعضاء هيئة المحلفين، امرأتين في سن الكهولة. يؤلمني سماع كيف صارت كيلي موضوعًا منفِّرًا؛ خائنة، كاذبة، متقلبة، عنيفة، عاهرة... بل من الممكن حتى أن تكون قاتلة. لكني أعلم أن هذا أمر لا بد منه. أعلم أن هذا ما ينبغي أن تفعله سارة كي تجعل هيئة المحلفين متعاطفة معي لا مع امرأة ميتة... لا مع امرأة أحببتها.

«وخامسًا، أعلم تمام العلم أن كيلي كان لديها شخص يلاحقها اسمه جيس هوك. كان هذا الشخص يكثر من التردد على مكان عملها كي ينظر إليها فقط».

تُنزل سارة يدها وتسير عائدة في اتجاهي. تنظر إليّ نظرة جديدة لم أعرفها من قبل، نظرة تقول: أنت مدين لي بهذا لأنك لا تستحقه. لا أستطيع القول إنها مخطئة.

«يظن الادعاء أن ادم قد قتل كيلي سامرز. الظنون... الظنون تظل ظنونًا. وأما ما نبحث عنه،

مكتبة ياسمين

وأما ما نحن في حاجة إليه في المحكمة، فهو الحقائق. وقد عرضت أمامكم قبل لحظات خمسة أمور أعلم أنها حقائق، ويسرني أن أضيف إلى تلك الحقائق حقيقة سادسة: آدم مورغان لم يقتل كيلي سامرز. أشكركم!».

61
سارة مورغان

كنت أحزم أمتعتي كي أسافر عائدة إلى واشنطن. انتهت المحاكمة يوم أمس، وبدأت مداولات هيئة المحلفين. في حالات من هذا النوع، يمكن أن تطول المداولات عدة أسابيع، وذلك خاصة لأن ثمة مطالبة بعقوبة الإعدام. أسمع قرعًا شديدًا على باب غرفتي في الفندق. أفتح الباب من غير حتى أن أحاول التحقق من هوية الطارق. أجد آن واقفة أمامي، لاهثة، محمرة الوجه. أهمّ بسؤالها عما تفعله هنا، عما جعلها في هذه الحال، لكنها تسبقني وتتكلم بنبرة حادة متعجلة.

تقول مبهورة الأنفاس: «صدر قرار هيئة المحلفين».

«ماذا؟ الآن؟».

تومئ برأسها وتقول: «هذا ليس حسنًا، أليس كذلك؟».

«لا... عادة، لا يكون هذا أمرًا حسنًا». أتناول سترتي وحقيبة يدي وأندفع خارجة من الباب، متجاوزة آن. تلحق بي طيلة المسافة حتى سيارتي وتجلس في المقعد الأمامي، إلى جانبي. لقد عادت العلاقة بيننا إلى مجاريها. كان لا بد لي من وقت كي أسامحها. وكان لا بد لها من وقت كي تستعيد ثقتي بها. لكنها نجحت في ذلك. لقد لازمتني طيلة فترة المحاكمة، وظلت معي حتى النهاية... النهاية التي يبدو أننا قد بلغناها الآن.

تسألني آن: «هل أنت بخير؟».

أنظر إليها بطرف عيني. يداي تقبضان بقوة على مقود السيارة، بقوة جعلت أصابعي يبيض لونها.

مكتبة ياسمين

«سأكون بخير».

«بصرف النظر عما ينتهي إليه الأمر، فقد فعلت كل ما تستطيعين فعله».

أبتسم لها ابتسامة صغيرة. «أشكرك على قولك هذا، يا آن!».

تبتسم لي بدورها، ثم تومئ برأسها.

***

أصادف المدعي العام جوش بيترز بعد خطوات قليلة من دخولي مبنى المحكمة. يبدو كأنه في انتظار وصولي.

يسألني: «هل أنتِ مستعدة لهذا؟». أستطيع القول، احتكامًا إلى مظهره، إنه لا يحس نفسه واثقًا أبدًا. وأنا خائفة جدًّا. في هذه القضية، من الممكن أن تفضي المداولات السريعة إلى أي شيء. أكتفي بأن أومئ له برأسي، ثم أسير صوب قاعة المحكمة. أمرّ ببوب فنتبادل نظرات متعاطفة. يعلم مثلما أعلم ما يمكن أن يعنيه هذا.

أمضي إلى مقدمة قاعة المحكمة وأجلس هناك. أجد ماثيو ينتظر في الصف الأول. عندما أجلس، يضغط على يدي ضغطًا لطيفًا. يميل صوبي ويهمس في أذني: «سيكون كل شيء على ما يرام بصرف النظر عما يحدث». ألتفت وأنظر إليه، لكن عيناي تقابلان عينَي إليانور. إنها تجلس خلفي مباشرة. لم نتبادل أي كلام منذ تلك الليلة عندما حجبث رقم هاتفها، لكن كلًّا منا كانت ترى الأخرى في جلسات المحكمة. لم تتخلف عن حضور أية جلسة؛ وهي تنظر دائمًا إلى آدم نظرة اعتزاز كأنها آتية لحضور مباراة رياضية يشارك فيها. تكتفي إليانور بنظرة سريعة في اتجاهي، ثم تعود فتركز انتباهها على الباب الذي سيدخل منه ابنها.

يدخل أدم قاعة المحكمة مع حراسه الذين يجلسون إلى جواره. وجهه خالٍ من أي تعبير. أعلم أنه يريد أن يسمع مني أن كل شيء سوف يسير على ما يرام، لكني لا أستطيع قول هذا. لست أدري إن كان كل شيء سيسير على ما يرام. لكني لا أريد إثارة ذعره من غير موجب. أكتفي بأن أضع يدي على يده لحظة قصيرة مقدمة إليه آخر لحظة راحة سينالها مني بصرف النظر عن النتيجة التي ستنتهي إليها المحاكمة.

يدخل القاضي ديون ويتخذ مكانه. يدخل أعضاء هيئة المحلفين قاعة المحكمة ويجلسون في أماكنهم. يسألهم القاضي: «هل توصلت هيئة المحلفين إلى قرار بالإجماع؟».

ينهض رئيس هيئة المحلفين واقفًا ويقول: «نعم سعادة القاضي».

يضع آدم يده فوق يدي ويشد عليها.

يستلم كاتب المحكمة قرار هيئة المحلفين من رئيس الهيئة ويقدمه إلى القاضي. يقرأ القاضي القرار من غير صوت.

أستطيع الإحساس بضربات قلب آدم من خلال يده. ضربات قلبه سريعة، صاخبة، مذعورة.

يعيد القاضي ديون القرار إلى كاتب المحكمة. يقول: «فليقف المتهم!».

ينهض آدم واقفًا. يترك يدي.

يسعل رئيس هيئة المحلفين سعلة خفيفة ثم يقول: «لقد وجدت هيئة المحلفين المتهم...».

مكتبة ياسمين

62

سارة مورغان

بعد إحدى عشرة سنة

أعلم ما تفكرون فيه. هل فعلث كل ما أستطيع فعله بغية إنقاذ آدم؟ بغية محاولة إنقاذ الرجل الذي دمّر زواجنا؟ أحيانًا، أطرح على نفسي هذا السؤال. الإجابة الوحيدة التي أتوصل إليها دائمًا هي أنني فعلت ما كان عليّ فعله... كي أحافظ على نفسي.

اليوم موعد إعدام آدم. توقفت منذ عشر سنين عن زيارته وعن الكتابة إليه، أي قرابة الوقت الذي أصيب فيه بالجنون. صارت كل زيارة من زياراتي أكثر تفجرًا من الزيارة السابقة، ولم أعد قادرة على الذهاب لرؤيته. بعد إدانته، فقد آدم كل أمل... الكائن البشري من غير أمل يصير حيوانًا متوحشًا. كان لا بد لي من مواصلة حياتي. وقد فعلت هذا. إن كان آدم لم يستطع ذلك، فسوف يُحسم الأمر اليوم.

أتيت كي أودعه. أتيت كي أمنح نفسي نوعًا من نقطة نهاية... أو، على الأقل، هذا ما أظن أنني آتية من أجله. لعل آدم لم يقتل كيلي سامرز، لكنه يدفع ثمن جرائمه.

أرفع رأسي وأنظر إلى المبنى الضخم الذي أمامي، إلى المبنى المصنوع من الحجر والإسمنت. سجن ذو إجراءات أمنية مشددة. أما بالنسبة إلى آدم، فمن الممكن أيضًا أن يصير ذلك السجن قبرًا. الشمس مشرقة هذا اليوم. سماء زرقاء صافية، وزقزقة عصافير أستطيع سماعها. أصعد الدرجات المفضية إلى مدخل البناء بخطوات متأنية. إنني أرتدي تنورة بيضاء طويلة ومن فوقها سترة بيضاء أيضًا. ملاك موت حطّ على هذا المكان الوضيع. شعري أشقر

ذهبي لامع، طويل منسدل. هذه الأيام، صرت أتركه منسدلًا هكذا، أتركه حرًا، هكذا أحاول أن أعيش حياتي أيضًا؛ غير مقيّدة بشيء، أقل تصلّبًا. أظن أن ثمة أمورًا تتغير على الرغم من كل شيء.

يستغرق الأمر قرابة عشرين دقيقة إلى أن أنتهي من إجراءات الأمن، لكن هذا لا يضايقني، لا يضايقني أبدًا. يحق لي أن أكلّم آدم قبل إعدامه لأنني كنت محاميته، ولأنني لا أزال زوجته. نعم... لا نزال زوجًا وزوجة. رفض آدم التوقيع على أية أوراق خاصة بالطلاق فلم أصر على ذلك. رأيت أن منحه بارقة أمل صغيرة أمر يستحق بقائي زوجة له زمنًا أطول مما أريد.

أعتزم الزواج غدًا لأنني سأصير أرملة في آخر هذا اليوم. سنقيم حفل زفاف عند الشاطئ يحضره أشخاص مقرّبون من الأصدقاء وأفراد العائلة. سوف يكون زفافًا جميلًا. منذ الآن فصاعدًا، سيكون كل شيء في حياتي جميلًا.

يأخذونني عبر ردهة المدخل الرئيسية، ثم عبر ممر قصير مفضٍ إلى غرفة انتظار. سرعان ما يأتون بآدم كي يكلمني. غرفة صغيرة فيها طاولة وكرسيان وساعة على الجدار وكاميرا مراقبة في الزاوية العليا. ما من شيء آخر، ولا حتى نافذة تسمح بالرؤية من جهة واحدة. قالوا لي إن لديّ عشر دقائق، عشر دقائق هي كل ما يلزمني. أنقر على الطاولة بأظافري الحمراء الطويلة محاذرة أن أفسد طلاءها الذي وضعته اليوم استعدادًا لحفل الزفاف. ينفتح الباب ويظهر آدم هناك. يكاد جسده يملأ الباب. لحيته طويلة مشعثة، لكنها لا تبدو قبيحة. شعره مقصوص قصيرًا جدًا، مرئي في بعض الأماكن وغير مرئي في بعضها الآخر، بحسب زاوية

الإنارة. يبدو لي أنه قد صار أكثر ثخانة، لا بمعنى أنه صار بدينًا بل أكثر امتلاء فحسب. لكن عينيه تحكيان القصة الحقيقية. لم يكن السجن رحيمًا به. على الرغم من كونه معروفًا بأنه قتل زوجة شرطي، الأمر الذي يعزز مكانته في السجن، فقد ظلوا قادرين على رؤية حقيقته؛ فنان ناعم ضعيف، رجل محطَم فقد كل شيء. صار أشبه بفريسة في الماء تدور القروش من حولها مقتربة كي تفترسها. لا أستطيع تخيل ما عاناه في هذا المكان.

يشرق وجهه عندما يراني. لقد زال عنه سحره الطفولي كله. رجل تدوسه الأقدام منذ عشر سنين. أبتسم له ابتسامة صغيرة. لا أستطيع القول إنني مسرورة برؤيته، لكني لست حزينة أيضًا.

«لقد أتيتِ!». يخطو في الغرفة بضع خطوات. ذراعاه وقدماه عليها قيود متصلة بوسطه. هذا ما يجعل خطواته صغيرة جدًا كأنه يجر قدميه جرًا.

«بالطبع».

يوجهه حارس السجن إلى كرسيه. يفك السلاسل والقيود عدا القيد الذي في يده اليمنى. يثبت ذلك القيد إلى الطاولة. يجلس آدم ويبتسم لي.

يقول حارس السجن: «عشر دقائق فقط. لا أريد أية ألاعيب».

لحظة إغلاق الباب، تنزلق يد آدم فوق الطاولة آملًا أن أستجيب. أتردد لحظة وأنظر إلى يده المتشققة المتعبة، إلى وجهه المتعب أكثر منها، ثم أستجيب له. أضع يدي فوق يده فيبدأ البكاء. لا أستطيع فعل شيء غير النظر إليه مستغربة كأنني أزور حديقة حيوانات وأنظر إلى حيوان من جنس غريب.

يقول أخيرًا وهو يحاول كتم تفجر مشاعره، مشاعر حياة مسروقة: «كيف حالك؟».

مكتبة ياسمين

«أنا... بخير».

«لقد توقفت عن زيارتي، وعن الكتابة إليّ».

لا أدري إن كان هذا سؤالًا أم تقرير حقيقة. لذا، أكتفي بأن أومئ برأسي، ثم أقول: «أعلم، لقد كان هذا... صعبًا جدًا».

«أفهمك». يطأطئ رأسه.

أضغط على يده ضغطة خفيفة. يبتسم لما لعله اعتبره بادرة لطيفة مع أنه ليس أكثر من لحظة نهاية العد التنازلي الذي بدأ منذ زمن بعيد. عشر ضغطات صغيرة من يدي تعلن كل واحدة منها نهاية دقيقة من الدقائق العشر التي لا بد لي من احتمالها معه. لقد كنت على الدوام ماهرة في التوقيت. فهكذا يستطيع المرء تقديم مرافعة افتتاحية أو ختامية في قاعة محكمة. هكذا يعرف المرء تمامًا متى يصمت لحظة خلال استجواب. لهذا، أنا ناجحة جدًا في عملي. الأمر كله متوقف على التوقيت. يجيب بضغطة مماثلة على يدي. لا يضايقني الآن أن يقوم بيننا هذا التواصل الرومانسي لأنني احتملت منه ما هو أسوأ من هذا... أسوأ من هذا كثيرًا.

«هل استطعتِ العثور على أي شيء جديد في قضيتي؟». يسألني بنبرة راجية تكاد تظهر فيها نفحة من أمل.

أتنهد وأقول: «يا آدم، لماذا تعود إلى هذا الأمر؟ لن يفيدك بشيء أن تعود إليه».

«ألم يكن لديك يومًا فضول كافٍ لأن تعودي إلى النظر في القضية؟ كي تحاولي إنقاذي». يعلو صوته ويرتفع حاجباه.

«لقد حدث هذا، بالطبع. لكن أية أدلة جديدة لم تظهر... لم تكن هناك أية طريقة لإعادة فتح ملف

القضية. أنت تعلم هذا. لقد راجعته كله معك بعد ستة أشهر من نهاية المحاكمة». أشد على يده مرة ثانية.

يخفض رأسه شاعرًا بالهزيمة من جديد. أيظن حقًا أنني سآتي إلى هذا المكان حاملة أدلة جديدة تؤدي إلى إطلاق سراحه في اللحظة الأخيرة؟ لا تحدث هذه الأمور إلا في الأفلام. لا تحدث في الحياة الحقيقية. بعد بضع لحظات ثقيلة يمضيها في النظر إلى الطاولة، يرفع رأسه من جديد وينظر إليّ. أشد على يده مرة ثالثة. وبدوره، يشد على يدي. ليته يكف عن هذا!

«ماذا عن نسق الـ DNA الثالث؟». ثمة قدر من الترقب في صوته.

«ماذا عنه؟».

«هل استطعتِ معرفة صاحبه؟».

أتنهد وأقول: «يا آدم، لقد تحدثنا في هذا الأمر. لم تتوفر لدينا أدلة كافية تسمح لنا بإثارة هذا الأمر بالمحكمة».

يتجهم وجهه، ويظهر غضب في عينيه - الحيوان المتوحش عائد. يستنشق نفسًا عميقًا ثم يعود وجهه إلى هدوئه. ها هو يستوعب الأمر أخيرًا. أشد على يده مرة رابعة. هذه المرة، لا يستجيب بأن يضغط على يدي. بدلًا من ذلك، ينظر إليّ نظرة غريبة.

«اسمع... لم آت إليك كي نستعيد مجريات القضية. أتيت كي أودِّعك وأقول لك إنني أحبك». كنت أحبه في وقت من الأوقات. لذا، ليس صعبًا عليّ أن أقول له هذه الكلمات مع أنها لم تعد حقيقية.

يهمس بصوت خافت: «وأنا أيضًا أحبك، يا سارة». تجري على وجهه دموع صامتة.

أضغط على يده مرة خامسة.

63

آدم مورغان

أتت سارة اليوم كي تراني. أنا في شوق إلى رؤيتها منذ زمن بعيد. لم أعد أعرف كم سنة مضت. والآن، ها هي هنا، أخيرًا، تجلس أمامي، إحساس مرٌّ وحلو. لم تبذ لي على طبيعتها، على الأقل، ليست هذه سارة التي أتذكرها. إنها الآن باردة، غير مهتمة. ولسبب لا أعلمه، تواصل الضغط على يدي بطريقة لا تنقل حبًا ولا عاطفة، بل شيئًا آخر. أول الأمر، ظننت أنها تفعل هذا من أجل الراحة، كي تريحني أو كي تريح نفسها. لم أكن واثقًا. لكن توقيت تلك الضغطات على يدي كان غريبًا. لا... في حقيقة الأمر، كان توقيتها مضبوطًا تمامًا، دقيقًا جدًا. ضغطة مع كل دقيقة تمرّ. لماذا تفعل هذا؟ أعلم أنه ليس يومًا هيّنًا، أعلم هذا أكثر مما يعلمه أي شخص غيري، لكن لا يبدو أن لهذا أي أثر عليها على الإطلاق.

تبدو اليوم جميلة. تكاد رؤيتها تكون مؤلمة... بالنظر إلى الوضع الحالي. شعرها ينسدل حزًا على كتفيها، وشفتاها وأظافرها مطلية بلون أحمر لامع. ملابسها بيضاء كلها، كأنها ملاك. كلما فكرت في الأمر، كلما بدا لي الأمر غير ملائم أبدًا. أكاد أختنق عندما أتذكر كيف كنا معًا، أنا وهي، عندما أتذكر الزمن الذي ضيّعناه. الحقيقة أنني لن أراها مرة أخرى، بعد أن تخرج من هذا الباب. أمضيت هذه السنين كلها محاولًا عدم التفكير في هذا. بكل تأكيد، كنت مدركًا أن هذا اليوم سيأتي آخر الأمر، لكن هذا ليس أمرًا يستطيع المرء أن يتصالح معه. حقنة قاتلة من أجل جريمة لم أرتكبها. لم أرتكبها! هذا هو الجزء المؤلم أكثر من أي شيء آخر.

مكتبة ياسمين

لم يتم العثور على أية أدلة جديدة في قضيتي. يعني هذا أن مصيري قد ظل كما هو. كانت تلك جريمة كاملة، كانت ترتيبًا متقنًا من أجل الإيقاع بي. تخليت عن الأمل منذ زمن بعيد. لكني، لسبب لا أعلمه، فكرت هذا اليوم في أن معجزة يمكن أن تقع، في أن سارة من الممكن أن تأتي حاملة اكتشافًا جديدًا يميط اللثام عن تلك المؤامرة التي أودت بي... فارستي في درعها اللامع آتية كي تنقذني. بكل تأكيد، كانت ملابسها ملائمة لهذه الفكرة.

أعلم الآن أن هذا لن يحدث، لن يحدث لي. لقد انتهت حياتي بالفعل؛ وأنا الآن أعيش وقتًا مستعارًا، أمشي ميتًا عبر هذه الممرات. في الحياة الآخرة، إن كانت هناك حياة آخرة، قد أعرف حقيقة ما وقع لكيلي سامرز فأنعم أخيرًا بقدر من راحة البال. ومن الممكن ألَّا يحدث هذا.

تضغط على يدي مرة أخرى. هذه هي المرة السادسة. إنني أحصيها.

أخيرًا، أستجمع شجاعتي وأسألها: «إذًا، هل تعيشين حياتكِ؟».

«لا أظن أن أي شخص يستطيع حقًّا أن يعيش حياته بعد شيء من هذا القبيل، يا آدم».

منذ مجيئها، تجيبني بهذه الجمل الغامضة التي ليست إجابات على الإطلاق. لا تسمح لي بالاقتراب منها. منظوماتها الدفاعية نشطة كلها.

أسألها: «هل تعتقدين أن أمورنا كان يمكن أن تجري على نحو مختلف؟».

«ماذا تعني بهذا؟».

«أن تصل المحاكمة إلى نهاية مختلفة. أن يعثروا على القاتل الحقيقي. لو حدث هذا، فهل كان ممكنًا

أن نحظى بفرصة جديدة معًا؟». أحاول إخفاء قنوطي، قنوطي الواضح حتى في حقيقة أنني أطرح عليها هذا السؤال.

«أحب أن أفكر هكذا». تلتحم عيناها بعينيّ لحظة، تخفض رأسها وتبدأ مسح عينيها. يكاد يبدو هذا مفتعلًا. كأنها تقول لي ما أريد سماعه، لكن، لماذا؟ حقًا، لا أعلم السبب، لكن هذه هي طبيعة سارة. تفكر دائمًا، وتحسب دائمًا. لا وجود أبدًا لأي دافع خفي، لأية وجهة مختلفة. إنها متحكمة دائمًا... بكل شيء.

«وأنا أيضًا أحب أن أفكر هكذا. أظننا كنا سنعيش سعيدَين. أظننا كنا سنبدأ تكوين أسرة لنا». في عينيّ أمل، وليس في عينيها شيء.

تبتسم وتشد على يدي مرة سابعة. «هل أنت نادم على ما فعلت؟».

«ماذا تعنين؟». أرفع رأسي وتفارق عيناي الطاولة. تحاولان فهم هذا السؤال. أنا نادم على أمور كثيرة جدًا. فما الذي تحاول سارة استخلاصه مني؟

«مضاجعتك كيلي، خيانتك لي، تخليك عن أسرتنا». تضيق عيناها وتميل إلى الخلف كأنها تحاول الابتعاد عني.

آه... هذا ما تعنيه. أقول لها: «لم أتخلَّ عن أسرتنا». وأنا أعني ما أقول. «كنت غير مخلص لك، لكني لم أتخلَّ عن كوننا معًا. إنني أحبك. أحببتك دائمًا، وسأحبك دائمًا مع أن الوقت الباقي لي صار قصيرًا جدًا». تكتفي سارة بالنظر إليّ، نظرة بعيدة كأنها نظرة من مسافة مئة متر. أعلم أنها سمعت ما قلت، لكنه لم ينفذ إليها. تبدو كأنها تنظر من خلالي، تنظر إلى الجدار خلف رأسي كأنني غير موجود هنا. أو، لعلها هي غير موجودة هنا، ولعل هذا ليس إلا طيفها. لعل هذا ليس إلا صورة للشخص الذي تمنيت

أن يأتي هذا اليوم، هذا اليوم تحديدًا. تشد على يدي مرة ثامنة.

«أسفة لأنني لم أكن زوجة أفضل».

يخرجني هذا من أفكاري. من أين أتتها هذه الفكرة؟ هي ليست ملومة في أي شيء من هذا كله. أفعالي هي السبب. أنا من سبّب هذا كله. لم أرتكب جريمة قتل، لكني خنت زوجتي. رميت ما كان لدينا، رميته من غير اهتمام كأنني أرمي شيئًا لا قيمة له في سلة مهملات كانت في طريقي. لا أستطيع ترك هذه الحياة وهي تلوم نفسها على أمر لم يحدث. إنها الشخص الوحيد الذي دافع عني خلال هذا كله. وهي الشخص الوحيد الذي صدقني فعلًا. على هذه الأرض، هي الشخص الأخير الذي يحبني، فضلًا عن أمي، «سارة... أنتِ لست مذنبة في أي شيء من هذا. لقد كنتِ زوجة رائعة. بذلتِ جهدًا كبيرًا، وكنتِ الشخص الوحيد الذي صدقني ودافع عني. أحببتني في أكثر أيامي ظلمة، فعلتِ كل ما كان في مستطاعكِ من أجلي ومن أجل عملي. لا ألومكِ على أي شيء، وليس لكِ أن تعتذري عن أي شيء». أحاول إمساك دموعي. تشدّ على يدي مرة تاسعة. أشد على يدها.

«أتظن أنني كنت طيبة معك؟». ثمة خفة غريبة في صوتها كأنها تعابثني في لعبة نلعبها.

«بالطبع، يا سارة، كنت طيبة معي. إياك أن تفكري في غير هذا. في يوم من الأيام، سوف تجعلين رجلًا آخر في غاية السعا...». في هذه اللحظة، لا أعود قادرًا على ضبط نفسي. تسيل دموعي على وجهي وتشكل بركة صغيرة على سطح الطاولة المعدنية الخشن. «يؤلمني قول هذا. يؤلمني لأنني أتمنى لو كنت ذلك الرجل. أتمنى لو كنت لا أزال قادرًا على

أن أصير ذلك الرجل. لكني لا أستطيع لأن وقتي قد حان. وحتى لو لم يحن، فأنا لا أستحقك. لم أستحقك يومًا. أنا من أفسد كل شيء».

تقول بنبرة حادة: «لقد أفسدت كل شيء».

أقول منتحبًا: «أعلم هذا. لم أمض يومًا واحدًا من غير التفكير فيك طيلة هذه السنين، إحدى عشرة سنة».

يدخل الحارس الغرفة ويصطدم الباب الفولاذي اصطدامًا شديدًا بإسمنت الجدار. «انتهى الوقت». يقولها وهو يطقطق بعلكته ويتعمد عدم النظر إلى أي منّا تعبيرًا عن عدم اكتراثه.

تشد على يدي عاشر مرة. أشد على يدها. تنهض واقفة، «وداعًا، يا آدم! إن كان للأمر معنى...». تدور من حول الطاولة. تقترب مني وتطبع على خدي قبلة ناعمة. بعد ذلك، تقترب أكثر وتهمس في أذني: «أعلم علم اليقين أنك لم تفعلها».

أنظر إليها. تبتسم لي من غير أن تكشف عن أسنانها. ابتسامة مشؤومة مرسومة على وجهها. في عينيها نار مشتعلة لم أرها قبل الآن أبدًا... على الأقل، لم أرَها في عينَي بشر.

«ما معنى هذا؟». يحاول عقلي جاهدًا أن يفهم شيئًا مما سمعت. «سارة! ماذا تعنين؟ من كان الفاعل إذًا؟ إن كنتِ تعلمين، فعليك أن تخبريني بهذا! عليك أن تخرجيني من هنا، يا سارة». أصرخ مطالبًا بإجابة. يمسكني الحارس من كتفي.

تواصل سارة النظر إليّ وعلى وجهها تلك الابتسامة اللعينة نفسها. «آدم... سوف تظل تفكر في طيلة ما بقي من حياتك القصيرة جدًا؛ وأريدك أن تعلم أنني لن أفكر فيك بعد الآن أبدًا». مع قولها هذا، تخرج من الغرفة وتظل غمامة من الكره والسم

مكتبة ياسمين

معلقة في الهواء.

أظل في ذهول وتترك الأصوات كلها الغرفة كأنها صارت خالية من الهواء. لست أذكر كيف قادني الحارس عائدًا إلى زنزانتي. ظننت أن سارة باقية على حبي أو، على أقل تقدير، مبالية بأمري، ليس مثلما كان الأمر من قبل، لكن جزءًا منها لا بد أن يكون مباليًا بأمري، على نحوٍ ما. ولكن، من هي تلك المرأة التي كانت هنا، معي؟

لا أستطيع التحكم حتى بأفكاري. صارت أفكاري أشبه بقطار مندفع تعطلت مكابحه. لن يفلح شيء في إيقافه إلى أن تأتي لحظة الاصطدام المحتوم. كلمات كثيرة جدًا تتزاحم في رأسي. وكلما ازدادت تزاحمًا وتكرارًا، كلما بدأت أرى لها معنى. بعد نحو ثلاثين دقيقة، يأتي حارس السجن ويأخذني إلى غرفة جديدة فيها نقالة طبية ذات عجلات وبضعة أجهزة مراقبة طبية. في انتظاري طبيب وممرض واثنان من حراس السجن. هذه آخر حفلة مفاجئة لي، أكبر حفلة. النقالة موضوعة قبالة مرآة كبيرة مسودة لا يكاد انعكاس صورتي يبين فيها. أعلم تمام العلم أن من خلف تلك المرآة أشخاصًا ينتظرون هذه اللحظة، يترقبون ما سوف يحدث. لست ألومهم على غضبهم. كل ما في الأمر هو أنه ليس في موضعه الصحيح.

أستلقي على النقالة ويشد الحارسان وثاقي إليها. يضعون في ذراعي قسطرة وريدية ويصلونني بجهاز مراقبة القلب. يسألني الحارس: «هل تريد حضور رجل دين من أجل شعائرك الأخيرة؟».

«لا، هذا غير ضروري».

«إذًا، هل لديك كلمات أخيرة تقولها؟».

عفو. عهود. خيانة. تحكم. كيلي. حقيقة. قتل.

مكتبة ياسمين

الشريف ستيفنز. جينا. بوب. آن. بيت البحيرة. جيس. ريبيكا. DNA. نهاية الأمر. ماثيو. هدسون. سكوت. سارة. سارة. سارة...

تتسارع هذه الكلمات كلها وتتزاحم في رأسي. تمنيت أن تكون أفكاري الأخيرة عن حياتي التي عشتها أو عن البشر الذين أحببتهم. إن في هذا قدرًا من الشاعرية! يعاني الكاتب صعوبة ولا يستطيع التفكير حتى في بضع كلمات أخيرة يقولها. الأفكار الوحيدة التي تجيش في دماغي متصلة كلها بموتي. أحس أن ثمة أمرًا غير سليم. ثمة أمر في غير موضعه.

ثم يحدث ذلك. كأنني أستطيع الرؤية عبر المرآة التي أمامي، وأرى سارة مباشرة. أرى تلك الابتسامة وتلك النظرة في عينيها. وضغط يدها المحسوس على يدي. كلماتها الأخيرة الغريبة وقسوتها. لكن، لماذا الآن؟ لماذا اختارت هذا اليوم من دون بقية الأيام كلها كي تقول لي هذا؟ كي تعاملني هكذا؟ هذا كأنه... مهلًا! لا، لا يمكن أن يكون...

أحس خدرًا أول الأمر، وأظن أنني موشك على أن أغفو. لكني لا ألبث أن أبدأ التململ والتلوي، ثم تسري حرارة واخزة في أعضائي، ثم أصرخ. ثم يتوقف كل شيء توقفًا مفاجئًا. يتوقف كل شيء.

لا أرى شيئًا غير قطعة قماش سوداء فيها ثقوب صغيرة جدًا وضياء أبيض ينتشر عليها منبثقًا من مركزها كأنها شاشة تلفزيون قديمة تسخن شيئًا فشيئًا. يبدأ ظهور الصور على تلك الشاشة؛ صور سارة، لقائي بها، حبي لها، زواجي منها، متابعتي لها بعينيّ. ثم يظهر كل ما نسيته. شيء يكاد يشبه مشاهد محذوفة من فيلم. لكني لم أحذف تلك المشاهد. كل ما في الأمر أنني لم أنتبه إليها؛

مكتبة ياسمين

تخطيطها، وتآمرها، وحساباتها، وهلاكي.

كانت سارة متحكمة بكل ما في حياتها، وبي أيضًا.

لقد قللت من شأنها مثلما فعلت في مرات كثيرة من قبل. لكني قللت من شأنها هذه المرة أكثر من أية مرة أخرى. تخبو الصور وتتلاشى، ثم يحل سواد. سارة آخر ما أفكر فيه. سارة آخر صورة أراها. لقد كانت محقة في كل شيء... في كل شيء على الإطلاق.

مكتبة ياسمين

64
سارة مورغان

أنظر عبر نافذة المراقبة إلى الرجل المذعور الذي اعتبرته ذات يوم رجلي. كان لا بد لي أن أكون حاضرة من أجل هذه اللحظة، أن أرى الأمر حتى نهايته. لم يفاجئني كثيرًا ظهور وجه مألوف. إليانور بكل ما لديها من مجد سنواتها التي تجاوزت سبعين سنة أتت كي ترى ابنها الغالي مرة أخيرة. لم أرها ولم أكلمها منذ نهاية محاكمة آدم. في الأحوال العادية، تنفّرني فكرة اضطراري لأنْ أكون معها ثانية واحدة. أما في هذه اللحظة، في هذا الحدث، فأنا مسرورة برؤيتها. أذهب إلى حيث جلست آخذةً معي أقصى ما لديّ من صحو واتزان، آخذة معي دموعًا جاهزة للانسكاب من عينيّ.

لا ترفع رأسها لحظة وقوفي إلى جانبها بل تكتفي بالقول: «سارة».

«أأستطيع الجلوس؟». أسألها بكل تهذيب... هذه المرة فقط. لا توافق على جلوسي، لكنها لا ترفضه. لذلك، أجلس وتتجه عيناي إلى الغرفة عبر الزجاج الذي أمامنا. أقول لها: «انظري! أعلم أننا لم نكن صديقتين على الإطلاق. لا أظن أن هذا اليوم سيغير الماضي أو طريقة التعامل الذي سيكون بيننا. لكني أريدك أن تعلمي أنني موجودة هنا اليوم».

ترفع إليانور رأسها وتنظر إليّ. دموع تجري على خديها تليها دموع تنبع من عينيها. «لا بأس». لا تقول شيئًا غير هذا.

تسير الإجراءات أمامنا سيرها المعتاد. ثم يحين الوقت، تحين اللحظة الأخيرة من هذا اليوم. الحقنة القاتلة، تراها إليانور. أستطيع رؤية كيف تؤثر

جسدها كله. ليس في مستطاعها الآن فعل شيء يمكنه إيقاف هذا. اليوم، لا يستطيع كل ما في العالم من مالٍ ومن أمومة أن ينقذ ابنها. هذه الحقيقة تشلُّها.

أخيرًا، يقول الطبيب شيئًا لادم فيهز آدم رأسه نفيًا. يغرس الطبيب الحقنة في أنبوب القسطرة الوريدية، وفي اللحظة نفسها، تغرس إليانور يدها في يدي. ومع ضغط الطبيب على مقبض الحقنة، تشد يد إليانور على يدي شدًا بطيئًا. هدوء أول الأمر، هدوء أشبه بتلك اللحظة القصيرة من الزمن بعد التماع البرق... لحظة في انتظار الرعد الآتي. ثم يحدث الأمر. يصرخ آدم ويتشنج جسده على النقالة.

تنوح إليانور: «لا! إنه صغيري!»، ثم يتشنج جسدها.

أشد على يدها وأريح رأسها على صدري. «ششش... انتهى الأمر الآن. انتهى الأمر كله». أهمس في أذنها وتجري أصابعي في شعرها. ترتسم ابتسامة عريضة على وجهي.

بعد أن يهمد جسده، أرفع رأس إليانور عن صدري وأنهض واقفة. أقول لها: «وداعًا، يا إليانور». ثم أستدير كي أنصرف.

تصيح بي سريعًا: «سارة، انتظري!». ألتفت وأنظر إليها من غير أن أقول شيئًا. «آسفة... لكل شيء». كلامها يكاد يكون همسًا لأن بكاءها الشديد لا يزال متواصلًا.

أجيبها بنظرة استفهام، مثل قطة تحاول أن تقرر ما تفعله بفأر صغير أمسكت به. أقول لها: «أنا لست آسفة»، ثم أستدير كي أخرج من الغرفة.

في حالتها الهستيرية تلك، لم تنفذ كلماتي إلى وعيها. تعود إلى بكائها.

مكتبة ياسمين

كانت آخر أفكاره عني أنا. أستطيع قول هذا بعد ملمح الغباء الذي بان على وجهه في لحظته الأخيرة. أنهض وأخرج من الغرفة. أسير خلف والدي كيلي. كانا يبكيان طيلة تلك اللحظات العصيبة، يتخففان من العبء الذي جاءا كي يتخففا منه. لعلهما يظنان أنهما شهدا نوعًا من الختام: مقتل الرجل الذي قتل ابنتهما!

أنظر إليهما عدة مرات، وأتبادل معهما نظرات متعاطفة. يعرفان من أنا. أنا محامية الوحش الذي سلبهما الكثير. لست محامية الوحش فحسب، بل زوجته أيضًا. مع هذا، ولسبب من الأسباب، كانا لطيفين معي. لست أعلم تفسيرًا لذلك. الظاهر أنهما يعتبرانني مثلهما، ضحية وجدت نفسها في خضم المصيبة التي صنعها ذلك الشر المتجسد أمامهما إلى الناحية الأخرى من تلك النافذة. أمر أصابنا جميعًا. هذه الحمأة الممتلئة وحلًا وقطرانًا سامًّا، الحمأة التي سقطنا فيها كلنا ولم نستطع تخليص أنفسنا منها، لم نستطع تخليص أنفسنا منها إلى أن ذبح الوحش.

فتحا الباب من أجلي فسرت أمامهما ماضية في الممر الطويل. سمعت من خلفي همسات تقول: «يسرني أن الأمر قد انتهى»، و«يسعدني أنه دفع أخيرًا ثمن جريمته»، «الآن، تستطيع كيلي أن ترقد بسلام». أكاد أثقب لساني كي أمنع نفسي من الضحك، كي أمنع نفسي من أن ألتفت إليهما وأنفجر من الضحك في وجهيهما مباشرة.

أفتح الباب المفضي إلى غرفة التفتيش الرئيسية حيث أودعت حوائجي. أسجل خروجي وأستعيد كل ما تركته هناك.

تصلني رسالة نصية من ماثيو:

سأنطلق مع جون بعد ساعتين من الآن. لا أستطيع انتظار مرافقتك في الكنيسة يوم غد. الأطفال متحمسون لرؤية الخالة سارة.

أجيبه:

شكرًا، يا ماثيو! لا أطيق انتظار رؤيتكما! أحبكما.

أمضي خارجة عبر الباب الزجاجي الدوّار في مدخل البناء. الشمس في الخارج شديدة التوهج كأن كل شعاع من أشعتها يبذل ما في وسعه كي يحرق كل شيء في العالم. أضع نظارتي الشمسية على عينيّ وأسير نازلة الدرجات الإسمنتية.

لا أظنني كنت شخصًا صادقًا جدًا؛ لا مع آدم، ولا مع آن، ولا مع ماثيو، ولا مع الشريف ستيفنز. لم أكن صادقة مع أي منهم. لكني سأكون صادقة مع نفسي. التوقيت هو كل شيء؛ وقد حرصت على أن أوقّت كل شيء توقيتًا متقنًا.

كان آدم يظن دائمًا أنه ذكي، أنه واسع الاطلاع، شخص عميق، شخص بعيد التفكير. كان يظن نفسه محاربًا من أجل العدل والفن ومن أجل كل شيء يقع بينهما. وقد كان تلك الأشياء كلها. لكنه افترض أنني لا أراقبه، وكان مخطئًا في هذا.

علمت بأمر آدم وكيلي قبل زمن طويل من آخر نفس استنشقته تلك المرأة. لقد أتاني بوب بدليل على خيانات آدم التي اكتشفها لأنه كان يبحث عن سبيل لتدمير حياة كيلي بعد ما فعلته بشقيقه المسكين. ظن أنه سيصطاد عصفورين بحجر واحد: يبتزني كي أترك الشركة لشدة حرجي، أو على الأقل، يجعلني أفقد التركيز في عملي بحيث يصير قادرًا على التسلل والحصول على حصتي بالشركة مع الإيقاع بكيلي في الوقت نفسه. وقد كان مخطئًا أيضًا. عندما كشف لي الأمر، لم تكن ردة فعلي مثلما

توقع أن تكون... كانت أكثر مما كان ممكنًا أن يحلم به.

قررنا أن نقتل كيلي بحيث يبدو أدم هو القاتل. في حقيقة الأمر، فعل هذان الاثنان ما يستحق ذلك. كان بوب خارج البلدة عند مقتلها بغية ضمان أن يكون لديه ما يثبت غيابه عن مسرح الجريمة عندما يتم اكتشاف الصلة بينه وبين كيلي. لم أشأ ترك أية خيوط سائبة.

فكرنا في استئجار من يقتلها... لكن، ومثلما قلت قبل قليل، لم أشأ ترك أية خيوط سائبة. كان هناك شخص واحد أستطيع وضع ثقتي فيه كي يفعل ذلك، شخص واحد يستطيع أن يفعل ذلك على أحسن وجه، فمثلما يقولون، إذا أردت أن يتم فعل أمر من الأمور على الوجه الصحيح، فـ...

لم أكن مسرورة عندما علمت آن أن آدم يخونني. فور اكتشافي تلك الصورة في مكتب آدم، علمت أنها هي، آن، فكيف لا أعرف خط مساعدتي؟ في آخر المطاف، انتهى بي الأمر إلى مسامحتها وإلى التغاضي عن الأمر كله. في الحقيقة، كانت لكل واحدة منا إثبات لوجود الأخرى في غير مكان الجريمة. في تلك الليلة، كنا في الخارج معًا ولم تنتبه آن إلى الوقت ولا إلى مقدار ما تناولته من كحول... ولماذا تنتبه إلى هذا؟ إنها تعبدني! كنت كل ما تتمناه وتطمح إليه. قضاء الوقت معي كان كالذهب بالنسبة إليها. وكنت أدرك هذا فاعتمدت عليه.

وأيضًا، كنت أدرك رذائل ادم كلها. ففضلًا عن ولعه بالشابات وبكره نفسه، كان مولعًا بشرب الويسكي أيضًا. وكان وضع قليل من الروهيبنول في دورق الويسكي سهلًا، سهلًا كمثل سهولة قتل كيلي. بعد

أن صارا غائبين عن الوعي تمامًا تلك الأمسية، وصارت ذاكرتاهما معطلتين، ما كنت في حاجة إلى شيء غير خروج سريع من البار في الساعة العاشرة ليلًا، وسكين حادة. كان أمرًا بسيطًا كمثل فتح بضعة ثقوب في صندوق كي يستطيع الحيوان الحبيس داخله أن يتنفس. عكس ذلك، في هذه الحالة... كي يكف عن التنفس!

ظن آدم نفسه شديد الذكاء. ظن أن جيس موضع شبهة حقيقي. وكنت أدرك أن جيس ليس إلا شخصًا تافهًا افتتن كثيرًا بكيلي. لكن ملاحقة أمر جيس جعلتني أبدو كأنني أعمل على القضية فعلًا. كان جيس فخًا استفدت منه؛ وسيلة أستطيع بها أن أبدو منهمكة في العمل في حين كنت لا أفعل غير انتظار أن تظهر نتائج ما عملت على ترتيبه.

لكني أعترف بأن ذلك النسق الثالث من الـ DNA جعلني في حيرة من أمري. صدقًا، أزعجني كثيرًا ألا أستطيع تحديد هوية صاحبه. ظننت أنني درست آدم وكيلي دراسة كافية لأن أعرف كل شيء، عمَن له علاقة بحياتهما وعمَن لا علاقة له بها. ظننت أننا، بوب وأنا، علمنا كل شيء عن هذين التافهين. وكان هذا هو الأمر الوحيد الذي أثار قلقي. إذًا، من هو صاحب ذلك النسق الثالث من الـ DNA؟ وهل رأى ذلك الرجل شيئًا؟ لحسن الحظ، انتهى الأمر بأن يكون الشريف ستيفنز هو ذلك الرجل الحقير. نعم، رجل آخر غير قادر على إبقاء قضيبه في سرواله! بعد أن توصلت إلى اكتشاف هذا الأمر، حرصت على إبقائه خارج ملف القضية لأنني أردت محاكمة سريعة وأردت أن تتوصل هيئة المحلفين إلى إدانة ادم. لم أشأ أن يعترض سبيلي شيء.

على أية حالة، انتهى الأمر بالشريف ستيفنز إلى

مساعدتي من غير أن يدرك ذلك، وذلك بفضل تهاونه في عمله. بالتأكيد، كان الروهيبنول موجودًا في دم ادم. أعلم هذا لأنه لم يتحرك أبدًا، لم يتحرك مرة واحدة، عندما رحت أطعن كيلي إلى أن ماتت. حب حياته الجديد الثمين يجري انتزاعه منه طعنة بعد طعنة، ونقاط الدم تتناثر على النايلون الشفاف الذي غطيته به فصار كأنه نافذة مراقبة يستطيع من خلالها أن يرى ما يجري إلى جانبه. لكنه ظل مستلقيًا هناك ولم يرَ شيئًا. لذا، فإما أن يكون ذلك الشريف الغبي لم يختبر دم آدم، أو أن يكون قد عبث بالأدلة كي يستطيع إغلاق القضية سريعًا. أظن أن الاحتمال الثاني هو الأصح، وذلك بالنظر إلى تورطه مع كيلي. هذا هو أيضًا السبب الذي حملني على عدم إدراج مسألة نسق الـ DNA الثالث في القضية. من غير أن يعلم، أسدى إليّ الشريف ستيفنز جميلًا، فأسديت إليه هذا الجميل بدوري.

وماذا عن ريبيكا سانفورد؟ تلك الشابة التي تريد أن تصير صحافية، تلك الشابة التي علّق عليها آدم آماله كلها. حقيقة الأمر أنها كانت تحريًا خاصًا، لكنها لم تكن تعمل لصالح سكوت. لقد استأجرها بوب. وعندما انتهت مهمتها، غادرت البلدة مثلما كان مقررًا. كان عملها أن تراقب آدم وأن توجهه في الاتجاه الذي أردناه. أردنا أن يكتشف أمر صلة بوب بكيلي، وذلك كي تكون هذه بارقة أمل كافية لدفعه إلى تصرفات مجنونة. أردنا أن يعتمد على المعلومات التي توصل إليها في شأن أن ورسالة التهديد التي أتته منها. هذه بارقة أمل أخرى من شأنها أن تدفعه إلى تصرفات غير منطقية. وأهم من هذا كله أنني أردت تذكير ادم بأنه لا يستطيع أن يضع ثقته إلا في شخص واحد؛ أنا هو ذلك الشخص.

مكتبة ياسمين

وذلك الإنسان الذي ليس لديه أكثر من عقل قرد، سكوت سامرز صاحب النزعة العدوانية الفائضة، لا أظنه أراد أن تصير مسألة «إتلافه الأدلة في قضية مقتل زوج كيلي الأول» حكاية على كل لسان. هممم... لا أظنه كان غبيًا بقدر ما تخيلت.

لن أعرف أبدًا ما جرى بين كيلي وكريغ، أو بين كيلي وسكوت. هل كانت كيلي ضحية الرجال الذين مرّوا بها في حياتها؟ هل كانت ضحية الإساءات؟ أم أنها كانت كاذبة؟ لن أعرف هذا أبدًا، ولن يعرفه أحد. هكذا هو أمر العلاقات بين الرجال والنساء: لا تعلم أبدًا ما يجري داخلها إلا إذا كنت طرفًا فيها، تمامًا مثلما لن يعرف أحد ما كان يجري بيني وبين آدم. لدينا كلنا حقيقتنا الخاصة بنا؛ وكل شيء خارج تلك الحقيقة ليس إلا قصة.

وبمناسبة الكلام عن القصص، أقول إن آدم شرع في كتابة روايته الواقعية. وضع لها عنوانًا يقول: «البراءة ليست كافية: قصة آدم مورغان». بطبيعة الحال، لم يستطع مقاومة إغراء وضع اسمه على غلاف الرواية. فوضع اسمه مرتين. حققت تلك الرواية نجاحًا كبيرًا، وصارت ضمن قائمة نيويورك تايمز للكتب الأفضل مبيعًا، وتُرجمت إلى أربعين لغة مختلفة. بل إن شبكة نتفلكس حوّلتها إلى سلسلة وثائقية من أربعة أجزاء. بلغت الإيرادات ملايين الدولارات. ولما كان آدم سجينًا في انتظار حكم الإعدام، فلم يكن مسموحًا له أن يحتفظ بنصيبه من تلك الإيرادات. اختار أن يتبرع بذلك المال لصالح مؤسسة غير هادفة الربح تهتم بشؤون العدالة. فعل ذلك أملًا منه في أن يستطيعوا إثبات براءته. والمفارقة في الأمر أنهم رفضوا تولي قضية ادم بعد أن نظروا في تفاصيلها. لا أزال أضحك كلما تذكرت

مكتبة ياسمين

هذا.

سبع وثلاثون طعنة! قد تتساءلون، كيف استطعت فعل هذا بامرأة أخرى؟ أمر سهل! إذا دخل أحدهم بيتك وسرق بعض ممتلكاتك، أفلا تدافع عن نفسك؟ لعلكم تظنون أنني أعني كيلي سامرز، لكني لا أعنيها بهذا الكلام. أعني آدم. في الحرب، تقع دائمًا إصابات جانبية: لم تكن كيلي أكثر من ذلك.

لو وقع طلاق بيننا لنال آدم النصف من كل شيء أملكه. لم يكن يستحق هذا. لم يكن يستحقني. لقد أقسمت ألَا أكون مثل أمي، أبدًا. إن سماحي لأي رجل بأن يأخذ ما كسبته وما بذلت الجهد من أجله من شأنه أن يجعلني ضعيفة مثلها. في آخر المطاف، نال آدم الشيء الوحيد الذي كان يستحقه.

سألني بوب عندما جلست إلى جانبه في سيارتنا المرسيدس: «كيف جرى الأمر؟».

«مثلما خططنا تمامًا». أبتسم وأميل صوبه وأقبله على شفتيه.

تناديني سمر من المقعد الخلفي: «ماما!».

«ماذا، يا حبيبتي؟». ألتفت وأنظر إليها. أبتسم لابنتي التي بلغت ثماني سنين.

إنها شديدة الشبه بي ببوب، كاملة من كل ناحية. وقد أقسمت عندما اكتشفت أنني حبلى بها على أني لن أقع في أي خطأ من الأخطاء التي وقعت فيها أمي. لن يكون على سمر أن تحمي نفسها مني مثلما كنت مضطرة إلى حماية نفسي من أمي.

لم تقتل أمي نفسها بالمعنى المباشر لهذه الكلمة. لقد اعتاد جسدها الهيروبين، وما كان لحقنة إضافية واحدة أن تقتلها. لكني وضعت في ذراعها ثلاث حقن أخرى، هذا ما قتلها. كانت تقتل نفسها قليلًا

كل يوم، ولم أفعل شيئًا غير تسريع تلك العملية. لا يمكن أبدًا أن أضع ابنتي في هذا الموقف.

تشير سمر إلى البناء الذي رأتني أخرج منه قبل قليل: «ماذا هناك؟».

«لا شيء، يا حبيبتي... لا شيء أبدًا».

تمضي بنا السيارة عائدة إلى بيت البحيرة في مقاطعة برنس ويليام. لكنه لم يعد مجرد بيت بحيرة: إنه الآن مكان إقامتنا الدائمة. لم نشأ، أنا وبوب، أن تنشأ سمر وسط مدينة واشنطن. وإذا أردت أن أكون صادقة، أقول إن هذا المكان جميل حقًّا. لم أره أبدًا مثلما كان آدم يراه، لكني أظن السبب في ذلك هو أنني كنت أربطه به دائمًا. لقد أضفت خياناته ومواطن ضعفه طبقة من القذارة على هذا البيت الذي هو قطعة من الجنة.

عادت حياتي إلى ما أردتها أن تكون، تمامًا... وقد عقدت العزم على أن تبقى حياتي هكذا.

مكتبة ياسمين
t.me/yasmeenbook

مكتبة ياسمين